قلم رصاص....

رواية .... تبحث عن الحقيقة..

الى كل من يبحث عن الحقيقة...

الحقيقة التي يخفيها من يمسكون زمام الامور...

في كلِ عصرٍ...

وبكل العصور...

على مرِّ الدهور.....

فيمحون مايشاءون ...

ويشرّعون مايشتهون...

فمن يملك السلطة...

بيده ..... قلم الرصاص

رباح محمد القيسي

&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&

أظلّتْ أقدامه أوداج الطريق...
هذا الطريق الذي طالما توسدتْ قدماهُ وجنات أزقتهِ العتيقة ... عتيقةٌ حدّ المعاشرة الشاردة..
فأورقة هذه الازقة أَزفتْ تداعبُ سحابات وجهه الذي أطال النظر... وعبقُ الزمن قد رسم صديدهُ على ملامحه المخملية ...تجرُّافكاره السهادية أشرعة الهجير,, فتنّقب عن ذاته المتوّرمة بأُصياصات الورق..وتتسكع في احداق عينيه ايام مضتْ,,وأنفضّتْ,,فجأة من الوجود...
وايامٍ يتمناها في حفريات غيلان العُلى ,, انها ستكون...
هكذا كان ((حامد))... وهو يواري الدربَ الذي حفظه أكثر من أسمه الجريح..
كانت هوادج أرتاله تسرح كما هي العادة في مزارع الرمّان وتحتفل في واحاتِ الحرير ..وجنبَ كهوف نحتتها جبال الاسئلة الشامخة... اسئلة دارت رحاها في ميادين عقله المتوقد جُرُزاً..وماهية هذه الميادين هي البحث عن الحقيقة , الحقيقة الصمّاء في جوفِ الوجود الأبكم ,, أبكمٌ بصرير..
تزواجّت (كالعادة المألوفة في ليله) كلّ افكاره تُراغم صداها عن نفسه... فمذاقُ مرّ عنق الزيتون .. اطاح بأساريره... ولفظَ بين حروفه كراديس كثيرة...
وهكذا أجترّت الأفكار نفسها كما تداعتْ بين أيامه سِماتُ البعوض..فراحتْ تدغدغ حواسه رائحة اليأس المقيت... مقيتاً حدّ اليأس ... فتغورُ أسباره الى حقيقة وجودهِ ومكان قدرّهِ الذي وقع فريسة فخّه...وكما يقولون ((قسمة ونصيب)).. وشِركِ شباك ((القدر المكتوب)),, ولِمَ شاءَ القدر وحَكمتْ عليه السماء دوناً ؟!.. وحراشيف اللاتفكير هي الاختيار الذي لامفر منه.... ولانافذة..
فأنت بمجرد التفكير...مجرد التفكير.. يعني أن تفقد رأسك.. وهو جلّ ماتملكه في ساحة الكون الكبير اللامنتهي....!
((فهل من الخطيئة أطلاق العنان لفكرك؟؟!!!))
اسئلةٌ تدورُ في دوآماتٍ صارتْ عنوان بحرهِ الهادئ المستعّرُ إستفهاما...

((هل من الخطيئة أطلاق العنان لفكرك؟؟!!!))
كيف ترضى السماء العادلة بشراهةِ عذابات الزنابق؟؟؟
فتظلّ السعادة باكرة عذراء لحين اللايجئ.....
تطارحه الافكار.. والمبادئ..والقيم...فأنبطحت تحت وابل الهموم أسرابا من أجنحة الفراشات...
فقدَ السمع حاسته المحبطة.. وغارتْ افكاره على مدن الواقعية.. فأختلّت لخيالٍ يرتجيه على بعدٍ قد لايكون...
وجدَ نفسه يصفُّ الاقدام وقد عبرت منزله الغائر في عيون بؤس الازقة ...
ترجل حذائه المغبّر.. وأتكأ بابا لعقته السنون فنخرت لونه البائد..وهروبا من صاحب المحل الذي تلاحقه عيناه بحثا عنه, وكأنه وئدَ أبنته الوحيدة لأبٍ عقيم...
وكل ذنبه أنه استدان لقيمات أسدل بها بعض جوفه العميق...عُمق سطحه المستوي..
لكنها كانت كالذنب الذي لايغتفر..وربما من كبار الكبائر التي لاتصفح عنها السماء العادلة...!
صافح جسده فراشهِ المهترء بأفكاره... وقلّب ملابسه كيفما شاءتْ ان تكون مرتحاها...
حاول ان يلملم أسباله.. ليؤدي ماعليه من واجبات السماء المفروضة عليه قسراً.. وبخشوع....!!!
فململ نفسه تعتدي على بعضها.. فأومئت له الرضوخ لأستلقاء هنيم..
أردفَ بمركبه قليلا ليحنوا الى ماكان يحلم به صغيراً.... طموحاً زلزليّاً ينتظرهُ عبر الزمن البسيط وخلف أبواب نضوجه...وجبالاًمن أجنحةِ الفراش الزجاجي تطيرُ به لشلالاتٍ مستقبل ماسيكون... أو على الاقل يُصبّر به ماهو به اصلا يكون.. زوجة.. شبه جميلة.. وساعات من الحدائق الورّاقة الخضراء يبادل بها زوجته عشقا قديما.. وأحلاما أرتشفها من سخونة أدمعهِ المالحة ملح سقامته المُرضخة... وشيئا من يرقات قوس قزح..
ومليكته ... انه لمَ لايستحق ؟؟!!
إلا انه لم تشئ مشيئةُ الاقدار الهوجاء ..التي ترسمُ كيفما اشتهت وتشاء....

أو هكذا يُقال ...
أطبق يلعق جراحه المدمية ... ونحرَ من فجرهِ كوبا من ماءٍ سقيم..وأدار رَكبه الى مايمكن فعله لسداد فاتورة جوعه الهانئ بألم ذلّه..
صفّق بأجنحة هُزال..وقبلّت نظراته نظرات من في رحى البيت..وهاجرتْ الى جدرانه السميكة سُمك غلاظة صاحب البيت الذي لاينفك من التهديد بأن يتركوا المنزل أو رفع أنغام الايجار حدّ الايقاع الاوبروي...
تهادتْ بين صفير الطَرق على رأسه الشائك صريرا من القدور المحترقة على شباب أمه التائهة..البريئة خلف قضبان الذبلان..وصوّلةٌ من الرؤوس تهتز لفيفاً.. وبوجعٍ اعتادَ له رأسه المصدّع بعد الظهيرة..قفزت كلماتاً ارتمتْ في حضن فجوته..
((حامد ..أنعدُّ لك الغداء..؟؟؟))
الغداء ... نعم .. انه احدى وجباته اليومية التي اعتادتْ على سفرٍ واحد وصنف يتيم من الرماح الصابرة الواحدة لاتتغير...
وهذه الوجبة الفسلجية.. أَلا يجب ان يكون لها مذاقا متلوناً يرفرفُ له حواس المذاق فتهيجها قدرَ ماخُلقت لها؟؟!
أما تَعِبتْ حاسةُ الذوق من طعم ما رَتِبَتْ عليه رتيباً سرمديا؟؟؟!!
((نعم أمي .. احضري الغداء... العشاء..))
رفع قدمه عن دواسة وكزٍ نفسه.. وأهنئَ لفكره لحظات من توقف... قد لاتدوم.. فهو بطبقٍ معدني الرائحة والطعم لايُعتمر به من يرتاح لوهلة...
ولكنه ارتمى بين أحضان النوم.. لعله يُشمّر في منامه عن ساعديه... ان لم تمانع عدالة السماء من ذلك حتى.. في منامه..
وأي منام هذا ...؟ واقع أمرُّ من الواقع نفسه... تلاحقه أنياب الذئاب الملتهبة خلفه.. وخلفه وحده.. ووحده فقط.. فكيف يكون المنام لمن مثله..؟ إلا كواقعه البليد المتبّل بالآلم..
فما تعبيرُ الاحلام إلا لتشاطر مرآة الواقع المكبّل ... أو ربما تزيدهُ ضمئاً ككوابيس جرّاء...
أستيقظ يستشهق نفساً ثيقلا على صدره ... فتلاطمت امواجُ أحلامه بأشباك اللاذكريات...
وتراجعت كما العادة صهيلات الخيول... وتفتّقت بأرضهِ زلازلٌ جفاف ...

قرر الهروب من واقعه الجرير.... الذي غَلَبَ مستقبله الذي كان يحلم به..
ولم يرضى به .. وأهلا باتوا حيوانات اليفة روّضها الزمن البغيض وعدالة السماء النازلة بهم... وبهم فقط..
كيف لي النزول من ارض الواقع الى اعلى جبال الاحلام ...؟ ولو لسويعات .. او فتات دقائق..
فلقد تعب من أمله حتى صار الامل ملل....
يريد ان يُصاهر أنفاسه لجزء من هذا الزمن الطويل طوال حبال ملابسهم المنتشرة كصخور الليل وحصيّاته المتناثرة بتيهِ..
وأطلق الفكر لويحظات على ساحله.. وبين غروب وشروق..ونجوم تلتمع كغزل احلامه المؤلمة..
أهترئتْ عيناه لعنان أفكارٍ سحيقة..يعبرُ أمواج الصحو.. للايأتي .. وربما يوما قد يأتي بعد أحلام الصقيع..
نفضَ حامد عنه غبار الخيالات ومسح عن مقلتيهِ اثار نوم طويل مقلق فاصلهُ كان سراديب حمراء ارتقتْ عند أغنام الرعاع..
وبين فلسفة اللافلسفة ورقاد حامَ بسماء مظلمة .. أرتدى مظلّته اليومية بأبريق ماء وحمّام أحتمت به رائحة تأبى المغادرة منذ طفولته القديمة...
اصطاد بضع لقيمات رائجة لاطعم لها..أبتلعها عنوة..دون قهوة الصباح المفترضة التي تزورهم باوقات بعيدة .... وأستلّ حذائه القرمدي, وألتحفَ شارعاً زقيقا تحت أجنحةِ سماء داكنة بيأسهِ المستتر...
ماذا أنا ....؟ وماذا يمكن ان اكون...؟ ولماذا كنت هنا ...؟وكيف كان يمكن ان اكون لو لم أكن ما اكون...؟
يرى في جوفه استحقاقا يجتاز الخطوط الحمراء .. وخطوط أقرانه التي قد حُرّم عليهم تجاوزها او التفكير بذلك في أحلك الظروف...
فمن ذا الذي يتجاوز في سريرة سريرة قلبه خطوطا وضعتها السماء لتحمي خنادق الاغنياء المحصنة من أمثاله الهزيلين وتحت وطأة شمس الفقر المذّلة ...
لكن ضفادع مستنقعه الآسن تنقُّ بأذنيه ... وتزئرُ ألسنةُ سحاليها عن لئمٍ فائق العنوة...

هدئت قدماه عن سرقة الطريق نحو عمله المتواضع...حد الوضاعة...
وربما كان له رَمقاً لديمومة فسلجية ورضاعة...
وهو يعلم يقينا سبب هدوء رقاب أقدامه بهذه البقعة الرجيمة ...
فهنا أمام صدره الملتحي.. منزل من كانت لأحلامه بطولة الادوار كلها ...
ولمدارات سنين سارتْ.. وتسري.. ولكن .. وبعد هذه اللاكن أرباب حوائل...
فأين هو من هذه الروعة البهية أبنة أحد أغنياء حارته الترابية...
وليقل.. أبنة أحد أغنياء جنسه المحسوب عليهم.. ربما سهواً وخطئا ...
فحتى الحارة غير الحارة.. والمنطقة غير المنطقة..
كل مايذكر من جليلته إنها كانت شريكة صفه المدرسي الاول لأيام بكيرة ... وتناغمتْ معه صنفا من اللعب الطفولي ثم انتقلت الى أراقي المدارس الزرقاء كزرقة السماء العادلة حد سقمه... وهي تلفّ الاغنياء بعناية عجيبة و تحتضنهم بكل الوان حنان وتواري عنهم كل ما قد يمكن ان يعكر صفو سعادتهم ..ومعزوفة سمفونيتهم الساكنة دائما على شمم العلياء..
هناك .. أناخَ ببصرهِ نحو شرفتها البلهاء المتدلية من صنوان جبال رخامية...فتزاحمت في صدره الحسرات.. وخنقته فكرة وجودهِ العرمرم..
فأنتفضَ كعصفور أصابه البلل في يوم حالك أثلج...
وقرر.. كما كل مرة.. المضي نحو مالايدري له حسبانا...
هناك تناطحت في مخيلاته ثيران الالم المعتاد..ومرُّ صبرٍ لم يفارق طعم لسعتهِ صدره...
ولكن .. مالم يكن كالعادة.. أنه ارخى سدوله وأرجئَ عيناه ليست الى الارض كما هي كل مرة ..ولكن.. هذه المرة.. الى السماء..
فجرجرت عيناه غيمة من بضع غيوم متناثرة كوسادات حريرية لطيفة .. وأذرف بضع تمتمات أجترئها من سقر جوفه الحالم دائما بما لايجئ..

كانت عيناه تتوسلان سمائه المسافرة .. ورجائه ان يكون مايعيّه واثقاً هو حلم سيصحو منه ذات يوم على اطبال طرق السحور
ولكن لن يكون صوم يومه هذه المرة الا عن الفقر او كما وصفه هو (الذلُّ بالدُوُن)..
هنا... وبين غفلات ارتباك الشعور باللازمن.. ومن بين زفرات الشك الواقعي واليقين الحالم...
أطلّ من شحبُ البيت القلعوي ومن شرفته المشفرة بطلاسم لايفهمها الا اصحابه أو أرباب الغنى ومن أقرانه...
أطلّ وجهها ناعما.. سابحا بشعرٍ طويل كعباءة الليلة الفائتة الرائجة..
وبحركة يدٍ سحرية مجونة أزاحت ستارة شعرها للخلف لتكشف عن اروع آلهةٍ اغريقية للجمال المدلل باثوابٍ ممزقةُ الحوافر..
بدا عليها تتفقد الصباح لنوم طال بأحلام هديئة..
وتناحرت حولها الحمائم وزقزقة عصافير تدغدغ المشاعر من كل حدب وصوب...
فما يُرى ... له الف وصف ووصف... اقلُّها ابسط من رائعة..
أخذته صعقة البهاء الفاتن بها ... وكيف لا وهي قد أسرتهُ بين قضبانها منذ نعومة الاضافر ورجفان قلوب الطفولة...
وفي محيطات الزمن الثائر عليه دوما توهم للحظة انها نظرت لسور وجهه المتدلي..وتوهم أخرى انها شاركته سراباً لن يؤول...
وبين هذا وذاك.. أدارت له ظهرها الياسميني كنسيج ورد لن يذبل ابدا..
وأرتحلت بقوارب النجاة لغرفتها حيث تستقر أساطيلها.. او كما يجب ان تكون...
((ربما اليوم من اسعد ايام حياتي.. فقد رأيت ندى))
هكذا دغدغت له نفسه مقنعة اياه بقطعة قماش تمسح بحر اشواكه الغليظة...وشاركته خيالا أَخصَبَ مُرَّ عسله النجي المهتجن..
ودفعه ظهره النحيل للقدوم الى ماكان ينوي وأن يستقل الطريق الى حيث عمله السئيم حيث قدّرتْ له ذلك تقادير السماء..

هناك..في مشفاهُ الملتوية على نفسها والمستذئبة على شفراتٍ شقية حيث يعمل(حامد) بمصرف الدم.... يُطيل النظر احيانا لهذا الدم السائل القرمزي الذي يحرك فينا الحياة... بنعيمها..وبؤسها..
وتلتحم في مخدع افكاره احيانا استفهامات بتعجب...
: ((أيعقل ان هذا السائل العجيب يسري كما في الاغنياء كما في وضيع الفقراء؟؟؟ أيمكن ان يكون دم المغتربين ثراءاً يحملون نفس هذا السائل الشذريّ ببلوراته الزمزمية القصواء؟؟؟))
وكان دائما مايقطع هذا السؤال الشكيم صوت رئيس عمله : ((حامد .. اين الطلبية ؟؟))
فيعود يكابد أعناء بئر الواقع دون ولوج الى قناعة الاجابة...
صدريته البيضاء كانت قد طرحَ عليها نحل التجارب المختبرية بضعُ بقعٍ بين دمٍ او موادٍ كيميائية ندية,, فأَبتْ أن تفارق لونها الابيض بياض يومه من دون جديد الا من رتابة صماء...
أستطرق فكره هذه المرة ..مراَة من ماء عذب...وكيف لا... وقد برق في غيم عينيه اليوم صورة (ندى)... ولكنه لايمكن ان يميط اللثام كالعادة لأحلامه البسيطة كأمه التي رسم عليها الدهر الوان الشقاء بروعة فرشاة رسام تائه...
ربما كان اليوم بالنسبة اليه ليس كسائره...
وربما وجد فيه حُطماً لنار مائهِ الخضراء..كسُعرٍ من دفيئه..فترتقي بقبلات الدروع التي يغاويها مرحلة جديدة
وربما .. هو يرى ... انه ليس كالايام التي خلت منها الصحون العاريات البليدة في مائدة فكرة المفعمة...
تواترت في خلده المنصات اعلاما... وخواطر
اي يوم هذا الذي رأيتك فيه لحظات من الشرفة...
واي لحظات استرقتها من الزمن الطويل لأبني فوق قلاع الرمال روضة... كيفما ارى..
ولو كانت رؤية أحلاما مزيفة كما انا أعي هذا الزمن الابله...وكما أخمّن واقعا أملس من كل شئ الا المعاني... انا احسد البراري التي تستطيع ان

تطعم طيورا تحلق فتقف على شرفتها, او ربما احيانا نافذتها فتغيرُ نظراتها حيث لايحاسبها احد... لامجتمع .. لا فوارق..وقوانين سماء..
قد يعلم المجون انه اشترى مني عقارا لا لبسَ فيه...
وقد يعلم الألم البكر أني أنتفضتُ بكارته انتفاضا لا طلاق فيه...
وقد تهدئ الساعات التي تطيل علي ركودها الدائم ..وعلى حيثيات الشجون
ولم لا اثور باحثا عن عنق ذاتي ؟؟؟
ولم لا اصرخ قياما على رئيس عملي ؟؟
ولم لا استدرك مابقي مني على ارصفة المزابل ؟؟
ولم لا امسك حلما بيدي ؟ واودع واقعا صاغرا للغدِ فاه؟؟
ولم لا ابحث عن غدٍ مائل وناهق؟؟
ولم لا احفل بالأف ياء الهدوء والسعادة ؟؟
ولم لا تضمحل ايام الحرمان المرتّقة الممزقة؟؟
ولم لاتنهار صروح البؤس الشامخات على رقائق رأسي؟؟
ولم لا تفترش نفسي المتعبة لهجات فراش حفيف؟؟
وهل من بدير لذلك ايتها السماء العادلة ؟؟
وبين ترحّالات اعداده .. وصفوة مالايتوقع.. انتهى دوامه الصامت .. كسمٍ هادئ بسيط قاتل..
والجديد في هذا اليوم هو كما كل آخر شهر قد استلم راتبه الوضيع ككفنٌ هزيل لايغطي جثمانه..
وهاهو يواكب عادته القديمة التي أرتئب عليها منذ سنوات ...فقلّب كفيه يزاول جلده السحائي ..
وأستقل طريقه من جديد للعودة الى بيته .. أو كما يُسمى ..
لكن في هذه المرة أينعتْ في روض أفكاره الجرداء نباتات غريبة..
هي لم تكن غريبة بقدر ماتكون جريئة...وأيةُ جرأة؟..
إنه يريد ان يطلق العنان لأفكاره!!!
عصير أفكاره اللامنتهية عند حد.. لابد ان يبعثرها هذه المرة ...
بل انه يريد أن يروي ظمأه الذي طال وطال.. سنيناً وسنين ...
هذه المرة قرر أن يشرأبَّ لسان مبدئه ويحيل صديد بؤسه لعسلٍ تشتهيه العذاراوات والغانيات.. هذه المرة قرر ان يقرر.. وليس المهم كيف يقرر

وماهية طريقة القرار بالقرار.. ولكنه قرر التمرد.. اولاً على بؤسه..
ومبادئه.. وسوقه..وقيمه.. ودبقات روتينه المُهذئ..
سار بغير الطريق المعهود.. وكان طويلا مرهقا..لكنه مغايرا للمعايير التي أدمن عليها هوسا من الجمود..
أغلق عيناه كثيرا على مناظر لم يعتد عليها منذ أمد.. وتذوق نعل حذائه طريقا جديدا نظيفا برائحة الزعتر... ولكنه كان لابد ان يمر بسكنى بيت فتاته التي يعاقر بها احلامه الناهدة...
نظر الى غوامض البيت المغلق على نفسه أبوبا غلاظ,, والمدجج بالسكون الساحر كألوانه المتناغمة كمعزوفة سابحة في بحرٍ لجّي دون ارض...
دفع بعضديه يواري سقم أيامه ويُمنّي نفسه ان تولي هذه الايام ادبارها..

ولكنه لايعرف حتى كيف؟.... ربما هي أمنية ألقتْ بسافرها في دجى ليلهِ الحالك إلا من نجومٍ يرتسمها هو عسى ان تهتنئ لوحته الناعمة بنومةٍ هانئة ...

يا ايها العصر

متى الظهيرة...

تزاور غروبا..

ومتى تسعى

اورادي من الشوك هروبا..

ومن القطيرات

نجورا..

وحروبا..

أجسادا..

تناثرت

كقصب الغريق..

تفالقت

تُنائي..

بريق الطريق

وأصواتا تعالت..

بألحان ونحوبا..

وقلوباً صغاراً

وبقايا آثار..

الحريق

هكذا قلّب كفّي بصره.. ولملم سرابه وعاد لمنزله...
نظرَ بكربٍ هذه المرة لعتبة بابه الغائرة بأرض بالية... وأحس بخشونة مقبض بابه القادمة من زمن الضباب...
شعر بجوعٍ يريد ان يرضيه بما يشتهي هذه المرة وليس بما فُرض عليه دون كلالة ... وطبعا لم يجد ضالّته في هذا البيت الساكن وسط عواصف الازقة التعبة .. والتي انهارت تحت اسبال الزمن...وعندما رفض طعاما أُعدَّ له .. أُعتبر قد رفض احدى نِعم السماء الزكية والكريمة جدا ((إلا معهم)) وانه بذلك قد يُحرم منها شاء ام ابى...
فكيف يرفض نعمة السماء.....؟؟؟
ولانه رأى غبن نظرات الاخرين ترفس رأسه لإعتراضه على سخاء كرم السماء في بيته او اشباه بيته المنطوي تحت اطلال الظمور... أرتأى ان يخرج عسى ان يطمئن معدته انه سيواريها الثرى في هذا اليوم بين ثريات ما تشتهيه ومهما يمكن ان يكلف الامر .. وليس المعنى بداخله الا انه يريد هذه المرة تمردا... خافيا علنا على واقعه السقيم...

أرتجفت حواسه للحظات لانه قد يخرب برنامجاً ارتاب ان يخربه يوما..
ولكن.. ألا يكفي سروحا بالخوف مما يتوقع؟... ومالهذا الواقع قد استسمك بالعروة الوثقى معه ؟؟..ومعه فقط..
حمل قراطيسه بحقائب اصراره الملقى بوغى تمرده الذي ارتمى في احضانه ولسان حاله ((وليكن مايكون))..
هناك في احد الاحياء الفاخرة كما اجساد ساكنيها .. يوجد مطعم تناثرتْ عنه تباشير الاشاعات.. بين اضراس الناس , ورُحى افواع الاعلانات عنه تلفازيا..
هو ليس الأعلى لكنه ضمن السلسلة الفاخرة ... قرر (حامد) لَملَمتْ رباطة جأشه وشجاعته التي تريد الهروب من هذا الواقع بغزارة..
وتوجه للمطعم .. ودخل المطعم.. وتكاد تخوناه رجلاه اللتان جرّهما مرتحلا... كمن ينتحر..
كان المطعم يحمل النكهة الفارهة والتي طالما حلم ان يستقي منها مقعدا... لدقائق..أرتبك للحظات .. وتردد لدقائق طالت عليه كطول ساعات عمله المنهكة..شعر باحراج يصطف له شعر بدنه كجيش مصنّف..ولكنه كان هذه المرة مصمما أن يغور في محيط التمرد غائصاً.. ومهما كان الثمن..
ربما وجد انه قد يصبح مدارا لأفلاك سخرية الحاضرين من رقي القوم.. او هو هكذا يراهم..
استلّ كرسيا من خمج سكونه .. وجلس تتوئده افكاره..وخجلا وارتباكات متصارعة بين كتفيه..
تلّفت بأنظار خفية لمن يمكن ان يكون منتبها اليه..سمع ضحكة في زاوية المكان..فاعتقد واهما متوجسا ليقين انها سخرية منه...
لانه ربما تصرف بغير ماكان يمكن ان يكون (للأتكيت) الراقي ان يكون .. ودنى ببصره يحوّله الى حيث مصدر الضحكة التي سرت في بدنه كاللهيب في الهشيم.. فكانت مجموعة من الرفقة المحلاة بالوان الرخاء يُداعب الفاظهم بعضهم بعضا... تجتريهم ضحكات من القلب الممتلئ بزفرات السرور والفرح..ويذوب بعضهم بنعيم بعضهم.. فلا هموم تحول بينهم... ولا اعتبارات لبرنامج مصروفهم الشهري..فهم يُسرفون بذخاً دون المٍّ ينغزُ في الصدر وجعا... بل هي أراضيهم الفُلات دون قيود..

هدئتْ روحه هنيهة.. وبصق نظره لقائمة الطعام المنتصبة بوقار..
ودقات قلبه تنبّئه بشدة عما يعاني من ارتباك..
تصفح القائمة.. وكانت عيناه تتبادل التراشق نحو الاسعار لا نحو الاطعمة .. لانه لايكاد يفقه شيئا من اسماء هذه الاطعمة.. ولايمكن له الفتية فيما هو صيوان فحواها..
حاول ان يطلب ارخص الاصناف ثمالةً.. ولكنه وعد نفسه الخائنة اليوم لحياته المرتابة ان لايحسب حساب الا مايمكن ان يحويه جيبه.. وهل يُعقل انّ راتبه الشهري كله يؤول دون وجبة واحدة كيفما أشتهت..؟؟
صحيح ان هناك العديد من الالوان في هذه القائمة الشاهقة توازي راتبه الشهري بل وتفوقه بأفواق..
والادهى سمكا هي المراسيم التي يطلب فيها الطعام دون ان يتلعثم بالاحراجات.. والكيفية بالتسديد ومن ثم رسوم خدمة .. وربما بقشيشا لاقدرة له عليه .. فيصبح مسرحا مفتوحا لفكاهات الاخرين..
ولكن تذكر ((رائد)) وهو أحد أصدقاء عمله, أنه يوما قد تذاكر صحبة احد الاصدقاء المترفين حينما عزمه ودعاه الى وجبة في اشباه هذه المناحر..
وكان رائد يسردها عليهم (تلك الحادثة) باستمرار على جلساء رفاقه بالمشفى حتى صارت نشيدهم الوطني فحفظها القاصي والداني..
حتى رأى حامد ان وقت قصة (رائد) قد أزف الان ليسرد أحداثها بشكل تطبيقي على مسرح جريمته التي تسوّل له نفسه بها والتي يحارب لظيظها بشكل انفصامي متعجرف خطير..
صحيح ان قصة صديقة (رائد) البلهاء لم تنتهي حتى اكتشف صديقه الثري المزعوم كان يتورّع في محراب عزيمة صديقه بمناسبة زواجه ليتلذذ من نظرات عروسه الحديثة المراء.. وانه كان بذلك يبتغي مدخلا رائجا وعاصفا لعلاقة خيانة شديدة المراس من عروسة (رائد) البهيّة الشمائل مع هذا الغني الذي لم تشبعه اصناف الوان ماحوله ,فأرتمى بين صداقة وهمية وهدايا ثمينة وثمينة لدرجة انها تنصهر بها حواجز مايريد... ليصبح المرمى له سهلا ويسدد لهدفه اللئيم.. وكيفما يشتهي..
وعندما أكتشف (رائد) الامر الذي لم يكن بخافٍ عليه .. تباهى (رائد) بأن زوجته الصارمة البهاء قد انبهر بها احد الاصدقاء ((او كما يرتوي من

هذه الكلمة))..عندها سكت (حامد) في مشفاه وهو يرى ان جريمة الاغنياء تُعدّ مدحا وخيلاء...
وان خطيئة المحروم (البسيطة) هي ذنبا لايغتفر..ولن تغفره السماء العادلة...

فحيح الحروف
أثقلتْ فراولةً
بطعم البرتقال..
وَرَعتْ
سحالي
ضماد الصوت المزكّم
بالكنود
بي نمتْ
عملقةٌ صغيرة
ونجوم... قريبة المنال
رقيمنا ما صحى
أبدا...ونهارات الصمود
وأصبارُ شوكٍ
فرقته
أفاعٍ....بلا جدران
أنيري .. حلكتي البيضاء
صوتا
صراخا
ظلاما
بسماد....

هنا أنتبه حامد لقرئتهِ.. فتنفس زفيره الصامد امام نبضات قلبه المترقرقة كطحلب احمر في يومٍ لانهاية فيه... ورأى حدة نظرات النادل وسياطها (أو

هكذا كان يظن).. ربما انه قد تأخر بطلبه...كما تجري العادة في مقهاهم الشعبي والذي يرفض صاحبه (ابوصباح) الجلوس في مقهاه دون طلب شراب يرتعي منه أودية ملابسه الفلكلورية.. وربما هي ليست فلكلورية ولكنها أكتسبها من اجداده كما اكتسب مقهاه ومناعته الطبيعية وشعره المختبئ دائما خلف فلكلوره الباهت جدا...

حينها قرر (حامد) أن ينادي على النادل ولكنه شعر بأنه يجب ان يناديه بأسلوب ربما يراه هو ينسجم وطريقة تكييف المكان وزينته الفاخرة.. فحرّك أليه مومئا بأصابعه الغليظة.. وشعره المترامي السقوط وهو يحاول ان يعيده الى مكانه لانه قد غادر محارمه...

طلب من النادل مالايعرف.. فأسرّها النادل في نفسه ((انه جديد))... يتداعى للسقوط في شباك النادل الخبيثة خُبثُ جارتهم (ام سلوم) التي لاتنفك من الحديث عن القادم والراحل والفائت لمن هبّ ودبّ وصوّب طريقه من نواحي اخرى..

شعر (حامد) بغبطة... مختلجة بأنياب الندم ومخالب تأنيب الضمير الغائر في أمعائه.. انا اليوم سيداً ورفيع المقام..وليس كما عهدتُ نفسي البئيسة... وينادية صوت بطن أذنيه وهو يحاول التغافل عنه قسرا :((وكيف ستقضي بقية الشهر؟!.. ايها المتوحش البربري.. وربما لن يكون لك الا ان تتنظر الشهر كله بأجحاف اللقم من أجل دقائق جلستها على كرسيٍ كأريكة جدّك الغائب عن الوعي الحاضر))...ولكنه كان بين هذا الصراع وذاك يقاوم رغبته بأنه اليوم قد تمرد عن بكرة ابيه.. فأصطنع لنفسه سعادة (ولو هدهدة) بأرجوحة هذا الزمن العقيم...

أغمض عينيه تارة.. وأرتحل بفكره وخيلاته كعادته التي يخدع بها نفسه ليصبّرها على ما هي فيه.. بانه يوما ما ستكون هذه الوجبة النادرة ليست

بحلمٍ وتحدٍ لكل مراسيم حياته وفنائه بل ستكون عادة يكررها كل وجبة ...مع نديّة احلام صباه المشرق بدجى سهاده...
تمنى ان يراه رفاقه في المشفى الرقيم وهو يتعرش الكرسي غير آبه لجريمته النكراء وكأنه يتمُّها بدمٍ بارد..وأية جريمة نكراء...سوى انه تخطى اليوم ارتال الذل المرتدة....
قد يحسدوه... او ربما يجعلونه قائدا لفريقهم المنشغل بتدبير امور المنزل من الشهر الى الشهر,, وهذا هو سيّد حالهم...
عقد حاجبيه امام روّاد قد دخلوا تواً ليوهمهم بانه شخص مهم ذو وجاهة تستئهل منه ان يكون عصبي المزاج غير متورد.. فيبنوا له (في باله) هيبة عدم التمادي في طرح أسئلة نظراتهم عليه, او ربما هكذا كان يتوهم..
أسردَ بعينيه عبر زجاج المطعم المظلل .. راى احدى المركبات الفارهة تقترب من المطعم فينحني لها حراس المطعم وحاجبيه أجلالا لصاحبها الموقر ويفتحون لها اسواراً وهمية وضعوها لخصوصية محلهم .. رصّ سيارته بروعة مبضع جراح ماهر... ترجل منها تهتابه النسمات, وتبجّل له احتراما بأن تزاغب شعره المصبوغ بسوادٍ داكن يعبّر عن عنوان ابيض ارتعبت منه الايام....
كانت ثياب القادم انيقة .. انيقةً حد اللهاث..وتنم عن رسمية الشخصية التي يرتديها.. ومن الباب الاخرى للسيارة نزلت ثمرةٌ كأجمل ثمار الكرى .. بخصرٍ متقد يفاعةً وصبابة..وبشعرها المخصّل الواناً والمرتحل الى جسدها الذي يكاد ان يغطي من ثوبها الا ماتحت الثرى...
تمايلت بخفة دقيقة..كادت ان تكون بعمر حفيدته الا ان بهرجة الابهة التي هو فيها حالت عن كونه بعمر جدها ...
تبادرت الى ذهن (حامد) أنها حفيدته المدللة..كما يسمع عنهم في الروايات التي تملئ افواه الجياع.. ولكنه تفاجئ بحركتها اللولبية وهي تتقافز من هذا الباب الى ذاك باب سيارته التي ترجل منها .. وتحضنه كعشيق وهي فرحة كفرحةُ الام العقيم بابنها البكر....كانت تكاد لاتعير اي اهتمام بما يمكن ان يقولوه الاخرون.. ومن ذا الذي يتقوّل عليها..؟ فهذا الكرش الممتلئ جدا..

حداً يصعب معه المشي والنهوض من مقود سيارته الوثير.. تتمناه كل ظبية في حي (حامد) بل ربما في كل البلاد .. وربما حتى في البلدان الاخرى...
أقتربا من المطعم ودخلا اليه وهي تتهامس بإذنيه عشقا وغزلاً وشفتاها كالكرز البريُّ لايبتعد أنجاً عن بشرة خدوده السافرة ذات الشقوق الزمنية الشديدة بتخفٍ خلف نواعير الترف التي حاولت فاشلة تغطيتها..
فتح لهما الحاجب الباب...حتى اصبحا في مرمى معايير(حامد)...
وياللهول... انه ((ابو رامي)).. تاجر العملة المعروف في بلدتهم , ومن لايعرف ابو رامي وهو يملك من الحي أغلبه.. وكيف لا يا(حامد)وانت لاتنسى ماأصابك معه قبل سنتين اوثلاث عندما تسلّمت اخت حامد (حوالّة) من زوجها المسافر لبلاد قتيمة يكابد أسراب عذاب البعد عنها وعن اطفالا كاليرانع...أحلى اوقات زوجها كانت عندما يرتعون اطفاله في روضته ويملئون البيت صخبا ولهوا وضحكا بأبيهم القادم اليهم برجعٍ وعودة...فكان إن ارسلَ اليهم مبلغا من ربيد غربته النجواء يقتسمون به شيئًا من ابسط مقتنيات المائدة السخية للسماء الكريمة...
فثيابهم التي تطول عليهم مواسماً يعرفونها كما يعرفون زوايا بيت جدتهم المستأجر.. فدفعت أخته (لحامد) بورقة فئة العشرين دولارا بغية تصريفها بعملة بلدهم المتواردة والتي غدت ضحلا امام جبروت محيطات الدولار الخضراء... فذهب (حامد) يسارع الخطى لأبو رامي طرفَ البلد السامي.. وهو يتبختر بخطاه فهو يحمل (عملة صعبة) يقلّ من رأها في أزقته...
فأُزفَ السمع لابو رامي نيته بتصريف العشرون دولارا.. فأدار وجهه كأن لم يسمعه وهو يعدّ شلالات من أشجار الاوراق الخضراء.. اخذها ابو رامي منه دون ابسط حقوق رد السلام المتعارفة... هناك تلألأت في عيني حامد صورة اطفال اخته البهتاء .. فقضمتْ أضلُعه تذكرة كان قطعها في اول النهار (من نفس اليوم) وهي صورة صديقه (رائد) في المشفى عندما عثر على ورقة خضراء هي الاخرى عشرون دولارا كان وجدها تتسكع على قارعة الطريق المُسجى... إلا انها كانت مثقوبة الطرفين.. ربما كانت بصمة لسيكارة أحدى الغانيات وهي تعجُّ بخمرة سُكرٍها منتشية لإسعاد احد الاغنياء بعدما أهالِ عليها فئات عديدة.. فتململت من تقبيل سيكارتها لهذه الورقة فرمتها شرَّ رمية لمعبد الطريق.. حتى وجدت ضالتها في (رائد)

الذي سحرته الوانها الرارنجية الملمس كعنقود عنب عازب..فعرضها على رفاقه ولسان حاله (من يشتريها بنصف الثمن؟)...
وداسَ الخِبال بروض حامد...((لم لا أشتريها من رائد ؟؟ وربما بأقل من نصف سعرها الذي عرضه أقتيادا...؟؟ وربما قد استطيع تحريرها كشرنقة صغيرة على وريقة ضمن اشجار غابات الورق الاخضر, الذي يخنع مستسلما مستكينا بكل الرايات البيض ليد لابو رامي... وخصوصا انه منهمك بارتال جيوش جرارة منها ..فلن يبالي بالامر حتى وان اكتشفها بعد حين...
وبنفس النهار من ذلك اليوم الشديد السخونة .. كسخونة حرارته التي ازدادات لهيبا وهي تستعر عرقا بجبينه المرقرق بين الخوف واللايمكن ... ((يتذكر حامد ذلك اليوم جيدا)) ... وكيف دنى ابو رامي يتفحص وجهه الشاحب وهو يعرض عليه (الورقة المثقوبة) قصد تمريرها....((هذه ثاني مرة يأتي بها اليه هذا الشاب اليوم))..
دفع (حامد) اليه بالورقة وقد لفّها بصورة ظنّ انها محكمة ..وطبعا ماكانت السماء لترهق ابو رامي بهذه الشرنقة على اوراق غابته.. فأثارت فيه غرائز الطبيعة كلها التي وضعتها فيه...فهي له عاشقة كعشق الطيور لأعشاشها وقت الغروب الدامي ...
فرمقَ ابو رامي كفيه يمدُّ بساط الورقة براحة انامله النعماء..
وعيون (حامد) تراقب بتوتر متشنج من شعر رأسه وحتى مخامص اقدامه المتسمرة كوتد أثار بلدته التراثية.. تلاقت امواج جبين ابو رامي وتلاطمت مستغربة تارة ومنزعجة كل الانزعاج تارة اخرة ..
_ابو رامي: ((ماهذا ؟؟!!! ...هذه الوريقة غير صالحة للتداول ... ولاحتى للتناول لفأرة المجارير العفنة السحيقة في بيوت مقابع اهليكم.... كيف تجرأتَ ايها اللص الطارق بأوتار الحرام ان تسول لك نفسك تمريرها علي؟؟ سأبلغ عنك السلطات .. وأولي الالباب .. ليمشوا في مناكب إدعائي عليك... وحتى اخذ من ارض حقك موطئ قدم ثقيلة لي))

هكذا أشرهة ابو رامي مقولته التي تعالى صداها في فراغ اذن حامد المتقشرة من كل لب الا من صنين مغاراته العذراء..وهو مشلول الحركة

وكأن افعى اغرزت نيابها السامة والمشلّة لاجهزته العصبية والعضلية لدغتها..

وبصوتٍ تَقطَعه رشائش عرقه المتصبب من بين مخالب شعره المهترئ والذي فتك به كثيرا امام مرأته الملوثة حتى يصفّه بما يمكن للاخرين ان يَشِرحوا بصورته..

تداعى امام انهيلات (ابو رامي) وكاد ان يفقد وعيه ويخرّ ساكنا لولا ان استنصر برمق فحولته الاخيرة فأردف قائلا ((مالأمر..؟ ومالذي يجري..؟ أيمكن ان يكون قد خدعني من باعني اياها في وضح أجنحة النهار؟؟..)) قالها وهو يحاول حياكة الامر وتلتيبه بنسيج مهترئ مفضوحةٌ خيوطه

_ ابو رامي : أنها مثقوبة كرأسك الاجوف ..صاح (ابو رامي)

_ حامد: طيب.. من فضلك أعدها ألي لأتابع من باعني أياها وأحاول الحصول على مالي... فانا..قد..يمكن لي.. ان اساور الشخص واترقب مكان تردده لعلي ابلغ ألاسباب أسبابه وامسك به..

_ابو رامي: وهل تظنني بهذا البله ايها المتحاذق؟؟؟ لن أُبرحك أرضي حتى أسلّمك ومن مثلك وامثالك للسلطات الحازمة التي تسهر مع السماء لتحميّني ومن مثلي من براثمكم ولتأخذ حقها الصحيح وتقتص السماء عدالتها الابدية من سنين عمرك القائض....

_حامد : لكني لم أكن على علم بها سيدي ...(توسلت الحان أنغام حامد)

_ابورامي : حتى وأن لم تكن على علم بها ... فعلى الاقل اريد أن تكون عبرة للاخرين كي لايتجرأوا على اعاليهم من الخلق الاخر .... فنحن كلمة السماء على الارض..فأنا أريد لعدالة السماء ان تجري على هذه

الارض السمحاء التي تترافس بأمثالكم ومأأنتم عليها الا لخدمتنا نحن الصفوة التي اختارتها السماء لا غير..(أردف ابو رامي)

وقال...

لابد لعدالة السماء من جنود ينطقون أوديتها السهلية وهضابها الخملية....أعطيني عنوانك القرمزي... انه بالتأكيد في أحدى أقزام الحارات المنتسبة عبثا على أحياء البلاد....
وأنه لأكيد مستأجر وأنتم الظلمة الظالمون تصطكون بظلم وتطبقون بفكيكم عليه دون رحمةً بمالك الدار المسكين الذي هو ايضا احد جنود عدالة السماء فصبرَ عليكم وعلى طغيانكم ومطرقة رعاتكم الهشيمة ...(قال ابو رامي)

وكانت هواجس تراتيل الارض لعدالة السماء لابو رامي في محلها...
فحامد ليس الا احد ابناء الازقة النحيلة حد التفرد...وماكان من سكنة الدار الا ليخضعوا لأبتزازات أجندة السماء وعدالتها السرمدية... فزاد من الطين بلّة ...أو كما يقولون
فقرر ابو رامي أن يقتنص من حامد ويسلمه صاغرا غير حانث لسطات المدينة التي تئن لرقبة ابو رامي الغليظة ولألوان بزته التي أضاع من القماش امتارا عديدة لتأتي بمقاسه ..
حتى خنعت تتارات التوسلات من نساء ورجال وحتى اطفال أقارب حامد أمام مارد وأصرار (ابو رامي) المجحفل ... ومقابل ما يطلب من غرامات يفرضها (ابو رامي) ليهدئ من غضبه ويسكن .. وتحقيقا لعدالة السماء..
وليرمي أوبئة الخمار على الموضوع ترفّعا منه وأجلالا اليه... رضخ ابورامي بقلبه الممتلئ حنانا كمعدته الممتلئة الوانا بأصناف الطعام الذي تتحسر لعينةٍ من أحد أصنافه افواه الاف الجياع المختمرة....
وقرر ان يعفَّ عن (حامد) مقابل ان يتخلى عن نصف راتبه الذهبي لابو رامي ولثلاثة اشهر .. فهو لن يترك الموضوع يمر سدىً وبسلام

طبعا...وهذا أفضل مما يمكن ان يكون من ملاحقته بين رنات نوطات السلطة..
وعاد يومها حامد الى بيته مُلاما .. مُحتقرا..والكل قد أصبح له ناصحا وحكيما لزمنهِ الاتعس.. تنظر اليه العيون ملاحقةً اياه بنظرات الاجرام..
وكأنه حاول ان يهز عروش الكرى فيسحب البساط من تحت أقدام ابو رامي الذي لايتعب قلبه ابدا من الجلوس بهذا المطعم الفاره.. ولاوقات ومرات عديدة وكثيرة وبل حتى (ربما) المبيت فيه..
وبَقيَتْ اثار عملية ابو رامي الجراحية لحد اليوم على حامد الذي تزعزعت صورته المندائية عند كل من يعرفه .. حتى كاد ان يستل إزار (من اصحاب السوابق) فيلقم فيهِ فاهه..
وصورة (ابو رامي) الماسية تدق اعناق أهل بيته المترغين أشباهاً..
وأقتصفت صورة (حامد) وكأنه أقترف جُرماَ عالي الفولتية..
((فكل ذنوبكم ايها الاغنياء حسنات تتصدقون بها على من يُحسبون على جنسكم.. ومن قال انكم لتحسبونهم كذلك... حتى الطيور البهية.. والناطقة لاتنطق الا في رياض قصوركم ...اما ذنوب الفقراء ولِمَمَهم ... ومهما تضاءل صغرُ مجهرها فهي ذنوب عفراء لاتغتفر... والسماء لها بالمرصاد المعتبر..فأذا أعدم السطان ماشاء من بريئين.. حاشية شعبه بجريرة اخرين.. فهو مغفور الذنب و يُلقّى نظرةً وسروراً...!! أما اذا استباح الجياعُ ارضٌ جرداء فقد اكلوا حراماً وباءوا بغضب السماء...)) ...هكذا أسرّ حامد نجواه يومها وبقيت تلافيف عقارب مطرقة الحارث تدق على رفات رأسه عقودا من الشهور..
فجأة قطع قلادة ذكرياته الأليمة ..المذلة .. وكل ذكرياته أليمةٌ مذلة ..بل انه يخشى الجلوس وحيداً او السفر طويلا حتى لايظل يحاور نفسه بماضٍ يجلجل في ناقوس جمجمته الصلبة..
قطعها صوت نزول أطباق صغيرة من الطعام على مائدته الملونة بأبريق من الزهر(لعباد الشمس) المتواضع لشمسه..وصحن كرستالي.. ورقم احمق ينطق بأسم المائدة..
((يا نفساه.. يكفيني فخراً أني جاورت اليوم مأدبة طعام أبو رامي...)) قال في سريرته وهو يتلصلص بنظراته ويطقطق أصابع قدميه المختبئة خلف

جواربه المتشابك التمزيق , ولكن عنقها السليم يجعلها مقبولة اللبس لحد ما ,فهي لايظهر منها الا الرقبة بين البنطال والحذاء..
نظراته تتوارى خفيةً لابو رامي الذي لايذكر من حامد ولامسماراً من هيكلِ قصةٍ أدارت رحاها عروات كبيرة في حياة حامد...
هذه الظبية الغنّاء والمتدفقة صبابةً ورشاقةً ودلعاً انوثياً باهض الطبيعة ... تذوّب عند حركاتها المدللة كل اقوات الرجال وتنهارُ عند ساقيها الممتلئتين تخصراً كلّ أشاعات القدر اللئيم..
نعم .. فهذا ابسط حقوق ابو رامي القائمقام على تنفيذ عدالة السماء بحق سعادته البهية..
تضرع الى السماء وعدالتها ان لايتذكره (ابو رامي) فيرمي برميم عظمه الى الباحة ويفتح شهيته في تحقيق عدالة السماء على اكتاف (حامد) الذي كان لايمكن ان يكون في هذا المكان للحظة...
مشغولٌ (ابورامي) بملاصقة خدّيه وفمه المحتقن بالنهود الناهدة حديثا وهي نابتة للتو في صدرٍ مصقولٍ وهي تتمايل فرحة بهذا التلاصق المغامر في أجواء سماء الغرائز الجديدة المسامع على أكف هذه الممشوقة الشهية وهي منتشية بهذا الشعور الغريب والجديد الذي يداعب كل شئ فيها..وهي لاتكف عن مصارعة أفخاذه وسيقانه بسيقانها الرخامية الجهراء كقرصها الدوّار..

حاول (حامد) أن يهنئ بصحونه المتنافية في سوح وغى سديمه.. و أكلَ مضطجعاً بأفكاره وهو لا يعرف مايأكله او كيف كان يكون طعمه.. فهو

أصلا غائما عن دراية ما يأكل..فهمّهُ كان كسر حصاره الجائر وليس الطعام بعينه...
تمنى أن يتأخر الطعام .. وربما ليته لن يأتي .. ليطيل جلوسه على عرش نفسه داخل هذا المكان البهي ... ولكن الامنياتُ أمنيات , لابد للواقع من الظهور مجددا على خشبة مسرحه البالي..
فرغم تباطئ صريع لكمات أكله..فهو كان يراه سريعا كالبرق الذي يمدّ يده من السماء العادلة ليزرع الخوف في قلوب من يريد التمرد على عدالتها...
أنهى متأسفا وجبته وأنغام موسيقى هادئة ماصفقت ان تفارق مسامعه ...
فهي عادة المطعم الفاره , فارهاً طول قامة البناية التي هو فيها كمارد بأرض السويداء..
أغمض عينيه لحظات يبتهل من ريحان عروقه ان تتنابض بهدوء يفقد فيه الزمان وعيه وينحسر بزاوية حادة عوراء...
وغاصت به أعماق محيطاته الباحثة عن المجهول في تيهٍ صاخب.. فالطعام انتفذ ..وهنا قد يمكن له ان تصرّح مائدته عن أعلان أسم الزبون الاخر ليحتل عرشها...
حاول المماطلة بطلب شاياً ..أو شراباً..لكنه الاخر تبخر كما الوقت السريع بأركانه يجرها سعياً..نفض البلل عن ريشه المنقّع بمطرِ المطعم.. قد آن أوان الرحيل والعودة لقبو واقعه المرير...
فجَرَ رجلاه التي تطيعانه دوماً الى باب الخروج الذي وجد فيها مسافة غير منصفةٍ بحقه..
فتح له الباب الحاجب الذي يطيل النظر بأبتسامة تقرءُ فيها (البقشيش) الذي يكاد أفلس ما بجعبته من رصيد ... وهنا أستمال برقبته المتنحية وأخرج بقشيشاً.. ولانه لم يكن معه(فكة) من الفئة الصغيرة ..فوجد نفسه ضامراً في شرك خجله الذي لايوجد له حلا منذ دخوله هذا المحل الحالم.. فتبسم

الحاجب متشكراً منه (كما فعل مع ابورامي منذ دخوله والذي لم يدفع له اي شئ)..
فأدار رأسه له.. وخرج بخفي حنين.. كما أنتهى به المطاف عند نهاية كل شهر.. عدا ان الفرق.. هو انه في بداية الشهر...!
فتح باب المطعم .. وفُتِحَ معه إزار خيمة واقعه التي تنتظره بصبرٍ فارغ قلّ نظيره.. وعندما أنتخرت براميله النهادية عبر معبره النامي ... هناك ... وبعد الباب بخطوتين .. أرتطمت رموش أجفانه بما لايمكن لحدقته ان تتصوره .. أنها فتاته السمراء النجية تسحب خطواتها كأنها ناقة جرّاء فريّة ...وكأنها تتجه لهذا المطعم الراسب به ارباب الثراء...
بل انه للحظة توهم (أو تمنى) انها متجه اليه تريد سبل الإزار عن صمت طال انتظاره عقوداً من الزمان... وبثوبٍ أخضر كثُرت طياته بين الاكتاف والصدر والبطن, ويكشف عن مكنون لؤلؤ مساحات شاسعة من صدرها وظهرها وسيقانها الدقيقة .. وتتناسب جدا مع شعرها الراحل دوما للاعودة ..تُرصّع يدها ساعة كسوار كسرى التي تناقلته كتب الاثر.. وشريط أصفر يلف منحني رأسها الرائع الانحناءة ...
وفي هذه اللحظات القاسية .. الرائعة الترقيب .. ضاع (حامد) بين الكان واللاكان .. وأبجدية الواقع المنتحر على شاطئ وجوده الخيالي...
وفرّق صمت هذا الهول البائن ... صوتها الرخيم الناعم كهدائل حمائم البرية ...وهو يناغي بلحنٍ قلّ نظيره ابداً...
_(ندى) : أو لست انت حامد؟؟!!..تصور للوهلة الاولى وكما هي عادته النكراء انه بدء يعاني الهلوسة التي وصلت مُراداً بأن تكلم طيات خيالاته محارات أذنيه ...فما كاد يُجيب... وكيف يُجيب من لا واقع له إلا في خيالاته

الأبرية ..أبرية حتى شاكت لها مضاجعاً بقوالب لا تأبى مغادرة فراشه حيث يتركها كل يوم...
(ندى.. من جديد) : أولست بحامد الذي كان تلميذاً معي في حلقات الدراسة الأولى؟؟...
تيقن هناك انه ما كان هذا وهماً ببقيع صحرائه ..انما هي ارداف أصداء صوتها تجره عربات ثقال لمسامعه القمرية...
_حامد : (نعم...نعم...نعم...أنا حامد ...) أجابها بصوتٍ قرقرته الصدمة و تجاشمت حوله فِرقاً من عازفين ... (نعم...نعم يا ندى...يا بحراً مختلطاً بين الشذى والنجى...يا نوراً طالما ارقَ ليلي الطويل المرتدى...نعم يا ندى)...
قالها في سره ...و هو يكاد يطاول الجبال شموخاً وفرحاً...فهو لم يعهد الفرح إلا بصالات معابده الخاصة .. حيث ترنو كل لحظة جنب فتاته الباهرة ...
هناك ارتد لصدى كلامه جواب من ندى : (نعم انا اذكرك جيدا ... فانا احمل في رأسي ذاكرة نقية كنقاء الشمس) وأرتحلت عيناها تعبث بنشاط كل زاوية به...
أحتار (حامد) كيف ينتقي الكلمات التي قد تثير شبقاً فيقع إرثه عليها وتبقى لحناً علّها تَذكِره يوماً اَخر اذا رأته ...
_(حامد) : أنا أكاد أذكرك تقريبا.. أنتِ أبنة الرجل الثري الذي أضظرته الظروف ليودِعَكِ مدرستنا ولأيام لم تعتد عدتها الشهر..وأذكر اِنّا كنا نتلاعب بخفة الظبى عند مراعيها الامنة ... نعم أذكر ذلك بكل سخاء يمكن أن ترتديه عروساً ليلة زفافها...
نظرت اليه نظرة عقدتْ معها حاجبيها المرسومين بأبداعٍ يئن الوصف بها مستنجدا بالرحمة عَجَزَاً.. والابتسامة ترقرق وجهها الذي لم يكن يوما ليكون البدر بأكمل منه توهجاً وحضورا..
فأردفتْ : (تعال لأدعوك لغداء.. فهذا مطعمي المفضل..فتباغتت تَغيرُ على أنفاسه هجوما من مشاعر ارهقتها صعودا ونزولا في صدره الضئيل..

مشاعرٌ لايمكن للواصف وصفها الا بجليل جلّ مايعرفه أنه لايعلم كيف ادارك أرادته وبقي صامداً أمام غزل أوتارها الجبيلةُ المجرية..
قبضتْ على يده بقبضةٍ سامرية نجباء..وسحبته دون ان ينبس ببنت شفة الى الداخل من جديد.. وهناك الطاولة هي التي أختارت ندى .. فهي تعرفها كما تعرف هذه الموسيقى الخاملة بعاداتها اليومية في هذا المطعم..
جلسا الى الطاولة .. والرعشة المرتبكة تتناغم مع دقات قلبه الخافقة ... وبين الشك واليقين تسمّر حامد ضائعا وسط سماء محيط لاأول له ..ولا اخر وليس من رفقة فيه الا هدير أمواجٍ متلاطمة كصراع ثيران شوقه الهائج .. تمارى بين فكيه يريد تحريكهما لينطق بأي كلمة علّها تسعفه وتعبر عن قطرة مما يود قوله.. وكل امانيه عبدتْ تحت اقدام امنية واحدة تصرخ في كل جوفه الحالك ((هل انا مازلت نائما أتوسد وسادتي القديمة قِدَمَ طفولتي العاريةُ من الطفولة ؟؟؟!!))
هل أنا احلم ؟! أم أجد نفسي من شدة ولعي بندى بدأت اشكو أحلام اليقظة المحلاة ببعض ماأشتهت نفسي المريئة؟؟؟.... لكن لا.. فهاهي تتراشق أمام ناظريّ كمراَة القصر الملكي في العصور الوسطى ...وعطرها الذي لاعنوان له في ذاكرته المحدودة الاطراف بهذه الاودية كان يُذكي كل الاحاسيس ماتناثر منها وما التئم على انفه وكأنه روابي النجاة...تصلّب امامها كماَذن الحي الملقاة على الارض بين الخِرَب الهزيلة ...تفور (نداه) جمالا وسحرا وصبابة كأن فارق العمر بينهم أدركته الايام... ولكنها الايام

القاسية عليه أبت الا ان تعلن عن فارق سن وكأنه عشرون عاما... نعم فأنعم الخير قد وجدت فيها ضالتها جدا ..
وبحركة قط يترجى الحنان للسيقان التي آلفته .. مائت بكلمة ((لم لا تتكلم؟.. وكأنك نسيت لغة الكلام ..)) قالت ندى...
_حامد :((وأي كلامٍ بعدما قلت كلام ؟!!.. وانا هائم بين دهاليز الاحلام ..دون أن اعرف لهذا الحلم طريقاً للخروج.. أيا ليتني أبقى أسير دهاليزه.. ودون وعود...)) أسرّ حامد في نفسه..
_ندى : حامد هل انت معي..؟؟أم إنك غابرٌ في فكر مسطور..؟؟
_حامد : نعم .. نعم ..أنا معك لكن هولتني الصدمة...
_ندى : أي صدمة ؟؟
_حامد : صدمة تذكرك أياي.. فلقد ظننت واهماً بأستيقان إنك لاتذكرين من احلامك الا أحلاها..!
_ندى : نعم .. ومن قال ان أيام الطفولة ليست برائعة البهاء..ربما هي من أجمل ماعرفت..
فادار حامد دفة فكره نحو أسئلة ثكلى ألتَحتْ بين أضلعه المتسلسلة بعشوائية كما عهدها.. وقال في نفسه : ((أيعقل ان هؤلاء القوم يجدون في طفولتهم سعادة؟!.. كنت اعتقد انهم يريدون ان يكبروا بسرعة ويتناولوا النضوج ما أمكن لهم ليتذوقوا لذة نعيمهم الذي لايُبلى مادامت الشمس ضاحكة لهم في صدغ السماء))
تدارك أخر رمق قد تكشف فيه (ندى) انه سائحاً في هضاب أسئلته فقال : (نعم ان ايام الطفولة رائعة ويتحسر عليها المرء احيانا .. حينما يشعر انه مسؤلا من احد وليس هو من يحمل عباب المسؤلية)..
_ندى : أخبرني اين انت؟؟ وماذا تعمل ؟؟ وكيف كانت هذه العقود القصيرة معك..؟
تنصلَ هنا للحظات حامد من عباراتها الرشيقة .. ووقف عند (عقود قصيرة) فأي قصيرة هذه التي أنا اجدها وكأن العصور بمراحلها الجليدية والحجرية قد رمّت علي.. فانها اجدها طويلة وطويلة جدا... فكل يوم يمر

فيها كأحجار جاثمة على الصدور الشاحبة ... انا وجدتها طويلة .. طول الصبر الذي لامفر منه شئنا ام ابينا ...

_حامد : نعم ... توظفت في المسشتفى العام .. في مصرف الدم..

_ندى : مصرف الدم ؟؟! ..أَوَ للدمِ مصرفاً.... انا لم اعرف الا مصارف العملات .. ولكنه لقيمتهِ الثمينة أكيد له مصرف ...وكيف لا .. وهو السائل الذي يسيّر كل حياتنا الارجوانية ..؟؟

تماسكت عجينة من غير خميرة كما عهدها من والدته التي يكاد لم يرى شعرها المختبئ دوما خلف الوشاح.. وكأن همها الصارخ هو أعداد الخبز بخمرة المسك الذي يتقاطر من هدهدتها للمنخل المطيع...

قال حامد في نفسه: ((أيمكن ان يكون ثمينا هذا الدم الذي يجري في عروقنا كما تصف ندى؟؟.. طبعا هو لكذلك بالنسبة لهم بل انه لايقدر بثمن .. فهو يمدّ لهم حياتهم الهائنة بكل ما تشتهي غرائزهم وأمتعتهم التي يحملها جسدهم المتدفقة فيه شلالات من الدم الباسم الضاحك المهتني سرورا ... ففرحت ذراته تحمل كل مايمكن ان يكون))..

تجاذبت في أروقته رجالات من الاستفهامات يريد ان يعرف كل شئ.. كل شئ عن (ندى) والتي يتصور ياقناً أن جلسته معها لن تطول اكثر من قليل.. وأنها سحبته معها ليسليها كالاميرة.. تحتاج احيانا المهرجين في قصرها العالي ..

_(حامد) : اين انتِ اصبحتِ ؟؟ وماذا تعملين ؟ وكيف ولماذا ؟؟ ..و..و..و..؟؟

أبتسمت ضاحكة ببهاء وهباء : (على مهلك .. الا يوجد في أسئلتك ترك..؟؟) ثم ضحكت بعمقٍ لا شائبة فيه .. ومن أين تأتي الشوائب التي تقف في

ضحكة البسيط الفقير إِذ يتضاحك لتذكره دائما بانه هناك هموما جريرةً جرار فلاتميط اللثام للضحك ولا حتى للابتسام..
_ ندى : انا تخرجت من أحدى الجامعات الامريكية باحدى البلدان القريبة وسافرت لأوربا طويلا , لكني مللّت منها فقررت العودة الى جذور دياري...
((نعم ..طبعا مللتِ السعادة وأصبحت مشكلتكم أين تجدون السعادة ..؟ وأين يمكن ان يمضي وقتكم الثمين كدمائكم الزكية بما يمكن ان يمتع اجسادكم المتخمةُ سعادةً..)) قال حامد في سريرته..
تجاوز كلماتها .. وقرر ان يبادل أُسارى كلماته بأسراها..
_حامد : وأين تعملين الان ؟؟
_ندى : أعمل ؟؟؟ هاهاها.. أطلقت ضحكة سلسبيلة وبِنوطة بهية ...
وقالت : ماذا أعمل ؟؟!! ولم اعمل ؟!..
قال حامد في سره مقايضا نفسه : صحيح .. مالحاجة لان تعمل؟ كيف أستجرئت لمثل هكذا سؤال؟؟.. يالسؤالي الغبي مثل صاحبه الأَسن في مستنقع قمامته ...
_حامد : قصدتُ إِنك قد تقضين بعض الوقت لألهاء نفسك...
_ندى : كلامك صحيح .. نعم ..انا أستاذة جامعية باحدى اهم الجامعات المهمة في البلد.. كنت امازحك .. طبعا انا اعمل لاجد ذاتي المفقودة كثيرا بين ثنايات عمري الضائع...
((ضائع؟؟!!))...أَشدَهت هذه الكلمة مسامع (حامد) التي أثقلت اليوم بما صدحت به (ندى)...
((أيُ ضائع هذا العمرالقمري المرمي على الحرير خلف ميادين الثراء؟؟...أي عمر هذا الذي تضيع أسجاله بين أغطية الفراء؟؟...وكيف يضيع وهو لا يضيع إلا بين منحني مقوّس بِسراء؟؟؟... يغطيه الشذر و يتأرّض به الورد بغواء ... ربما تعني ضائع ...هو ضائعاً بين أختيارات هوس السهرات ، وقد ادار رأسها الصغير أحتمالات اللون الذي ترتديه في هذه السهرات فوجدت نفسها تائهة ضائعة))... هكذا أرصَّ حامد تحليله لكلمة ضائع المبرومة في حديثها ... ثم من الطبيعي ان تكون هي و امثالها

الكبار ممن تكتمل ايوان مستواهم بأعلى الشهادات والمراكز العالية الضمان ...
_(حامد) : اه ...نعم... لتجدي ذاتك و كيانك المستقل السخي ...
طيب ... و هل تزوجت ؟...قالها وأعينه تلاحق أناملها الناعمة الخالية من خاتم الزواج... وتتزاحم في سحالي أمنياته أن تأتي الاجابة كما يريد ...
_(ندى) : بصراحة ... لا ... رغم أني تعديّت توسط العقد العشريني ,, لكن ... يبدو لم يحل موسم ربيع قدّاح بعد ... وربما لأنشغالي الواسع بالدراسة ,

و ربما بسبب سفري المتواصل ... أو ربما... أو ربما لِنَقُل قسمة ونصيب ...
دكّت بناياتها الشاهقة كلماتها العضال التي ابهرت فيه كل ما تساوى ... و تسامى من يقين ...
((أيمكن للحلم ان يُسرِد أوتاداً في واقعٍ لا حضور له ؟؟ أيمكن ان يَمثلَ الحلم ثواني في واقع الاشواك؟؟؟ ..أيمكن ان يكون قلبها ما زال باكراً كعقبها اللزج ؟؟؟!...))
_(حامد) : طيب ... صحيح ... كل شئ قسمة ونصيب ... كما يقولون ...
_(ندى) : ((عائد))... أه ... عفوا (حامد)... نعم (حامد)... عذراً لقد أعتاد لساني على أسم حاجب الباب (عائد) ... ارجوك لا تؤاخذني... ماذا تطلب من طعام فأنا اتضور جوعاً؟؟؟
صمت (حامد) هنيهة ... بل هنيهات من ألمٍ تنغّزَ قلبه الذي تباطئ مع جملتها الأخيرة ... فيكاد يكون هنا عرف موقعه الصحيح ...مهرجٌ في باحة الاميرة الرخامية ...
هناك ... صُلب حامد على محرابه الساخن ...
_(حامد) : أوكي ... لا مشكلة ...نعم الأمر يحدث أحياناً عندما يعتاد المرء على أحد الاسماء...
ظفر جدائل أفكاره المسترسلة بين نظرات عينها التي لا يمكن لأي ترجمان أن يفسر لغتها ... ويعرف مكنونها ...
فكانت جدائلٌ حنّاءٌ لامعة في ضوء البدر المحمول بأكف السماء العدالة ...
_ (حامد) : ارجوك ندى و من فضلك ...أطلبي ما شئت ...أي شيئ...فأنا للتو أكلت هنا ... و على تلك الطاولة تحديداً حتى أسألي النادل ... قال حامد كلماته و شئ من الضجر يلحف كلماته المتجملة كيفما شاءت سَرَت...
_ أجابت (ندى) : لا .. لا يجوز أنا التي عزمتك ... و أريد أن تشاركني الطعام ...
_(حامد) : ليكن أذن ما تختارينهُ أنتِ...
وأوجسَ في نفسه ...((فأنتِ لا يمكن لهوجاء مسرحية طعامك أن تتم دون مهرجين يشاركون أدوارك كيفما رسمتِ وترسمين ...ولكن هل ستوزعين الادوار؟.. أم تتركين التوزيع لما تسري له الاحداث ؟؟؟

_((ندى وهي تخاطب النادل)) : ليكن ما أطلبه عادة ... مع بعض المقبلات ألتي أترك خيارها لك أيها النادل الأنيق ...
تهافت النادل الأنيق (كما وصفته ندى) إلى مطبخ الأعداد ليعد الأطباق ولكن هذه المرة بنكهة الأثرياء التي أعتادت عليها شفاه ندى ...
وضعت ندى بدلعٍ غامر حنكها على قبضتي يديها وهو ينظر إليها بطرفِ عينٍ ماهرة ... يتفنن بنظراته و يلاحقها كيف رسُم لها منذ قبل البدء ...
هناك ... في مجاهل المديّات بين ما يرتد طرف ندى وبين مقلتيها ... بنى حامداً له قصراً ... وتيجان من مرجان .. و زُبرجدٍ مكنون ...
_ (ندى) : قل لي يا حامد ... هل تزوجت ؟ و كيف كانت مغامراتك الغرامية العاطفية العاصفة ؟؟ أكيد تناثرت عندها الصبايا وترنّحت بحبالها البكارى والثيوب.. والغانيات والطروب.. والقادمات الرائحات كالكروب... وعناقيد الكروم؟؟؟...
أبتلع ريقه الذي مازال يحمل نكهة الطعام الذي أرتاده قبل قليل... وتلهف للآتي الجديد ، وهو يحاول أن يتسرمد امام هذه العبارات الخائنة لمنطقهِ البغيض...
فأيُ مغامراتٍ و هو لا يجد من يومه إلا ما سوف يحسبه الضمئآنُ ماءاً ,، سريراً لقوتِ عائلته (الصابرة) كما وصفها شيخ الحارة الجبلي الأصل...
_ (حامد) : آه .. نعم ..مغامرات ... نعم ... كان هناك الكثير منها حتى أني صرت لا أكاد أفقهُ أسمائهنّ صوراً...
_(ندى) : أرجوك ... أرجوك ...أحكيلي عن أحداهن ... و لنقل أُخراهنّ ... قالت ندى والمكرُ ألتحف جملتها الأخيرة ...
_ (حامد) و هو يُتَعتِع : اه ... نعم ... أخراهن ... نجلاء ... أقصد سميحة ... أه نعم ... نجلاء ... وسميحة ... نعم الأثنان معاً ...نعم الأثنتان كانتا ... بوقت واحد ...
طقطق أنامله الملتوية على بعضها و هو يحاول أن يلملم قصة ما , يسرد فيها بطولة تحتضر ولادتها للتوّ أرتجالاً...
_ (حامد) : نعم ... اِنهما أبنتا خال ... أحداهما سمراء بعيونٍ خضراوتان و ألأخرى شقراء بعيون ذهبية كبنات شعرِها ... حاولتا الإيقاع بي ..بعد ان فُتنَّ بي كل مَفتَن ... فكنت أراهما يقطعان عليّ الشوارع بأوقات مختلفة لا

يتقاطعُ بها تزامنّهن ... حتى أنهنّ تمكنّ مني تواليا ... الشقراء ... ثم السمراء ... كلا كلا.. السمراء ... ثم الشقراء ... أو ... ربما سويةً ... أو هذا ما أذكره ... وأنتبه حامد لتعابير ندى التي بدى عليها عدم الاهتمام ...
ربنا لأنها كشفت كذب ادعائه ... ولكن كيف تمكنت من ذلك؟؟
نعم تذكرت.. فهي التي تُسيّر لها السماء العادلة أكداسا من المسخرّين يبنون لها كل شيء.. ودون أن تتوقد اِجهاداً ...
_ (حامد) : حسنا حسنا..كذبت عليك فأنا لم تكن لي أية مغامرات .. ولا حتى أبسط علامات في أبسط أمتحانات العواطف والغرام.. لأني أصلا ..لم أشارك فيها..
نظرت اليه بأستغراب مُتقع..
_ (ندى) : أيمكن أن يكون ذلك؟؟ أصحيح ماسمعت أذناي؟؟!..ألم تجادلك الاحاسيس..؟ والمشاعر..؟ وتأخذك عالما من الشك والغيرة واللهفة والانتظار..؟ أيمكن أن يكون ذلك؟؟!..
أحتشب صوت حامد ووجهه المتدلي من شعره المتساقط الذي صمد طويلا هذا اليوم, فلاغبرة تنفشه فيحتاج الى تصفيفه في كل مرة .. صحيح ان

جبينه قد أخذ مساحة شاسعة بين حاجبيه ونهايات شعره بسبب ماذهبت جفاء من خيوط نسيج شعره ضحية عقود السنين..
_ (حامد) : اَه .. بالحقيقة لم تكن الفرصة مؤاتية لذلك.. وأستغرب صِبغةَ لبوسِ حديثها..وربما هو ما كانت تريد أن تراه من تسلية لقثائها..
وأراد حامد أن يكسر قيود الحديث الذي أختلط طعامه الزعتري بمقبلات الطعام التي لم يعهدها قبلاً...
_ (حامد) : حسنا .. أخبريني أنت ماهية رحلاتك بهذا البحر اللجّي.. وأين أستقرت به سفن مشاعرك..؟؟ فلقد كنتِ تصفين الامر وكأنك عشتيه..
أنهى حديثه مقامراً.. ربما بكل الجلسة الجريئة .. بكل مرادفاتها وبريقها الرئوي..
_ (ندى) : أنا..؟؟! .. حسنا .. الكلام في الامر يطول.. وربما سأدعوك يوما الى العشاء عندي في بيتنا فيكون حديثاً سامراً..ونديا..
كلماتها أشعلت النيران المتمركزة في بوتقة هذيانه المتخلخل صلبهُ تعجرفاً.. فصهرته جمراً تصبُّ قالبه كيف تشاء..
_ (حامد) : نعم .. اَه ..نعم ..أَستدعينني الى بيتكم؟؟؟ ولعشاء؟؟ انا اتمنى ذلك؟؟.. لكن هل سيقبلُ أهلك؟؟ وربما يعني.. ربما .. يعترضون .. أو حتى.. أو حتى يرفضون الفكرة جذراً وثمرا ؟؟..
سأل حامد الاسئلة وهو يتمنى ان يكون الجواب حاضراً.. كما يحضر هو في أمنياته البصلية الرائحة والتي تشمّها ستائر المطعم الكحلية ..
_ (ندى) : لا لا لا ..أبداً لا ..فالأهلُ مسافرون هذه الفترة لتصفية بعض الامور خارج البلاد... ثم..ثم حتى واِن كانوا هنا , فلايرفضون لي طلباً.. وسأكون بأنتظارك .. وطبعا وما يتناسب وجدول أعمالكَ...
ضَحِكَ في سرّهِ..ضحكة عشواء..رنَّ صداها داخل كهف صدره الاجوف..
((جدول مواعيدي ؟؟!! هاهاها..أخشى ما أخشى على نفسي أن تتناثر مواعيدي الذريّة فوق صخور موعدها الازلي؟؟!..ها ..هاها..هاهاها..ثم من هذا الذي يحددُّ موعدا؟..
أتنتظر أن أسوق رعيه أنا ؟؟!! حددي أي موعد..أو يوم.. أو تاريخ..
أوساعة مجسمة من هذا الزمان الازلي .. ليكون هو كل ما عشته من كلّ أيامي البريّة البرقاء...))..أسرّ حامد في نفسه...

وقال:
_ (حامد) : لا .. لا .. لا أشكال ..أختري اي يوم يناسبك..أو موعداً ترينه لايسبب لك أحراجاً وسأكون أن شاء الله حاضراً..
_(ندى) : ليكن الخميس .. وبتمام الثامنة..
_ (حامد) : نعم .. جيد .. نعم جيد جدا .. سأكون هناك في الموعد المحدد..
وهنا..ألتفّتْ عقارب الساعة لتعلن بإنحناءة قائد الاوبرا عن إنتهاء ((وليمة العمر)) لحامد..بل إنها كل ماحدث طوال حياته الخاوية..
وخرجا من المطعم الذي لم يشأ أن يتركه ولو للحظات هشة..
_ (ندى) : أين ركنتَ سيارتك..؟
حامد بخجلٍ يمخرُ عباب عرقهِ المتصبب لا أرادياً : ((سيارتي ..ها .. ليس لدي سيارة .. آ.. آ..إنها بالتصليح .. نعم تعطلت اليوم..قالها بكذبة مفضوحةٌ أعمدة هيكلها..وهو يتربص نظرةً قد تؤدي به وبموعده المحتضر لأرض النهاية...
_ (ندى) : عذراً ... لم أقصد ..سامحني والله..طيب ..هل تسمح لي بإيصالك؟؟..
_(حامد) : لا لا لا أبدا.. أذهبي حيث كنتِ تريدين فانا سأمرُّ على صديقٍ قريبٍ في المنطقة كنت قد واعدته بالاطلال عليه سابقا..قالها وبريق عينيه يفضح كَذِبَ لسانه المُداري لِسوءته..
أدارت (ندى) سيارتها البهية العالية .. وأشرقت جمالاً الشارع بخيوطٍ ذهبية.. وأماءت له بحركة تُصاهرها أبتسامة فاتنة معلنة عن وادع...
يرتجيه أملٌ صاخب بلقاء قريب..
عاد للشارع ...هذه المرة لم يشأ لهذا الشارع المكتسي ان ينتهي..نعم ..هذه المرة أرادهُ ان يطول.. ويطول..ليعيد مامرَّ به مراتٍ ومرات..فلمجرد أن يستوعب أنّ ما جرى ليس بحلمٍ فسيحتاج الى عشرات طول هذا الشارع جيئةً وذهابا..أنه كان بحاجة لشارعٍ طويلٍ وطويلٍ جداً يمتطيه على نارٍ هادئة ..تُنضِجُ مافي رأسه نضجاً لن يفقدَ طعمه طوال سنينٍ وسنين..
سلّمَ جسده المنهك بأشياء لذيذة ..لِذةٌ لم يكن ليشعرها حاضرا او مستقبلا يوما.. سلّم جسده لفراشه الذي شعر بطعم واحته وكأنه يطفو على قطنِ سحابات السماء الصافية... حاول ان يتمطى في شغافات نعاسه المعتاد..فلقد

إعتاد وقتها أن يكون بمثل هذا الموعد المحسوب قدراً منذ زمن يحتضر أنفاس النعاس الاخير .. لكن .. أبى النوم العنيد هذه المرة العودة لديار أجفانه.. رغم أنه لم يخلف الموعد أبدا..ولم يعتاد النومُ السهرَ خارج أعشاش جفونه المنطبقة حال حضور سيدها الحصور..
أستغرب الامر..لكنه سعيداً يُعيد أسطوانة يومه التي يجد لها في كل مرة طعما جديدا وبلذةٍ أخرى مميزة..شكرَ أرقهُ الكريم ... وحاد بين وساداته البتراء يُداعبها إحتاضناً..وعقارب الساعات كأنها تحجّرت بفعل مارد الحجر الخرافي الذي تحكي عنه الاساطير...
فمتى تدق نواقيس الساعة معلنة عن الغد الذي أنتظره منذ امد..
منذُ أن أهدته الحياة نَفَسَها المقّدس... كأمواج البحر المتهجئ في ليلٍ داكن..
تصفح يومه مرات أخرى .. ومرات..وانطلقت أنامل ذاكرته تبحث عما يمكن أن يكون ملبسا يناسب أهم مناسبة سيعرفها عمود حياته الفقري..
له جار يعمل في أحدى محلات استئجار الملابس.. انه العم ابوم مشتاق..نعم , سأبكر عليه بأمكن مايمكن لي من زيارته ليأخذني معه .. وسأطارحه الحديث متملقا عسى ان يجد لي أروع مايمكن في محل صاحبه الذي عمل عنده من وقت ليس بالقصير...وسأقنع أختي المرتقبة لزوجها الذي غاب طويلا يشقّ غبار المعيشة الضنكى في دولة اخرى والتي قالت لي مرة وهي تتصفح ألبوم صور زوجها وهي تجيب عن سؤالي الذي فحواه ((لم

أطلتِ النظر لهذا الالبوم اليوم؟؟)) فأجابت والشهيق يقبل جملتها بحسرة ((تكاد صور زوجي في مخيلتي تتبخر كما تبخرت بيننا السنين..))
نعم .. كانت تراجع الصور .. ككتاب الامتحان .. لتعيد ترسيخها ببالها بعدما ذابت بين حنايها...
سأقنع أختي بأن تسلّفني زجاجة العطر التي تخبئها مفاجئة لعودة زوجها المفقودةُ الموعد...
وساتناول مع رائد ((صديق المشفى)) وهو ينشر لي على حبله المعتاد غسيل أسلوب (الاتكيت) الذي يدّعي أنه تعلّمه من صديقه الثري على رقعة شطرنج جلدية...
وسأنفر ثقالاً وخفافاً من رائحة زفير الديك فجراً ..وأهئ مايمكن وما لايمكن لهذه المقابلة المستعرّة في هشيم اعشابي اليابسة والمملؤة زيتا قابلا للانفجار لا للاشتعال فحسب..
تلك الليلة في عقوده التي قاربت الاربعين خريفا...كانت رعشة غريبة تسري في جسده وتستقر في صدره.. وتحديدا قرب حاوية قلبه وهو يستلذُّ بهذا الشعور المرعش..
رعشة انتظار غده القادم بين تلال سهوله الوعرة..

&$&$&$&

..رمَشت عيناه عدة مرات وهي تودع مرآته التي كادت تملُّ من كثرة تطلعه المربك تكرارا وتكرارا اليها حتى انه ليتمنى أن تسير معه لتعبر له عن أية نائلة او حادلة قد تربك أناقته التي مهما كان رد فعل مبالغته فيها فلم يشعر

بالقناعة او الثقة التي تستحق ...ربما بسبب الفارق الذي يشعره تواً أو الذي ترّسب فيه من عقوده المتعاقدة دوما مع من مثلهِ ودونه..
الا إنه لايمكن ان يفرط بهذه الحقبة المتجسدة دنو دقائقها المجسمة من كل عمره الذي سرق الدهر منه كثيرا .. وكثيرا جدا
أقفلّ خط أتصاله مع مرآته وتكاد عينيه لاتفارقها وهو يتجه الى باب البيت ويتلقى التعليقات عن اليمين والشمال بين التدليع والتهريج والمدح المبالغ والتشبه الصارخ بالمطرب او الممثل الفلاني قصدَ إثارة جواً من التلطيف والمرح لحامد المرتتبك والمتوجه لحيث لايدرون جواباً..
أمتطى طريقه سيراً وهو يتحسسه وكأنه لأول مرة , ويخشى على ركب حذائه البالغ في تلميعه أن يلتحق بهذا الركبُ رُكباً من غبار يحط من صولة أناقته المكتلفة ..
هكذا كان يدللُّ أكوابه الغامقة ويعانق تفاصيلها كل دقيقة ... بل كل لحظة..
أكتشف أقتراب نفسه من بيتها من خفقان قلبه الذي أصبح صندوقاً أجوف الصدى يطبّل من تحت القميص وربطة عنقه الصفراء.. وعرف ان تناسب دقات قلبه العكسية مع أمتار الاقتراب تشير الى أقتراب أجله .. ولكن ..هذه المرة الغير محتوم ..
هناك عند الباب الهلامي الابرص ببقعِ الثراء الفتي.. ربما بعمر الفتى الذي لم يكبر ابدا بذاته عندما ولِدَ صاخباً نشطاً تقبع تحت ميادين رِماتَهُ كل القفزات الأبية والتركات المرحة المتلاطمة دوماً مع طفولته الابدية ...كان هذا الفتى هو أخوه ((صبري)) الذي زارهم قبل بضع سنين من رحم امه التي لم يقف يلملم الاخوان والاخوات (لحامد) ماأدرك نشاطه جوف أحشاء أمه...
لكن كان صبري أقربهم لقلبه..كان جمال طفولته الممتزجة بحركاته البريئة المتعاقدة مع نشاط مفرط ينتهي بنومه على ساعديّه بخفةٍ وحنانٍ حريرية

تجرّه الى عالم أحلامٍ لايمكن لا لحامد ولا لغير حامد ان يخمّن ماذا تحمل في طيّاته المنثنية..
كان أجمل من أن يُقال له طفلا ... فهو ماهرٌ بسرقة الانظار والاجواء والطقوس اللولبية أليه.. هكذا كان هو زينة حامد بل انه كان كل الحياة ..في أشباه منزلهم
ولطالما أنسى حامداً عشقه البليد لأسئلته المطنّة في عمقه عن اسرار التفارق الذي سلبته منه عدالة السماء ..
ولطالما فرّق من رأسه جيوشا من التتار غزتْ ربايا دماغه المحصورُ فسلجةً بجمجمةٍ صلدة المعيار...
هناك في زبدَ ألالواح ما يكفكف عن عاهل البيت إرهاقه كان (صبري) يتأرجح فَخراً كل أتعابهم ويحيلها بكلمات رجولية تعلمها من ذكائه المتقد دون خَبِتْ الى واحات غنّاء يستقر عندها الجميع ليرتاحوا من عبء اليوم أو لنقل كل الايام
(صبري) لم يكن طفلا بالنسبة لهم .. ولم يكن حامد الا الوسادة التي لابد من ان تغسل ذراعيه فينام عليه ... وله ..
ومن ينسى مساء ذلك اليوم الاشرم الذي أخذ من حياته فجوةً صمّاء صارخة... عندما دخل المنزل حامداً وهو يسدد حسابات تعب يومه في بيته

.. في فوضى ساخنة حد الغليان.. وتفاقست في عينيه ماذا أصاب أهل داره؟؟!!
وبيّتَ مئات الاسئلة والتخمينات التي دارت صقوراً مفترسةً رأسه...
فهِمَ أنّ مكروها أصاب (صبراه)...
((واصبراه.. وابلوتاه وامصيبتاه .. واصبراه..)) ماذا أصاب صبري الذي ينعش في مسابح العيون..؟؟ ويغفو على حرير الجفون..؟؟
قيل قد أشتكى نزيفاً سبقه مغصا مزق صرخاته الصغيرة المرادفة لألمه أسماع أهل الدار... وحالما نقلوه الى غابات مشفى المدينة المفعم بمئات القصص والحكايا والسراديد التي تفتح لكل عمق فيها أعماقٍ مِحان..
هنالك أُجريت لصبري بعض التحاليل المهيمنة عند كل باب طبقتهم البسيطة العامة..
وأدرك عُتّالُ غابة المشفى أن (صبري) قد يعاني من (تورمات) غزت كبده واحشائه الناعمة نزولا عند مخرجه صعودا.. ويفسرون (تخمينا) أنها (أكياس مائية) تآسنت في عقره الصغير وبين أعضاء بِدَعهِ الغير ناضجة...!!
كانت صعقة الخبر كبيرة على البيت..صَغرَتْ عند أقدامها مشاكلهم الكبيرة المنشغلين بها دوماً فهي لاتنفك تفارقهم من واحدة لاخرى... لكنها كانت الافجع وكانت على حامد كصاروخٍ جبارٍ أرسلته السماء العادلة (هدية صبرهم) في قلب فناء دارهم المنهزم دائما بأروقة أشجار الصبّار..
حاول يومها أن يستيقظ من كابوسه الذي يُقنع نفسه أنه يعيشه ولعاً وسيصحو منه بآذان ديك الجارة أم علاء...
لكن شدة رائحة المشفى البغيض ملئت قبر أنفه فأيقنتهُ صحةَ واقعاً مريراً.. ولابد..كما هي العادة أن يستسلم له شاكرا.. وبين الصدمة الهولاء وعراوات هروات القدر المتربص (بصبري).. بقي أمل ان تكون هي((مجرد أكياس مائية لعينة)) يمكن إزالتها تحت أيدي عُتّال المشفى الذين يستخدمون أهل المدينة البسطاء ((حيوانات أختبار)) لتجارب أرتقائهم مجد الوصول الى

الهيمنة المرتجاة من الخبرة والتخصص الذي ناله عباقرتهم لاوفياء ويقدموه على طبق من ذهب للاثرياء بكل تواضعٍ أملهم رضاهم وبأي شكل..
طمئنه بعض الرفاق ان العملية الجراحيةً يمكن أن يجريها ابسط طبيب موجود في خدمة هذه الغابة المهجورة الانسانية .. فكل من لديهم من مرضى ليسوا سوى أرقام تتعاقب عليها الايام .. فإن نجا فلهم الفخر والامتنان .. وان لم ينجو فالامر قضاء وقدر ..فلا طبيبٌ يُلام ..ومن ذا الذي يجروء؟؟ أو يستجرء في قرارة نفسه ان يبلغ الجبال طولا؟؟!..
لم يكن كلام رفاقه الا تدليكاً ومساجاً لمشاعره التي أخترقت شغافه حد القصواء..
قال في سره المعلن : ((ايُعقل أن يُمزق جلد صبري الصغير ؟؟!!..وأحشائه النامية تواً ..فيجول بها مشرطاً .. أو مشارط ؟؟!!.. فترسم مآسي لا أول لها ولا آخر..؟؟!!)) ...
بين عدم التصديق ونظراته الملتصقة بأجواء السماء العادلة..
توسل حامد ليلتها حتى الصباح الحالك السماء العادلة ان تلطف بصبري وطفولته الرقيقة .. توسل بكل ماأوتيَ من قوة وخشوعٍ وبكاء حتى أغمي عليه لإجزاء من الساعة لا يعرف مقدارها.. توسل السماء ان تشافه وتعود به الى أرجوحته المتدلاة من أكتاف باحتهم والتي صنعها له بيده بعدما أشفق عليه من شدة ضربه له يومها عندما خرج معه للسوق فبكى من أجل (لعبة) دارت بين رُحى بائع متجول.. وأزعجه بكاءهُ يومها.. وطنّ طنينه فتعصّب وضربه لطمةً أسكنتْ حينها نحباته على شهقات توالت..فلفظت من قلبه حزناً وألماً عميقاً عند حامد لانه لم يشتري له هذه (اللعبة) التي أختقى بائعها حتى في اليوم التالي الى حيث لايدري.. وأجهشت تُفطرُ قلب حامد نحبات شهقات صبري في كهف أُذنيه , فقرر ان يعوضه ببناء أرجوحة

مختلقة من بقايا الحبال التي تركتها أمه بعدما وجدت أنها لاتغطي مساحة الملابس التي تريد..
علّقها له..وصبري فرحٌ..طبعا فرح.. فهو الطفل الصغير الذي لايعرف للحقد بابا.. ولاحتى سراباً.. وعاد لحضنه يقلبه فرحا كيفما يشاء وصوت ضحكته الجبلية تجلجل في المكان..
تذكر حامد هذه اللقطة من هذا الزمان البليد الذي يجري عدواً بكل قوته ولا يعود..
فبكى .. وبكى .. وبكى .. حتى لأعتقد أنه لن يغفر لنفسه عدم شراء اللعبة له حينها ... وضربه له.. هكذا ..راحت صور صبري تهلّ أمام عينيه وتحرق ألأماً بين أضلعه..ضحكاته وقفزاته وحركاته الغير معدٌّ لها..وحنان نومه الهادئ على ذراعيه..وعيونه التي أُغمضت على وجهه كثيراً وهو يغطّ في نومً في أي مكان وكيفما شاء له دون تهيئة..صورٌ أبَتْ إلا أن تزرع في مقلتيه آباراً لاتنضب من دموع..
يومها .. تصلّب عنقه تضرعاً الى السماء العادلة..
إلا صبري ... إلا صبري...
قرر (سادنوا) غابة المشفى أن تُجرى لصبري صباحا هذه العملية البغيّة .. وجاء بعضٌ من أهل جيرة الحي..لإداء مناسك الواجب الرئائي.. وإحتفاظا ببعض التقاليد التي تقول أسطورتها ((نأتي أليهم لكي لاينسونا فلا نعلم متى نحتاجهم))..
وكان معهم شيخ ((حمزة)) حكيم أقاويل الحي لكبر عمر سنه الذي لايترك في ليل فكيّه قمراً واحدا.. لا أبيضا ولا أصفرا..
ربّتً على كتف حامد المنهارة الذي يحاول فاشلا أن يواري أدمعه التي لاتبسط للهدئ بساطاً..
قال له العم (حمزة) : ((حامد.. أصبر فأن الصبر مفتاح الفرج..وحتى الشفاء..إنماهو إبتلاء وإختبار .. لعلنا ننجح فيه..تعوّل بالصبر بني..)).. هذه المرة كلمات العم حمزة لم تشفي غليلاً في صدر حامد , كما كان حامد يُخادع بها نفسه كل مرة غير مقتنعا عندما يشعر بحلكة دجى مشكلة ما,, فيلجأ أليه ليهرب أو يتهرب بكلماته من أنياب ما ألتف حوله..لكن هذه المرة

غير ..مرت كلمات العم حمزة وكأن لم تكن ..بل أنها أثارت حفيظةً مرسومةً دائما عند حدود طالما تربى على خشية تجاوزها ..
_قال حامد بتمرد : ((عم حمزة كفى شعاراتٍ ماجنةٌ مائجة ...ألم تجد السماء الكبيرة غيرنا لتتبتليه وتختبره ..؟؟ إلا يوجد غيرنا في هذا الكون الفسيح..؟؟ ألم تجد غير بيتنا تتربص به فتهيل عليه المصائب تترا..؟؟ فنبرره لها أبتلاءاً...!! طيب ,, ألم تجد غير صبري..؟؟ الهزيل الناعم .. الطفل البهي..؟!!...أرجوك .عم حمزة .. ارجوك..لاتبرر فظاظة السماء العادلة بحق صبري المُبرّئُ من كل ذنب..والذي حكمت عليه تقدّراً بسكاكين تُقطّع أوصالهُ تحت رحمتها ((كما هي العادة ونسميها نحن))..أردف حامد كلامه وهو يشعر ولأول مرة انه (ربما) تحرر من قيود أصفدتهُ من طفولته العمياء..هناك تدارك العم حمزة أمر حامد وعلّله (حميةً) لانهيار صبري وأهله امام الفاجعة الملقاة عليهم بقسوة..فدعا لهم ولصبري بعبارت توارت عبر العصور.. مواساة لسان تهاوت عليه مخالب السماء العادلة..أو كما فسرها ديدن حامد المتخلخل..
دخل رواق المشفى شبابٌ تلفح وجوههم النعم وهي تغدَقُ بهم وبمن حولهم جميعا...تلتف على اعناقهم أفاعي السماعات الطبية المعلنة عن عنوانهم..دخلوا الى صالة العمليات ليعيثوا في أرض (صبري) كيفما شاءت لهم ان تقرر انواملهم العشوائية ووجوههم التي لم يبدو عليها اية مآثر..أية مآثر!... طبعا (فصبري.. ولا حتى غيره..) لايعني لهم الا ((طبلة أوراق)) وربما أحدى أوراق بحوثهم التي يريدون بها أعتلاء شهادات أخرى وأخرى تضفي لجدرانهم رونقا ..
نعم ..لم يبدو على وجوه هؤلاء السادة الذين وكلتهم السماء العادلة أمر الغور في أحشاء (صبري) أي معبرٍ أو مأثر..!!
توسلهم حامد عند باب الصالة أن يُراعوا طفولته.. ورقة نعومة جلده.. وغضروف عظمه الغير متصلب حد العِظامة..قطعوا نكاتهم المطلّة دوما فيما بينهم.. وأوصدوا أبواب أجفانهم بأن تركوه دون أي رد..غير قولة ((ماوُجِدنا ههنا لتمنحنا الوصايا.. نحن أعلم وأعرف بشغلنا ومهنتنا ... وأذا لم يعجبك الامر ...ف..)) صوت غلق باب صالة العمليات قطع جملتهم التي

كانت يجدونها كثيرة جدا ان تنطلق منها حروفا أتجاه أمثال هذه الطبقة المتردية دونهم ..
تهاوت معاولهم في أرض صبري الندية..وهديرها يُكاد يُسمع من عبر الباب الى السماء العادلة مرورا بهم..
مازال حامد يذكرُ تلك اللحظات العصيبة المرجاء..وكيف كان صدى مائها على أغشيتهم الرثة..وكيف تناثر الزمان والمكان..وتناسب اللامكان واللازمان في ذلك اليوم الذي قدرته أقدار السماء العادلة الازلية ..
بين سكرات قلب حامد الضامر خلف قلاع القلق.. لم يتوقف التضرع المتوسل للسماء العادلة أن تمنحهم (صبرياً) وبأي ثمن ومهما كانت المعادلة سقيمة فتأخذ منهم كل شئ .. كل شئ ..الا صبري.. حتى لو أعادته اليهم مشلولا ومقعدا ومعاقا .. المهم أن تعود تلتمع عيناه في أرجاء المنزل الجديد...
((ياسماء أمطري علينا غيثا ولو لمرة... ولو لوهلة يتيمة .. وأظفري بكل شئ.. وأتركي لنا صبرياً يناجي طفولته البائسة الفرحة...آمنتُ بقدر عدالتك..فجسديها ألينا رعدةً واحدة لن تؤثر في حساباتك الغنية العادلة شيئا))...
مرت الدقائق .. وأجزاء الساعات ..وتعانقت الساعة شقيقتها القادمة,,فالقادمة..خرج الشباب مترنحاً.. وربما متذمراً..من صالة العمليات القاسية .. لاحقتهم ((سوق)) الاهل ومن سُمح لهم بالدخول الى المشفى الحكومي بعد توسلات أرهقت جباههم المتموجة بشدة برهب أرهاقات السنين...متوسلين كلمات قد تخرج من أفواه الاطباء, وقد ينتحر عند رؤوس حروفها ما يجب أن يفسره من يسمعه..
((أبشرونا .. لطفا..ورجاءاً..ماهي الاخبار..؟؟ نريد أن نعرف... رجاءاً))
هزّ الطبيب الذي يتقدم مجموعته رأسه.. وكانت علامات غير الرضا ظاهرة على نضارة سحنته..
فأجاب : ((الموضوع لايُطمئن جدا .. نشكُ أنها أوراماً خبيثة منتشرة بأغلب جسده.. وربما هي في مراحل متقدمة .. وربما الامر يحتاج الى

عناية السماء..ودعواتكم له.. وقد أخذنا عينة من هذه الاورام المنتشرة بعشواء بديد.. وسنقوم بزرعها ومعرفة نتيجتها بعد حين...))
هناك .. وفي هذه الاجواء المسرحية الدرامية التراجيدية وبأعلى وتيرة للمآسي..أنهارت امه واخته ومن كان معهم يُصبر بعضهم بعضا..اما حامد فلم يحرك ساكنا من شدة هول ماصفق بأذنه بقوة من كلمات..أحسَ بدوار غامق أغلق فضاءات الافق بعينيه فأرتمى مغشياً عليه بأرض المشفى الذي عانى قذارة لم تنفع معها تنقيعات المستخدمين بأزالتها..ولم يعي نفسه الا وهو يسابح في سرير المشفى وخرطوم المغذي قد أنسل أزاره تحت جلده وقد وجد قاربه في أحدى أوردته الظاهرة .. وعندما اعلموه أنه كان مغشيا عليه منذ اكثر من ساعتين بسبب (ربما) أنهيار عصبي أو أختلال في مستوى السكر .. أو ربما تمغنط الضغط حال أختلاله لينتهى به المطاف على هذا السرير.. أمام عينيه قبل غيبوبته هناك...فسارع يسأل ((كيف حال صبري..؟؟؟))
أجابته أخته : ((لاتقلق .. صبري أفاق وهو يسأل عنك مراراً..))
حركت هذه الكلمات التي اعتقدها للحظة هي مواساة وتعرجات يُقصد بها رفع معنوياته المنهارة .. الا انه تمسك بها كذبة كانت او صدقاُ..
قال حامد (دلّوني عليه.. اريد تقبيله...ولو لمرة.... ولو للحظة..أتوسل بكم أريد أن اراه واقبّله).. قطع أسلاك المغذي .. وأنبرى تلاحقه كلمات مزدحمة من أخته ((على مهلك .. على مهلك..سآخذك اليه.. صبرك شوي)).. لم تفقأ هذه الكلمات رغوة لهفته لصبري.. وهو يشعر شعورا غريبا بأنه قد يراه .. وربما .. قد لا يراه..
قالت أخته وهي تركض خلفه ((أنه في هذه الغرفة التالية))..
دخل ملهوفا للغرفة القادمة كما وصِفتْ.. فرأى (صبريا) تختاط على مساحات بطنه وصدره خرائط تائهة كيفما جرت حياكها.....
وكان صبري فاقداً للوعي.. وأنواع من الاسلاك وصلّت به وبأجهزة او ألالات طبية تبدو للوهلة الاولى أنها مستعملة حد إنتهاء أستحقاقها منذ زمن ليس بالقريب..
لطم حامد وجنتا وجهيه ناحبا : ((صبري .. ياصغيري الرائع.. وقطتي الحدباء حنانا باحضاني..أيمكن أن يكون هذا مآلك ..؟؟!! .. أيمكن ان

يعتريك شعور الالم الذي تهتز له أشد الرجال الاقوياء؟؟ أيمكن أن تصارع ماتعجز عنه الجبال الشامخات ؟؟))
حاولت أسكاته أصوات من جالس قرب صبري ممن يعرفهم.. أو لم يكد ليعرفهم .. أن كانوا من عصبة اهله.. أو حارته .. او موظفي المشفى الذين أعتصرت قلوبهم لمنظر (صبري) المؤلم حد البكاء لمن لايعرفه أصلا..
فقالوا له ((على رسلك .. على رسلك..فالطفل بحاجة لراحة , وأن أجهاده بالايقاظ ليس بصالح صحته..))
تنهدَ حامد شهيقه المتحسر .. وأطاع كلماتهم بكل ود وأحترام لنصيحتهم التي ربما لن تجدي نفعا.. فجلس عند أصابعه الصغيرة ..صغيرة جدا ..بل أنها جدا جدا صغيرة لمثل هذا المصاب الآسر للقلوب .. أرتشف قبلة صغيرة من يديه الممتدة دون وعيٍ أرادي على السرير..
همس من كان بجانبه الى جانبه الاخر((نعم أرسلناها فور خروجها من صالة العمليات ..))
وهمهم بعضهم لبعض كلماتٌ بتراء غير متراصفة كان يبدو على محياها القلق البائن..
ويذكر حامد جيدا .. وبكل جدية ..ذلك اليوم الذي لم ينتهي وهو يحتفظ لصبري في عالمه الذي غربت به شمسه ولم تشرق لصبري أبدا.. فعندما توغلت الظهيرة في ظهرها المقارب لعصرها حتى أختنقت أحلام صبري التي ماكاد يفهمُها ..فأختلفت أضلاعه الصغيرة وأنتفخ صدره المغطى بجلدٍ رقيق كبالونة شفافة.. وظلَ حينها صبري يتلوى أمام ناظري حامد ومن معهم الذين أصخبوا المشفى صياحاً حتى حضور الطبيب المقيم متململاً من الحالة يجرّ نعلين ثقيلي الخطى يدلان على صحوه للتو من أحلام سعيدة..فجاء لصبري يحاول أن يستدرك ماأدركته السماء العادلة فحسبته عندها زائرا أبدياً...
ويذكر حامد مما يذكر من بروك ذلك اليوم في أعقد حلقات حياته المتشابكة تلابيباً..
هناك .. ألتفت حامد لهندوس سمائه العادلة .. وأوقد شمعة مرافعته في محكمتها ... صارخاً يسأل قضاتها : ((لماذا حكمتم على صبري بعقوبة الذنب الذي لم يرتكبه؟؟؟! .. ولماذ كان قرار المحكمة بالاجماع الرحيل

لصبري الى عالم اللالقاء به مرة أخرى؟؟؟! .. لماذا صبري؟؟ لماذا ؟؟..
مالذي يمكن أن يكون قد فعله ؟؟.. أو قد يمكن أن تفعله طفولته المخنوقة تحت طرقات مطرقة حكمكم؟؟..يامحكمة السماء العادلة .. عدالةً .. غير منصفة...ضيزى!!))
أدرك حامد حينها قساوة عدالة السماء بحق طبقتهم المثقوبة من كل الجوانب تحت رُحى مطحنة عدالة السماء
هناك .. وفي تلك الساعة المجتزئة من كل الزمن ..
أرتهنت عقائد حامد.....
أرتهنت كل عقائد حامد بقصواء خياله السرابي بسقف الواقع الجرير...
فلم يبقى من (صبري) الا صورة في خيال (حامد) تمتد من نافذة كل منظر جميل ..وبرئ.. هناك يرى صورة صبري تلوح من نافذته الخصبة وإرثهِ الذي ترك أثره محفورا في خيلاتهم جميعا عموما،، وبحصون قلاع حامد خصوصا..
تدافعت كل تلك الصور بلحظات لم تعتبر لعنصر الزمن الفعال اي اعتبار وهو يُدحرج نظره على أسوار بيت (ندى) ..أسوراها الباكية دمعا من ثريات .. ثريات خافتة متناسقة بصورة تشدي الوصف لتضفي لبيت ندى سُندساً شاعرياً بالغُ النقاوة والرُقي ...
دق حامد جرس باب (بيت ندى) السمهري وأجابه صوتاً يتغلغل من شروخ بينية .. أستفسر الصوت عم ماهية الطارق وهويته .. فأخبره انّ اسمه حامد وأن لديه موعدا مع (الانسة ندى) فأمهله الصوت القادم من بين الشروخ دقائق ليرى مايمكن عمله , والتأكد من صحة كلام المدعو حامد
خارج الاسوار العالية ..فقال له الصوت ((نعم .. نعم .. تفضل سيدي .. ستُفتح لك الباب بصورة كهربائية ((تلقائية))..
فأنسلّ حامد من فتحة الباب التي تؤدي الى عطر أزهار النرجس الرقراقة ممزوجة بالياسمين والقرنفل والأرجوان والتي لم تعرف عندهم موعدا او موسما..!
أنحنت أمام الرائحة الزكية أدغال حامد التي روضّها وآالفها ... سار بين سواقي الحديقة المزينة بأعمدة واطئة تطئ طوله وتحمل رأسا زجاجية بأشكال مختلفة تمحورت بين الكروي والمكعب والهرمي .. وأحيانا الغير

منتظم .. تحتضن في لب قلبها مصابيح خافتة لكنها ذات أنارة بديعة للحديقة لتكاثف أعدادها..
وصل نهاية أحدى الطرق المعبدة بالآجر الممدود برفق وبقطر شخصين أو ثلاث , فكان في نهاية هذا الطريق تتنظره (ندى)... بابتسامة تسرق القلوب وبثبوبٍ كحلي غامق ترك من كتفها كله الا خيطان ربما هما الرابط الذي يمسك الثوب كي لاينزلق من رخامة جسدها المرمري الاملس.. وقد تجرءَ الثوب ففتح من ظهرها مساحة شاسعة كما ألتهم من هذه المساحة قدراً ثقيلا من ناحية الصدر الناهد بصورة تلهم أضحل الشعراء لينطقوا شعرا يناهز المعلقات حضوراً..
_ ندى : ((أهلا وسهلا حامد ... نتمنى أن يكون المنزل قد أعجبك...ورفقة المزارع لم تزعجك ؟؟.. تعال أطلعك على الحديقة وزواياها.. أم تريد الدخول؟؟؟))
_ حامد : ((آه .. نعم .. كلا.. أقصد نعم قد ابهرني جمال تنسيق الحديقة ..وأن رفقة المزارع كانت منهى في الادب الفياض .. وأنا ..آه .. نعم .. أنا لايهمني أي مكان نشترك فيه بالحديث .. أن كان بالحديقة الغنّاء ..أم داخل المنزل...)) وأسرّ في نفسه ((هذه الندى المستلقية التفكير لاتعلم أن أي مكان يجمعنا ستنزوي به الابعاد فيُحال لبعدٍ سابع لامكان له الا في مقلتي صورتها القتيبية
_ ندى : (أوكي.. لنتمشى في الحديقة وننتقل بعدها الى الداخل لحين أعداد العشاء...)
مشت ندى بخيلاء يشق الصدور فيُخرج قلبه ويرفض العودة لصدره بل سيظل يزقزق الحان الحب والعشق والغرام فوق جاذبيتها التي فاقت جاذبية الارض مداراً.. وصفّت يديها متشابكة الانامل خلف ظهرها ... ساعدها بذلك أمتلاء وركيها بعد دقة خصرها المنحوت بأعجاب ...
_(ندى) : كلمني عنك ياحامد .. أتعلم .. أنني رايتك لمرتين خلتْ.. كنت خلف مقود السيارة متوقفة فانت لم تتغير الا انه قد نبت لك شعراً خشناً على وجنتيك.. وسقط من شعرك الذي على رأسك الكثير منه .. لكن دماءك .. وروحك .. مازالت نفسها .. حتى وكأنّ الزمن ترك فيك الطفولةَ مضموناً..

وسحب حقه من الجسد البايولوجي.. ولكن المضمون كان يصرخ عن عنوانك القديم .. حامد .. حامد...)

_ حامد : ((أحقا ..؟ يبدو أنك تقولين شعراً..؟ لقد باغتيني بمجاملتك .. بل أكتسحت كل سواتر دفاعاتي التي تداعت مضعنة لهجوم كلمات مجاملتك الرائعة))

_ (ندى) : ((أبدا .. انا لا أجامل بل اقول الحقيقة .. انك مازلت بصورة الفتى الذي دللّني جدا في تلك الفترة من حقبة عمري الطفولي الجميل..))

_ (حامد): شكرا لك .. كل الشكر..

_ (ندى): عفواً.. هل تذكر عندما كنت تقف كأسد تحميني من خبث الاطفال الشرسين فكانوا يخشون الاقتراب مني ... ولن أنسى ابدا عندما كنت تلاعبني بحنان وخوف كبيرين علي ..

_ (حامد): شكرا .. شكرا .. نعم أنا لا أنسى هذه الدقائق أبدا

_(ندى): وهل تذكر انني في مرة من المرات كيف كنت ألعب معك وبينما كنتُ أركض سقطتُ حينها ((بصراحة كنت أدّعي السقوط)) وكيف انت قلبت الدنيا ولم تقعدها .. بل كانت الحادثة لك وكأنها الطامّة الكبرى.. كم كنت رجلا في ذلك العمر البهي.. وكم كنت كبيرا وانا اترنح على كتفيك أدعي الالم قصد أستفزاز شهامتك التي أثارت فيّ كل مأثر في تلك الطفولة الماكرة البهية..

حامد بابتسامة خفيفة منتشية بخمرة الدم الذي فتح فيه بابا للفخر : ((إها .. حقا .. أذن كان دلعاً منك ..تلك السقطة في باحة المدرسة التي أخذت قلبي الصغير مآخذاً..))

_(ندى) : نعم .. كانت سقطة أبتكرها مكرٌ طفولي مدلل..ولكن .. كان مدللّا بك..

مع وقع أخر الكلمات التي كانت باذنيه في روعة متناهية السخاء..كانوا قد أنتهى بهم الحديث عند أرجوحة تتعرش تلك الحديقة الروضاء..أرجوحة مثيرة ..وثيرة بكل شئ ..بفرشها ..وجلوسها الملكي وحرير صلابة معدنها

المتماسك الاملس .. وبجوّها النقي الذي تفوح من حوله عطوراً طبيبعية أفردتها بروضتها السماءُ المُستشاءة ...
_(ندى) : نجلس هنا ؟. وأشارت للارجوحة بأصبعين مفعمين بالرقة المهداةُ معطاءأ من عدالة السماء..
_(حامد) : نعم .. اكون مسرورا..وأسرّ في نفسه ((بل مسروراً جدا.. فهل لي ولو في أشد أحلام حلمي تمرداً .. أن أجالسك ؟؟..فكيف وأن أجلس يقربك نترنح هذه الارجوحة الشادية الاجواء..حتى وأن كان الحلم قد دنى وتدلى سريراً في فضاء السَهيلْ...))
ولتزداد اللوحة حلماً..ولتزداد المعزوفة ألقاً..جلست تكاد تلاصقه.. بل أنه لايدري أن كان نشوة خَمر الحلم.. قد أشعره بأنه .. فعلا تلاصق جسديهما ملاصقة خفيفة ..طفيفة .. شفافة .. ذكية .. وبحركة لم ينتبه لها الاثنان..
أتكئ ظهريهما لمسند الارجوحة الوثيرة .. بل الوثيرة جدا.. وبحركة أخرى.. لا يعلم حامد لحد هذه اللحظة .. أن كانت هذه الحركة المتموجة بقصدٍ أو بغير قصد..أو أن كانت مخطط لها أم احتملت لها العفوية أحتمالاتها ؟..عفويةً كعفةِ وجهها اللؤلؤي الباهر.. إذ أمالتْ برأسها وجعلته يستسلم بألقاء ثقله على كتف حامد الذي لم يكن ليحلم بمثل هكذا جيرة..
تهاوى حامد بفعل الحركة وتصلّب بفعل رد فعل الحركة فما كاد أن يلثم هذه الجيرة التي تصلّد لها كتفه بنعومة يتوسل رأسها ان تجد من كتفيه فراش الريش التي لابد وأن أعتاد عليه منامها..
أرجوك أيها الكتف المتفضل بحمل رأسي منذ عرفتك.. تفضّل الان وامنح رأسها كل الحنان المتشلشل علّها تستريح عليك لحظات أهنئ بها أنا عمراً بريدياً أرمدا..
ساح الرأس متدلعا أثوابه .. ربما لم يشعر بما يرتديه من عباءة شعره الجامح فتناثر حيث شاء مالم يشأ الرأس ولاصاحبه..
وهناك .. أنطلقت كلمة مبحوحة مطعمة بحشرجة تُنذر عن دمعة ركماء..
_(ندى): حامد .. ارجوك..انا بحاجة اليك.. الى رجولتك .. وشهامتك التي اراها تلاشت في هذا الزمن الفائت الحاضر.. الذي لايعرف من يلتقي شخصا الا وتلقى في صدره ما مدى فائدة مايمكن ان يكون منّي.. نعم .. انا

اعيش ضمن عشرات الناس بل مئاتهم .. لايعرفون الا التملق الوجيه لينالوا من سلّمِهمْ هذا مايريدون أو يحاولوا أن ينالوا..
وهذا الاتهام ثابت الذنب في كل ماعرفت ومن جميع المستويات التي شهدتْ عيناي لها طرقاً وسمعت أذناي به بصراً..
فكل من حولي يحاول النهش في أرضي..دون أعتبار لأدنى مشاعري انا كفتاة ...أحمل بجعبتي مافطرتُ عليها بايولوجية فسلجتي ورونقي كأنثى .. ولنقل كأمرأة جاوزت الخمس والعشرين بأعوام.. وانا أمام الناظرين أرقاماً يجب أن يُستفاد منها ماأمكن للحصاة أن تاخذ الثرى من موقعها المعتق...
حامد بذهول لم يفقْ من حركة الرأس الذي يتمنى له هناءاً سعيداً على سريره الجديدُ عليهِ..فتوالتْ عليه الكلمات أفاقتهُ من صدمتهِ الاولى فأراخ لها سلسبيل الاصغاء بكل الحواس وربما يحاول ان يكون بقصواء مايمكن كيفما هي تريد... وليكون عند حسن ظنها التي ظنته به وهو ما لمسه من بقيع كلماتها...
_(حامد) : نعم .. نعم .. هذا من حقك .. ثم ..ثم أرجوك أطلبي مني ماشئت وكيف شئت دون ألتزام بأي حدٍ أو مدٍ وسأكون طوع بنانك..
_(ندى) : حامد ... أنا لست كما يظن الاخرين وربما تظنُ في نفسك أنني أَنعمُ خلف أسوار هذه القلاع العالية بالسعادة,, أو بأبسط أوديتها الزخرفية في كل جانب,, أو كيفما يظنُّ الاخرين... أنا أعيش تعاسةً .. بل أشدّ أنواع التعاسة .. تخنقني حسرات الألم ويضيق صدري إختناقاً بالآمها التي سرقتْ ومنذ فترة بعيدة النوم الرائح من عيوني الممتلئة بالدموع.. فأصبحت

لايمكنني النوم لساعة دون المهدئات ..وبعيارات ثقيلة..بل أنها أصبحت جزءاً لايتجزء من حياتي التي أعيشها بمضض مقيت..
عمّ نهاية كلامها صمتٌ رهيب.. بل سهودٌ قاتل .. أنهالت الكلمات كصواريخ الحروب المحرّمة دوليا فأشعلت رأسه تحت غطاء اللاشرعية العذراء ...
فصمدَ يحاول ضمدَ جراحة الكلمات بعقيم صدمته..والتي توالت حتى باتت لاتشكل له إدهاشاً.. هنا أطلق الحديث محاولاً السربَ فيه الى حيث لايدري منتهاه..
_(حامد) : أي تعاسة ياندى ..أرجوك.أفهميني فلقد قلقت جدا..أفتحي لي قلبك وستجدين أنك فتحته لخير المسرّين دائما وابدا..
هنا أنطلقت موجة دموع ندى تحفر شقوقاً على حقول وجهها الماردي الذي لم يشفع له ثراءها أمام عقود الزمن الطاغي.. فأماتتْ هذه الدموع وأحيتْ في مسارى مشاعر حامد كل قوةً..
_ندى : ((حامد .. نعم ..أنا .. أعيش تعاسة مغطاة تحت فراء السعادة... وربما أنت لاتعلم معنىً للتعاسة الشديدة جدا وألمها الذي لاتلئمه كل المهدئات بل حتى المخدرات...
ولاتغرنّك أوشحة الثراء التي تغطي مطليةً معدني التعيس حداً يكون الانتحار هو الباب الاوحد للنفوذ منه الى عالم الخلاص...
أنه ألم يعتصر كل خلاياك ويشدّ اوردة شرايين الروح الى أسحق وادي في جهنم الموعودة بالظالمين..))
قالت كلامها وأصبح للدموع الجرارة على وجهها صوت أجش ترجمته أنغام فحيحها الخافت والذي يعلو عند كل شهقة..
همست نفس حامد له ((أيعقل ياحامد.. أيعقل أن يُتعسوا هؤلاء القوم السعداء؟؟!!..
أيُعقل أن يعانوا كما تعاني أوبئة الفقراء حيضاً مستديماً ؟؟..
أيعقل أن حصون قلاعهم المنيعة لم تستطع أن تمنع زحف سحالي التعاسة اليهم؟؟ ..أيعقل ؟؟..
لكن هذا ما حرث اراضي أذني بمحراثِ صوتٍ حقيقيٍ وليس هراءٌ تذيعه القنوات الفضائية لتسليةٍ كاذبةٍ جوفاء لاتُسمن ولاتغني من جوعٍ يُراد منها

تمرير صهاريج الساسة الممتلئة على صدور جمهور الناس البسطاء.. أو ربما لغسيل أطنان الأموال عبر تهيئة مايبررها..))
أنهارت أمامه كل ((اللأيعقلُ؟؟)) حتى وجد نفسه يحيط كتفها ذراعه بحركةٍ لايجد لها تفسيرا كيف جاءت ببهاء..فهبط الرأس الربيعي عند صدره الايمن وعفّر وجهه هناك يبغي راحةً.. ربما ..أو متنفساً..أو أمومة بيضاء.. أو ربما ملجئاً بعدما أنتزل بأرضها غارات شديدة العداء..أو حناناً..
..نعم الحنان الذي لم يعرف طعمه حامداً منذ طفولته التي أرتوت بلا طفولة .. فلا يعرف من هذه الكلمة غير قسوة الشارع الذي أمتهن فيه كل التعابير.. فلم يبقى للمشاعر الغنّاء الا هباء..
وهنا..أنتفضت فيه أبتلال قميصه بشئ (من قطرات ندى) ثورةً وأنقلاباً في أنظمة ماتعب عليه الفقر في عقودٍ طوال بتكوينه..
قساوةً مغنطتها هذه العقود لقلبه الأغلظ فجاستْ كل شبر فيه..
_ حامد : ((أرجوك ..ندى.. حطّمتِ قلبي .. وأدميتي بي الاحزان ..أعلميني بما يُتعسك؟؟..)) وشعرَ بشعورٍ غريب يعتريه لم يألفه ويسري به ويقشعّر له صدره الخافق به..((ربما هذا مايمكن أدعوه حناناً..؟؟)) تمتم حامد كلماته وسط هولاً من الاستفهامات..
_(ندى): حامد.. لي اخُ وحيد أفسده دلال أبي المبالغ, وإجابته لكل طلباتهِ دون أي أعتراض, مما غدا به أن يرافق أمثاله من رفقاء السوء الذين لا همَّ لهم الا كيف قضاء الوقت الثامر بأمجن مايمكن للمجون أن يكون..وبين عاهراته التي لاتعد ولاتحصى وخمره الذي لم يفارق فمهُ لحظة حتى صار لايجدي معه نفعاً مهما شرب من أرتال ثقال..فأرتمى في أحضان المسكرات من الحبوب والحقن التي هي الاخرى باتت لاتشكل في جسده المدمن اي فعل..فأنتهى به الامر والمطاف أن أدمن المخدرات بأشكاله المعروفة عند من يعرفون وغيرالمعروفة .. وهو جريعها منذ فترة طويلة

لايكاد يفارقها.. هذا الاخ الذي كان يتصور أبي واهماً أن هذا الثراء وجِدَ لكي يُسعد به هو وأولاده دون حرمانهم من اي شئ أطلاقا ..
فكانت نظريته عوراء.. عوراء حد العمى التي قتلت أخي أول العائلة وهو بين الاحياء محسوب..
أزداد بكاء ندى ونحيبها وهي تسرد الامر بمرارةٍ أفحمتْ أعتراضات حامد المدويّة دوماً عند محكمة عدالة السماء..
فربّت على ساعدها الندي..وسحبها نحوه بقوةٍ حنونةٍ لطيفةٍ مرة أخرى..لم يقصد الا المؤاساة لها وأنه بجنبها يسمعُ وبروحه لها يفدي..
_(ندى) : ولم يكتف الامر بأخي .. فهاتِ اختي الاخرى المدللة الحالمة الناعمة التي لم يطئ يوماً جسدها غبارا ولم تعرف لإناملها الا كوادر مرصوصة من المختصين بالجمال وعلمه..
وكانت تترفع علّواً وبهاءاً وبهجةً حتى على أفراد اعضاء جسدها ..
وترسم صورةً محلاة بأزكى أنواع الملذات لمائدة حياتها التي سوف يمكن ان تأتي مع فارس أحلامها ذي العينين الواسعتين والنظرة الشهماء والقميص المنفك أزراره لتمتلئ به حباً ((كما تحلم لحياتها المستقبلية المستوقنة))...
فجاء أحد العرسان وبالصفات التي تمنت وأدّعت .. أو هكذا حكى لنا مظهره..وجمال عينيه الواسعتين.. ومن أحدى العوائل الكبيرة المتورعة بمحراب الثراء..والذي أدعى لها حباً يوازي ما تكافئه وماتكنّه هي له..
أضعافاً مصفوفة..
وبعد زواجها بأسابيع لم تتجاوز عسلها المخطط له..حتى صفقت أكفٌ شديدة تئزُ بابنا أزّا.. وقد تبين إنهم نزر يسير من دائنيه العديدين..ويحملون شيكات موزعة دون حد وبعشوائية عرماء.. وبمبالغ كبيرة جدا كان أضاعها في الخمر والميسر والعاهرات والليالي الحمراء..
هذا القمار الذي تبين لاحقا أنه من أكبر مدمنيه الخاسرين لكل شئ .. وأن جميع من يعرفه وخصوصاً من حاشية أهله يحاولون التخلص منه بدفع مصائبه الكبيرة على بيتنا.. وأبنتنا كانت (وكما أعتقدوا)) خير ملاذ لهذا

المقامر البذئ ..الذي لايهمه بأي شئ يقامر حتى ولو بزوجته ليرضي أدمانه المتشمع بدمه الخالي من أية شهامة....
وعندما وجدنا أن المبالغ المستدانة تفوق تصورنا .. أنهارت أختي أنهيارا تاماً ((فهي عشقت فيه شهامته المزيفة وعيناه الكاذبتين السوداء دوما كسواد حب ذاته الانانية دون أي أعتبار)).. فأحالتْ له كل ماتملكه شخصا من مجوهرات وعدة أعتدّها لها أبي لأيام لن تأتي بقصوره أبدا وتميّعت كما هي عادتها فهي الطفلة المتميعة المدللة لأبي وسحبت منه ثروةً مالم يكن لأبي نفسه أن يتصوره..وهربت به بعيداً.. وبعيداً جدا .. حيث نجهل لهما مكانا .. ولاندري ان كانوا أحياءاً أو رمى بها زوجها لكلاب المقامرة وهرب ...وترك لنا إرثا ثقيلا من الديون..
وهكذا أختي الثانية ..المتوفاة عندنا .. والمحسوبة خِطئا من الاحياء أرقاما.. أو .. أوراقا رسمية...
أكملت كلماتها وأجهشت بالبكاء من جديد .. وحامد متصلدٌ, فقد أخلّت عنده كل المعايير التي رسم قوانينها كما أجبرتهُ على رسمها الايام القواسي..وهو يستقبع في داخله ((ان ماجرى لهذه العائلة ليس الا أستثناءا.. ولايعني أنها عمومية تغير ما أطبق عليه تفكيري أتجاه طبقاتهم العلى ..))
_ (ندى) : اما عن أمي ..يا أحلاها من كلمة لم أشعر بها يوما...فأمي التي تعيش في قالب الايام الخوالي من أيام زواجها, وربما قبلها, وترفض بأي شكل من الاشكال من يصحيّها من ثوب زفافها وأيام عرسها وأحلامها المراهقية التي لم تزل تتعطش لها ولاترتوي ..
وتستعطش بها واقعا في خيالاتها..وزاد في بقاءها بتلك الاحلام الرافضة رفضا قاطعا هو ثراء ابي ودلاله لها ايضا حتى أنها لاتشعر الا بانها ملكة قصر في زمنٍ لايتحرك..أو تأبى تحريكه..
عندما كبر بها السن عنوة .. أصبح الاطباء يرونها أكثر من أفراد العائلة من كثرة فحصها ومتابعتها وبدون ضرورة الا لانهم يغدقون بما تبذخه عليهم لتطمئن (وساويس) تلفّها خوفا من القادم من الاتي ،، ولكنها تحس بأنهم

دائما مقصرين في واجبهم ولا يعطونها حقها من الفحص الذي تعتقد أنه يجب ان يكون..
أما اخصائيوا التجميل .. وصالونات الحلاقة والاكل الصحي والفيتامنات الواجبة لها.. وسوائل غسيل بدنها الخاصة بجمالها الملكي .. أو هكذا تظن ..فحدث ولاحرج ياحامد..حتى أصبح ماتعانيه مرضا نفسيا .. يثريه مرضاً على مرض..
وقد توفّر مقتينات هذا المرض انماه هو وفرة المال الوفير الذي يخدم مرضها فيزيده دائما عمقا على عمق..
وهاهي ايضا..تعتقر غرفتها حيةً بأجوائها الخاصة وميتةً عندنا جميعا وهي تشعر بنا خدما لبلاط أحلامها الذهانية..))
تزاحمت الخواطر في رأس حامد الذي لم يعد يعرف شيئا من حصاد ثمره مالناضج منه ومالمهترئ وما المرّ منه ومالطهيّ؟؟ ..
طرح أفكاره الوجودية التي كان يعاني أعراضها منذ أمد..
وأضاف لمعادلته معادلة أخرى رمضاء.. لا يحصي أستفهاماتها التي قفزت على أسطر قامته المتهادلة دائما أمام تلكم الاستفهامات ..
فبات لايشعر بمفهومية هذا الوجود السامي بهذه الاوراق التي أختلطت وبين ذلّ مهانات الفقر الرقيع الذي كنّاه في لهجته الساخطة دوماً بأنه فقرٌ يستحييّ نساء طبقتهم المُلئى دائماً, ويذّبح اطفالا ليعيث فيهم دمار كطوفان تسونامي في بحر شاطئه الساحلي..
ولكن ماذا لوكان هذا الطوفان قد أخذ الاخضر واليابس وهفتَ تحت براك السوء ظلماً على ظلم..
للحظات شعر بأن للسماء عدالة حقاً..فهاهي تبيد بأودية العذارى كما تبيد بأرض الثكالى ..
حاول ان يطارحها الالم بكلمات تعلم أستعارتها من صديق حارته المثقف من أخمص قدميه حتى فروة رأسه أو على الاقل عندما يصحو من نوبات جنون عبقريته الفذة التي أطاحت به باللكمة القاضية...
لإستعان بها وببعض الكلمات الهجينة على لغته المعتادة التي تعلمها أيضا من صديق أخر يدعي الثقافة تنهمل عليه كالمطر من حيث لايعرف ويصدقونه أهل الحارة دون التحقق .. فهم قد أرغمتهم الفاقة والذل القابع

على صدورهم ان يصدّقوا كل مايفوقهم وبأي مستوى كان دون الرجوع للتحقق منه .. لانهم ببساطة لايملكون اساليب التحقيق والمباراة لاستبيان من يدعي او من لايدعي..
ويذكر يوما أن صاحبه هذا والمدعو ((سلام)) أحتقلَ ببعض الكلمات التي أستعان في موقف شبه عشائري جمع أفراد بعض كبار الحارة في إشارة لفض نزاع ما.. وكان تأثير الكلمات ذا جدوى بهية .. بل أن الحضور كلهم أمتنّ شاكرا ((لسلام)) الذي لايُعرف عنه شيئا حال سفره لبلد آخر يتبضع مستقبله الذي وجد فيه ضياعا بائرا هنا...
فحاول جاهدا حامد أن يستند الى تلك الكلمات ويستمد من جملها ماينا سب هذه المناسبة الضرار التي لم يكن يوما ليخطط لها..
وقد سرت فيه سريانا أزليا مُخططاً له بقدرٍ محكم ..
وبينما هو يعانق الثقة التي وجدها قد وضعتها فيه ندى أردف قائلا :
((لاتهتمي ياندى .. المهم ان وجود أحضان والدك هي تغني عن ماجرى من مشيئة الاقدار..ويكفيه فخراً أن جنابكم خير خلف من أحسن سلف...))
لكن كما يبدو أن الكلمات لم تجد لها صدى بقرابيد ندى وتعابيرها التي يبدو عليها الانشغال بالانتقال لحدثٍ آخر غير ما أوجزت كما تقول من خبايا...
وكان ظن تخمين حامد في محله..
_ندى : ((أبي ... يا لأبي الذي جعل مني أباً محله في تحمل ملامات وتأنيب من يحلو له التأنيب فقط متشمتاً..
وهذا ((البابا)) الذي تقصده ليس له من الدنيا الا ((بهجت)) الذي يقيم في أمريكا منذ قرابة الثلاثة عقود ولم نره الا بأجهزة الانترنت أو الاتصال الهاتفي .. وهذا البهجت الذي تَسوقه زوجته ((هند)) سَوقَ الراعي لقطيع غنمه دون أن يرتد له طرفاً من رأي... وهو تابعٌ لها كقرينه الذي لايحدّثه الا كيف يتم سعادة (هند) عنده...
(أبي) ليس له في الدنيا الا هذا (البهجت) ..ولو شاء هذا البهجت أن تنتقل له كل أملاك أبي المتكئ على (محاسبيه) المستغلين لكراديس لايعي أماكن

كثير من عقاراتهِ الموروثة لجينة (الDNA) التي أنطقتها بنا السماء لنعيش في الارض مرغمين أحزاناً من السعادة...
لو تدري ياحامد أن هذه البطحاء الواسعة في مشارقها الكبيرة ومغاربها الفريدة لَتضيقُ علي حتى أراني محشوةً في أحدى زوايا الغرفة تمزق معدتي الآلام , وقولونيّ الاشواك , والتي أحيانا لاتُهدئها الا المسكنات التي زاد من بلاء معدتي بلاءاً ومن رجالات (الآم المفاصل والصداع) جيوشاً..؟؟
أتعلم ياحامد كم معاناتي محتاجة اليك لتنفض عن ريشها الصغيرُ بللّه..؟ أوه..يالفضاضتي..ويالوقاحة أدبي وعدم حسن ضيافتي عندما أقحمتك قسراً في همومي التي أرى أن لاأول لها لا أخر؟...))
هنا أبتسل حامد بسرعة وأراد أن لايجعلها تشعر بسوء تأنيب الضمير لفضفضة كلامها دون أن يجاملها.. بل أنه كان (متلقياً) من النوع الممتاز دون أن ينبس ببنت شفة .. هو بالحقيقة كان مصغيا متأملا هاربا ومرّوعا مما سمع .. وترسم أمامه الخيالات كما ندى تُجسد وكأن فيلما حديثا (لأحد مشاهير هوليوود) وهو يحتل شباك التذاكر بأعلى مشتريات ناهيك عن الاخراجات التي يُشهد لها خُرافاً..
بل كانت عينيه تلك الكامرا التي تلاحق الاحداث من زوايا لم تلاحقها عيون المخرج العالمي(ستيفن سبيلبيرغ) أو احداق (رون هاوارد) الواسعة الافق...
فقال (حامد) : لا لا عفواً .. إنما أنا اشكر مدى ثقتك التي وضعتها فيّ وإنتقائك لي هو شرفٌ لايضاهيه شرف...أنا الذي أشكر لك ممتناً ذلك..
_ (ندى) : توقعت أن أجد فيك نخوة شهامة الرجال التي ضاعت هنا في دهليز البيت المختمر بالالم...فالوحيد الذي يحمل رفيع المقامات هنا ..كرجل..بهجت القائم الحاضر.. والذي لايهمه الا كيفية وصول الحوّالات المصرفية بصورتها الوثيرة الثرّة الى الدولة التي هو فيها أختياراً..
وأنا الام والاب والاخ والاخت (والملامة), والشماعة التي تُعلق عليها جميع ذنوبهم وأثقالهم ومن يشاء من عناية خاصتهِ ومن يستهفُ له ما أراد

دون أي أعتبار لي .. ولأنوثتي الضائعة.. الضائعة بين نكران الذات ومحاولة أرضاء ضميري.. وقبلهُ السماء..
وأنا.. أين انا..؟؟.. أين أنا في هذا الكم الهائل والزخم الطائل ؟؟!..
أين أنا ياحمقى البراري؟؟..ويا جامحات الخيول؟؟..
أين أنا يانسائم راجت بأمواج أعشاب السهول ؟؟..
أين أنا .. بين الرؤس والاقدام .. وأذناب الذيول؟؟..
أين أنثايّ التي صدئت بين أسراب الذهول..
أنهارت (ندى) هُنيهة بين ذراع شهامة حامد..والتي وجدتْ فيها معبدا تنفضُ بها ذنوب الاهات اللاذعات في صدرها الصغير .. صغيرٌ صغر المرأة الانثى من تحمل عنوانا للجنس اللطيف سكنّاً..
فتداركتْ عباءة كبرياءها التي أنسلّتْ و أنكفئتْ غير مرتبة كعادتها تحت أهوال إقرار أعترافات مذلّة ..
فقالت وهي تمسح الدمع بيديها وليس بمنديل كما تتبجح النساء.. وقالت وأصابع يديها تهتريها رجفة ربما أثارتها مجاميع المهدئات التي كانت لها رفقتها الوحيدة في هذه المجرة البليدة..البليدة المهيدة..
وقالت بصوتٍ يوازي يديها ارتجافاً وضحكة تصطنعها تلملم بها أشلاء ماتناثر بين الضحايا في ساحة وغاها الأسقم..
_ (ندى) : دوّختك معي..ماكان يجدر بي ذلك.. عموما لندخل الى المنزل لعلّ العاملين إنتهوا من إعداد الطعام..
وبخفة رشيقة.. بان عليها أثار العقود.. نهضت وهي تقبض بيديها العصفورتين كف حامد اليسرى وهي تبتسمُ مواراةً..
_(ندى) : هيا ياحامد لاتبتئس لحالي ..فلقد تعودتُ الامر فأصبح غير ذي معنى..
لاحقتها عيون حامد مضطربة تتهجد الكلام المناسب ليعلّق على فعالياتها المسترسلة كما لاحقتها حركته بنهوض قامته التي جاوزت ندى طولاً بأكثر من شبر ونصف..
فنهض وهو يتمطى وأمسك بعصفور يداها بيمناه, وتمشى معها الى حيث مساقُ أرجلهم في منزل ندى السيراميكي الذي كان ينتظرهم في بابه أحد

خدمه الكبار بالسن بوقارٍ كثيف, وهما يُبتلعان في هذا البيت القوي البناء المرصوص عقيقه..
ألتويّا سلّما من بضع درجات صغيرة يفرّق بين البيت وحديقته وانتهت هذه الدُريجات ببابٍ غير مفتوح ولا مؤصد وليحافظ على درجة حرارة المنزل التي كان لابد أن يحتفظ بهذه الدرجة طيلة أفصُل السنة..
إتجها لمساند طويلة غرار تحفها التي تكتسيها الكرستالات في طراز قديم غير مُبهر ولكنها أكيد ذات معنى ثمين لايعيه أمثال حامد الا الراسخون في علم تثمينه..
هبطا مائدة الطعام الطويلة, ولم يكن في مدرجها غير ندى وحامد...والخادم الذي لابد أن يكمّل (البرستيج) وبروتكول شريعة المائدة الغنية أو إتفاقية جنيف عليها لمثل هذه الحبكة التراثية..
كان طعاما زهياً رائداً بكل طبق فيه .. رغم أن نتوءات لسان حامد المتذوقة أنبهرت بما لم تعرفه أبدا فكادت أن لاتجيد ترجمتها الى حسٍ يشعر بلذته ليعرف له عنواناً ..
كل مايعرفه انه يأكل طعاما سميرياً مفعّما بالخجل من أنه قد يُخطئ في حمل أدوات الطعام من أشواكها وشفرات سكاكينها وبين مايمكن أن يتقدم الطعام وطريقة أخذه من الصحن الرئيسي والملعقة الكبيرة لصحنه الخاص ومجرفته الخاصة...
أبتسمت هنا ندى وحاولت أستدراك الامر وقالت : ((أرجوك ..تصرّف دون تكلّف .. وكل كيفما شئت, فلاكامرات مراقبة ستنتقدك ولا أشخاص يتحينون الفرصة لينقضوا عليك بنظراتهم الساخرة ...)) قالتها مع أبتسامة أرادت بها ردّ إشعاره بالاستقرار في قريرته.. فهدّئتْ كلماتها من أرباكه الواضح له, أو ربما للخادم الذي يرمقه بنظرات تشرح أستياءه من عدم

مايجب أن تكون عليه طريقة (الاتكيت) التي أعتاد الخادم عليها اكثر من أسمه القديم..
أكل ولم يشعر بأية راحة بالطعام.. فهو أصلا لم يكن للطعام بالّا في محيّاه.. ولم يكن الطعام هو ما يهمه في هذه الليلة التاريخية المجسمة بابعادٍ ثلاث ورباع وخماس في حياته..هنا أنطبق صوتها مع حسائها الذي تشربه
_(ندى) : سأريكَ البيتَ بعد الانتهاء من الطعام... وسأريك شيئا من طفولتي التي وقفن عندها الاحداث ..
وسأريك غرفتي التي أنصهرُ مع جدرانها دائما كرُقيةٍ لحال نومي..وربما بكائي الذي تعودت مزاولتهُ.. حرفةً منامية بأحتراف مهيب..حتى أحيانا بلا سبب, فصار لي روتينا ساحقا..
_(حامد) : شكرا هذه من رفعة ذوقك الكريم سيدتي..
قدم الخادم بعض الفاكهة المتفلقة من المائدة وكأنها نبتت بها مظهراً..قدمها بطريقة مؤدبة إسطورية وكأن رجلا أليّاً برمجته الخدمة لاداء مناسكاً ولد فيها.. وبكل أدبٍ معجونٍ بخجلٍ كما البداية, أخذ قطعة بسيطة من حبات التين الذي يحمل الواناً.. وبدت قطعة التين الصغيرة وكأنها وليمة طويلة فلقد أَكلها بعدد كبير من القضمات الصغيرة إما مصطنعاً الاناقة أو لان الموقف وجده تلقائيا يستوجب ذلك..
أكملوا طعامهم وأخذته في رحلة فريّة بأرجاء المنزل وزواياهُ الهادئة وكأنها تضاريس تُركت لترسم الطبيعة فيها رسومها التي تريد تنهداً..
دارت به في المنزل والذي لم يلفتْ من أنتباهه شيئا فما تُريّهُ إيّاه أولا, أو وسطا, أو مرورا, أو آخرا.. كلها كانت له مذهلة..كما وان الامر لايعنيه بالمرة فهو ليس بحاسد ولاربما طامع يوما بأن يقتني بهرجة واحدة مما يسمع او يرى.. لأن ذلك لأمثاله كوكباً آخراً.. بلا أوكسجين فقره المكيَف معه ولادياً... ولكنه كان يبدي عبارات الاعجاب تارة وحركات الامتنان لذوق المشتري والمصمم لما يرى تارة أخرى..
هناك ... وقفت امام باب صاجيّ باذنجاني وبمقبض ذهبي.. فَتحتْه فكان له صدىً في البيت الكبير الخالي من حركة الناس.. فقالت له بأبتسامة

ريوعةٍ دلوعة ..هذه غرفتي.. وحالما فتحتها حتى أستقبلتهما منه عبق عطر الفخامة والثراء الفاحش حد الفجور ...
رائحة البيت ممزوجة برائح الاثاث والتكييف عالي درجة الانضباط والصاج الذي كأنه ذُبح للتو من غاباته المنتقاة بعناية فائقة..
دخلتْ الغرفة الجامحة التي أستقبلتْ أقدامها مُرَوِضةً وكأنها قد أستسلمت لصدقتها الجارية فصدرت منها الموافقة المطلقة بدخولها..
_(ندى) : تفضل حامد.. تفضل .. هنا اعيش أدقُ تفاصيل مشاعري وخواطري بما لا اخطط.. او ربما احيانا بما أخطط ..
هذا سريري الذي لازمته منذ صباي ورفض تغييري رغم العادة المتبعة بتغيير الاثاث بين حينٍ وحين ((برسيتيج)) لكني تمسكت بسرير الذي تمسك بي هو الاخر فكانت لنا فيما بيننا آصرة معاشرة لايمكن لاحدنا أن يُنكرها...
وهذه مرآتي التي ملّلتْ من النظر الطويل اليّ كلما أطّلعتُ عليها ..
وهذه خزانتي التي تحوي ملابسي وأغراضي وحتى جلّ ذكرياتي منذ طفولتي..
وهذه كتبي التي أسافر فيها أحيانا لعالمها الاخر..
وهذا تلفازي المسطح ... وتلك شرفتي التي تشتكي قلة زياراتي...
وبينما تحاول ندى أن تشرح لحامد المهتم جدا هذه المرة بهذه الزاوية المهمة أهمية قصوى له.. وهو لم يكن ليتخيل حتى في أقصى خيالاته أن تطأ قدماه هذا الموطئ الكبير ...وبينما ذهنه منشغلا سارحا فيما فيه كانت ندى ماتزال كمرشدة سياحية تشرح عن غرفتها ,ولنقل, مآثر من خاصِ عذريتها...
أطالها خيالا بما لايسمع ماتقول.. وهويسمع قلبه يلجلج..
أنتِ..

أنتِ..

ياباكورة أتكأئي..

وملحمة دارت

بين مسافات

نبضاتي..

تجمعت في حضرتك

جيوش المشاعر

وتهشمت

تحت عرشك

آلآم المناحر

أديتُ في معبدك

تراتيلا

لا اول لها.. ولا آخر

أنتِ.. يانهرا جرى

بين

الروح

وبين المعابر

فأحالت جثامين

الاشواك

دمعا..ومقابر

متى ألتحفك

سكراً

وخمراً

وكتبا

ودفاتر

متى أستطعم

شِفاها

أدارت الازمان.. والمآثر

وأرتحل على ماضيك

البربري المساهر

بلا مسافر..

وأحط رحالي

حيث تنتحر.. السواتر

...فجأة..وبحركة متبادلة بين الطرفين وغير مقصودة بالمرة ألتفت حامد (السارح ذهنه) في ذات الوقت الذي بَرمتْ فيه ندى نفسها لمقصدٍ آخر.. فحدث إن تصافحت أجسادهم... وبمساحات معماريٍ تائه..
ووجد حامد نفسه فجأةً..
ووجهه ملاصقاً لزفيرِ نفسِ ندى المعطر خُلقيّاً...
ووجدت ندى نفسها بهذا الموقف الغير محسوب بالمرة...
صمد الاثنان أمام زلزال الموقف الذي (ربما) رسمته الصِدفُ وخططت له الاقدار دون سابق إنذار..
تجمد الاثنان أمام مدفنهما المهول...أستمر الموقف... ربما.. لدقيقة .. ربما لاكثر.. ربما أقل.. هذا مالم يحسبه الزمن ضمن حسابات جبرهِ المعروفة.. فقلد أنشلّت عضلات أعناق عقاربه المتسارعة الى الامام دون هوادة, لكنه تسمّر الان في عالم اللازمانية ..
أرتبك حامد.. وصالَ ارتباكه من داخل صدره الى كل اعضاء جسده الذي كان احيانا يطيلُ النظرَ اليه متسائلا : هل هذه الاعضاء كتبتها لي الاقدار منذ الازل لتحيا حياة الشقاء المذل..؟؟؟

هذا الارتباك الذي سوّرهُ أرتجاف قلب حامد بين بطيناته وأذيناته ..لكن نفسه كانت له معوّلا وسندا أذ أعطته الضوء الاخضر دون وئادة..فنقرت له نفسه تسويلا : ((هي تريدني .. وترضى بذلك.. وتَنيخُ لي نوقِها..بل أنها .. ربما كنتُ أنا في خيالاتها تجري لي بروفات كما كنت انا اعاني ايوان هذا الحلم ومأزال .. وليس من المستحيل الان أرتقاء هذا الشموخ .. بل انني تأخرت في العطاء ربما كان من الاجدر لي إستسالتها بأرجوحة الحديقة...))

فقرر حينها أن يغتصب جرأته ويمرر يديه محاولا لفّ جيدها بيساره..

وتغلغلت يمينه كمشط تفارقت أسنانهُ بين ربائب شعرها الذي يبدو أنها تعبت لأجله طويلا وربما أنفقتْ لاجله الكثير والكثير ليُثمر بهذا البهاء..

توسد رقبتها براحة كفيّه وجرّ رأسه المبهرج الناعم برفق لوجههُ.. فأطاعته فيها ردة فعلها.. فأقترب الوجهان .. وتنفّسا زفير بعضهما فلفحتْ رائحة زفيرها (المعطر من جذرشهيقه) عقيق مجاهل رأسه ..

وكيف لا وهو (نَفَس) هواء ندى الذي تغلغل في صدرها قبل أن يفارقه..

شعر برفرفةِ قلبها المتسارعة كما لاعبُ السيرك الذي يرادف أخطر مافي قفزته تسارعاً شديداً بقروع الطبلِ ليزداد الموقف حضورا...

نظر في عينيها التي تلتمع فيها صورته المستجرئة.. جُرأة المقامر المحترف وهو ينتظر ورقته الرابحة ..

يكاد يشعر بطعم أنفاسها يختلج في شفتيه الغليظتين...

أغمضت عيناها مستسلمة.. وكأنها تقول.. سنسرق من هذا الزمن سعادتنا عنوة ودون توسلات... او هكذا كان تصور حامد تقوّلها ..

واستدلَّ عليه إغماضة عينيها المسترسلة بين شباك ذراعيه..

((ندى ....حلم الطفولة الغائب الحاضر..))

تقارب الوجهان ..

هناك حيث يفترق الواقع والجسد المادي المحاط بأربطة الأبعاد... للأبعد..

فوجد من سلاسة استجابتها اليه ان يستصرخ جرأته..فمزق هذا الحيز الكوني بكل ما أوتي من قوة في خلقه

فقال ((ندى ..هل تقبلين بي زوجاً؟؟))

فجأة ..أرتجّتْ ارجاء ندى رجّاً عنيفا صارخا ..

وسحبت نفسها للخلف أدراجا عديدة ...
وتعالت الكبرياء بعروق الوجنات..
وتغيّر ألتماع عينيها النابض بصورته...
صرخت ندى : ((ماذا تقول ؟؟!!.. كيف تتجرء أيها الحقير الوضيع من أسفل البقاع في الارض وأدناها أن تسولّ لك نفسك سَبرُ أغوار الحواري؟..
كيف تمادى بك الغرور فتصورت إنك تنال نظرة من أوتاري ؟؟..
أخرج أيها النتن البائس كرائحة عطرك الوضيعة المُزجاة ..
تصورتُ فيك شيئا من الوعي المقدرلتمام قدر مكانك عند أقدام اسيادك..
فأستغللته لصالح دنائة نفسك الطامعة السافلة ..
أنت تعلم ..كما الكل يعلم ..من نحن ومن انتم؟؟.. ومن اي السلالة ننحدر ومن اي الحثالة انت تنطمر.؟؟..
هيا اخرج قبل ان اجعلهم يطردوك ..طردةً مثلما تستحقها انت وامثالكم الحفاة العراة... ولتصبّرني السماء وأن اجعل الموقف ينتهي هنا.. ولأعطي لمثلكم درسا شديدا.. يحذرهم من النظر لابعد من انفهم المطئطئ دوما لإرضنا))
كانت الكلمات اشد وطئا من الرصاص المنفلق بعقر قلبه ...جرى الموقف بلحظات قليلة.. وكاد يغمى عليه حامد من صفعة وقع رعد الكلمات الجلل..
شمّر حامد عن انفاسه التي كانت مؤاساته الوحيدة في هذا الموقف المرهق...
أسرع سريعا هائما هامّاً بالخروج المخزي المذل المُعرّ له من فوق صفيح المستوى الراقي العالي الشديد الانحدار الذي انزلق منه بقوة تمنى فيه لو كسرت رقبته على هذا الذل الذي احاطه كالهواء من كل جانب...
خرج مهاتفاً نفسه بالبغض والحقد الذي كان يتربع صدره منذ امد ويحتاج الى اقل من هذا الموقف بكثيرجدا لينطلق بسوادٍ كثيف المادة على كل مساحاته مايعلم منها وما لايعلم..
أحس بالمسافة بين باب الدار وباب الحديقة طويلة ...طويلة جدا ..
يمشي راكضا سعيا بكل جحوده.. ولكن كأنه لايترك مكانه ... ((متى ينتهي هذا الكابوس اللعين الرطيم))..

حتى انه من فرط سرعته هوى أكثر من مرة بما لايدري ربما بافكاره المتلاكمة في صراع لافائز فيه الا الذل الذي ساقه الى هنا ليطرق سندانته سحقا مُهينا ليكون أضحوكة نفسه المنذلة أصلا بفقر اهل حيّه المنطمر تحت ركام الذل يغطي بعضهم بعضا فلايجسدونها كونهم من نفس الرفقُ المذل..

وكيف يهزءُ المبتلّ بمبتلٍّ على بللّه..؟؟

وصل بيته وهولايشعر ولايدري كيف وصل ومن اي طريق سلك.. ومن شاهد.. ومن لم يشاهد.. ومن رد عليه السلام.. ومن تغافله..

القيح الصديدي يملئ قلبه المستعرُّ ألماً..وغضبا ..وغضب..

لايدري أيغضب من عدالة السماء والتي قدّرت له ذلّه المهين ..

فحاول ان يعيش لحظات في غفلة عن هذه العدالة التي لاترحم الا من انتقته لها مرحوما في كل الأسماء..

لاحظ اهله الذين لايلاحظون (عادةً) اي تعابير لاي منهم لانشغالهم الدائم بمزرية مرابطة تسيير حافلة معيشتهم الثقيلة العجلات حدّ تحجُرها .. والتي ان تأخّرتْ لحظة سحقتهم سحقاً قاطرة الموقف..

لكنهم لاحظوا وجهه الذي ناطح نجوم السماء التي لايعرف لا هو ولا أعلم العلماء مدى صحة وجودها حقيقةً, وربما مجرد لوحة وضِعت ليكتمل بها لوحة الارض الموضوعة ومسخرة ((كما هم)) لخدمة اسيادهم من المُثُراء الاغنياء والساسة الحضور..

دخل غرفته التي يشاركها فيها الكثيرين من افراد اسرته المقيمين واحيانا الغير المقيمين من اطفال وكبار...فشعر بضيق صدره الخانق بهذه الغرفة المظلمة نسبيا والتي لاتزيد وصفا عن القبر الذي يستقر (صبري) الصغير فيه..

شعر بنفسه مضطرا للخروج بسرعة شديدة للشارع هربا من سقر غرفته وسلاسلها الجاثمة دائما على صدره..

خرج الشارع الذي يتمنى ان يكون طويلا يلفُّ الارض دون حدود.. او جوازات .. أو تأشيرة دخول ..

ليظل ماشيا دون هوادة تهزُّ فروة رأسهِ بُروقٌ ورعود السماء التي تنهال عليه أنهيالا بكل مايمكن للعواصف الاعصارية المتعصبة بغضب عدالة السماء العادلة ...
تمّشى وسط الطريق وأحيانا شمالا ويمينا ولم يعبء لصراخ السيارات التي تشجرت عليه..
وأنطلق على احد الارصفة التي استقبلته بكرم واسع الحيلة..
كان الظلام يغطي السماء المشتعلة كما بالسواد كما بآلام ذلّهِ التي لن ولم يغفرها هو للسماء العادلة...
وماهو الجرم المضني الذي فتق السماء فتقاً فقررت منه الانتقام بصورة اصعب من الموت الحي إقباراً.. بأضعافٍ شديدة..
_ حامد :
((مالكِ ايتها السماء تستضعفين من بشاكلتنا ؟؟..
الن يكفيك جرار وحوش سُقمكِ علينا بإلوانهِ.. الضوئية فوق الصوتية ؟؟..
الا يكفيك عذابات السنين وعيشنا الرثيث ..وبقايا الملابس البالية ((المستعملة)) نتقوّض بها شاكرين لك؟؟...
الا تؤدي ابتهالاتنا اليك دون اعتراض؟؟..
بل اننا في داخل أنفسنا وعقول عقولنا ومراجل قلوبنا لانكنّ لك الا الخوف والولاء والثناء..
رغم سقم واقعنا ... وفي غياهب مايغيب بالغيب نعاقر مبادئاً رسمتِها لنا منذُ أجنّتِنا بل ونفتديها بأهلينا وأنفسنا..
ألا يمكن ان تقابلينا بشيءٍ من إحرام الذات أو أحترامها؟؟..
اين كرامتنا التي تضيع كل يوم تحت (سرابس) اقدام الاثرياء والساسة والسلاطين دون اي منقلبٍ منكِ ايتها السماء...

لايمنع كثير منا..ربما..أن يجاوروهم غنىً إلا استكانةً للمبادئ المكتوبة باقلامكِ التي نشكُّ احيانا صدق وجودها فنقول.. وسوسةٌ .. او همزات إبليس..

حتى قصة أبليس (التي أُورثت لنا) .. فقد رفضَ الذلَّ وهو كان ينعم بالجوار والصدق اليقين ..

بل إنه فضّل العذاب الابدي على ذلِّ لحظة سجود ..!

او هكذا افهمتنا قصص المعابد والمآذن والنواقيس وعسسهم المترفين بشغفٍ صاغر وبجمودِ جمادها دون اي معتبر الذين يهميمون تحتها...

سأنفضُ اليوم الصخور عن حقيقة تكلّس عليها الزمن طويلاً ..

وسيّستهُ الانظمة والغُناة والاثرياء وكيفما يشاءون كي لاتقوم لأمثالنا قائمة وتحت عديد مسمّيات (جريمة.. كفر..جحود.. أو ذنوب باحجامٍ مختلفة,,كلها وغيرها تبرر لهم ذبحنا على سارية تحقيق العدالة بنا .. وبنا فقط..!!!))

ولتسودَ لهم القرابة للسماء فهم طبعا بلاذنب.. ومن اين يأتيهم الذنب ان كانت الحاجة عندهم معدومة ..

أتُحاسب السماء المرء المركون في ضائعة الحاجة ؟؟!..

أيُ ظلم ياعدالة السماء!. وأيُ قسمة ضيزى!؟..

وكيف يجني الغني ذنباً يُقَرّفَهُ له المجتمع الذي لايسود فيه رأياً.. الا رأيه تحت طاولة ((ديمقراطية الباشوات!!)) ممن تزامن معهم العصر ...؟!

أيُحاسب المرء بجريرة قساوة ظرفِه...؟؟!

أذكر ((ابو احلام)) الشاب المعتدل القويم الذي وجد (أحلاما) تعاني مرضا وبحاجة لعلاج لايمكن تدبيره في المشافي الحكومية (كماهي مراسيم العادة).. الا بوجوب استشرائها من مهاجر الصيدليات الخاصة وبسعر بهي باشوّي...وتوسلّ يومها بصيدليات عديدة عدة, إنّ حياة أحلام الصغيرة كإسمها الذي أنتقاه لها على أمل تحقيق ماتتمناه هي بعدما وجد ان الامر قد فاته..منذ صغره..

رفضت الصيدليات جميعها أعطاء العلاج له دون اكمال الثمن الذي لايملك الا نزراً منه ويظل الباقي عليه ((ديناً حتى حين)) ولم تجدي توسلاته بهم

(وأحلام) تعاونه التوسل دون ان تعي نابها اللبنية إنها على جرفِ نهرٍ سارٍ الى نهاية حافته الشلاّلية الانحدار..
حتى .. حتى أضطرّ بوضح النهار وبدون وعيٍ كامل أن يهدد أحد الصيادلة بسكين صغيرة أن يسلمه الدواء وهو يَقسم له بأغلظ الايمانات بأنه سيسدد ثمنه حال تيسره ..
فماكان من الصيدلي الا ان يسلمه الدواء تحت التهديد وهو واثق ثقة مكراء ان أمر اعادة الدواء لن يطول كثيرا.. فجميع السلطات التي تحمي الصيدليات من جشع اجرام المرضى الذين لايفكرون لحظة برحمة الصيادلة المساكين ..!!!
جميع السلطات متواجدة حال الطلب ليقتنصوا من المرضى (الجشعين!)..
أستلم (ابو احلام) الدواء بيد تهتز ارتجافا اشد من الزلازل بأعلى مقاسات (ريختر) .. وحال خروجه كان ينتظره عدد غفير من الشرطة التي تمكنت بالاطاحة بمن لايغتفرذنبه الكبير..كما وكان ينتظره سجنٌ لاكثر من عقد..
وماتت ابنته قبل حتى محاكمته..
وزوجته التي عشقها حبا.. تترامى الان بين احضان الرجالات بألوان كثيرة في اليوم الواحد عسى ان تحقق شيئا من الطعام لها , ولزوجها في مقابلتها له التي ناهزتها المحكمة في يوم محدد متباعد حدا لايحتاج الى التدقيق الشديد ليعرف التغيرات الفسلجية على وجهها نتيجة التفاوت الطويل بين المقابلة والاخرى ..
وانت ايتها السماء تنظرين دون تدخل .. ولاشيءٍ من مشاعر..؟؟؟!
أَلا متى تتدخلين..؟؟!
انا لا اجد نفسي الان الا وجودوياً..
فلقد بَريتْ حادثة اليوم الذليلة لبيّ تحت الشعارات التي لاجدوى منها الا حماية الطرف المنزلق صعوداً الى هرم الطبقات الراقية علّواً..
تلك ((ام رشيد)).. والقائمة طويلةٌ طيلة زمن وجودنا على هذه المعمورةُ بثراء حكام العصور فتركوا لنا التاريخ كيفما رسموه..
(ام رشيد) اماً لأطفالٍ اكبرهم صغير اخذت منهم السماء والي امور معيشتهم وتركتهم لقمةً لقيمةً سائغةً تنهشها الظروف فضاعوا بين تواليات

أحكام محكمة القانون المستمدة منكِ لحماية ظروف اناس وسحق اناس..
دون ان تسمحي لهم ولغيرهم من التفوه لحظة لأماطة اللثام لتفكيرهم ...
تتناثر الحوادث في رأسي والتي لا أكاد احصيها وهي تتبلور في ساقية عدالة السماء الجافة جدا من ماء عدالتها...
وكلما سمعنا قصة في أقنية التلفاز والقصص والروايات والتي كانت دائما تنتهي بالنهاية السعيدة بعدما تنتقم عدالة السماء من ظلم الاغنياء بحق الفقراء..
ولكنها كانت وتكون لتبقى إرضاءاً لشهية الاغنياء وانظمتهم التي سوّقوها ولتجري الاحداث وتنجح الرواية برضى الكبار كي يُرضون جماهير الفقراء في احلام قصصهم ورواياتهم فيناموا راضخين مُستغفلين..
اما الحقيقية ...فلا...لا ايتها السماء العادلة .. الحقيقة هي مآسي تجري تحت مستوى لهيب صفيح الارض وتتغاظى عنها عيونك من الامر مع ما لايستحق..
حتى شكوى ندى.. وكما جرّتني من البداية لينشق قلبي عليها .. فما شكواها جاءت الا عن ترفٍ مترف وثراء مثري..ودلعٌ أصاب عنق زجاجتهم وأتت أُكُلُها كيفما يشتهون...
فمامعنى مشكلة اخيهم المقيم في امريكا ويعيش أجواء الرئاسة الملكية دون مسؤولية تعرضه (ربما) لاسباب سياسية للاغتيال ...فهو في نعيم دائم !! .. وتشكو ندى امها المدلّعة التي تنطوي تحت ظلال الدلال وهم يروها بالنسبة اليهم ميتةً حيةً..! والموت الحي ان يُترف المرء حد الانزواء..؟!!
والآخر الذي تنقّع مرحاً في محيط اللهو, فلم يجد من اللهو ما لم يجربه..
وبنشوةٍ يحلم بأقلّها أبسط افراد طبقتنا ان يجدها مع زوجته المعذبة معه لتتمسك بالحياة دون إزعال السماء لكنهم لايكادوا ينالوها مع تزاحم الاهل

معهم او الاطفال الذين يتأسّرون معهم بنفس الغرفة التي لاتمت للحقوق الزوجية بصلة تسمح لهم باداء هذه الشعائر في معزل غير مفضوح..
فلجأ أخو ندى بعدما ملّ الملل من اللهو بأعلى أسنام السنامات فجاس بحار المخدرات وأرباب الحرية بكل مايشتهي بدون حدود الى الابد على أكبر المصارع .. فهو يعيش المطلق.....
وأختها الغارقة في عشق هوى حلم فارسها العريض العرين ومن العوائل الكريمة الذي هاجر بها الى حيث تحقيق احلامهم في جزر أُبهيات العالم وقراطيسها التي تتنفس كل الالوان بالصورة الحقيقة الكاملة البلازمية الواضحة الدقة ...
فأي بلد يسمح بمجرد دخول أمثالنا ؟؟!.. فنحن الموبوءون الذي يمكن أن ننقل وباء فقرنا أليهم أو الى من يجاورنا.. ولسان حالهم (لاتربط الجرباء قرب صحيحة .. خوفا على الصحيحة أن تجرب)..
فأخت (ندى) وفارسها المقنع بقميصٍ مفتوح الصدر دائما, يهيمان تائهان دون تخطيط لحرية مايتمتعون من ثراء مسنود..
وها هي ندى .. تعاني آلام السعادة المفرطة التي تعيشها أسرتها تحت الصالات المكيفة بدرجة حرارة ثابتة لاتمت للفصول المتعاقبة بمصاهرةٍ لإية أعراض ..
غير مبالية ندى بما تهتكه السماء بمساحات الفقراء الشاسعة وعرجونهم القديم..
بل ان شهادتها الكبيرة التي تميزت بها لا لتميّز ذكائها بل لتناسب ظروفها , وراتبها الشهري الضخم.. كلها وجدتهم ندى مجتمعين ليوّلدوا ألما بطاقة عالية متذمرةً في وسط الثراء الذي يلاحقها دون رحمة.. فوجدت في كل ذلك ألما يصيبها بالكآبة ... او هكذا تراه بطراً...
أين مأساتكِ ياندى جنب أبسط ما يعصف بأساطير المآسي في زقاق حيّنا الذي من مجموع مئات بل الاف الازقة التي تمتلئ تحت السماء العادلة..
وهؤلاء الأغنياء يعيثون في ارض المعتوزين خراباً ويعتدون على شبابها ونساءها وشيوخها وصغارها بل وحتى رضّعها لم يسلموا قيد أنملة من ظلم

بكل فنونه القاسية الملحمية الملهاة التي هي سلوكهم الوحيدة بتعذيب أهلوها..
وأنت ايتها السماء تتفرجين.. نعم .. لاتدخل لك الا التفرج كجمهور القادة والرؤساء العرب والخيجين دون حراك... والفقراء ليس الا يذودون عن حقهم المسلوب بقلب شمس الظهيرة وامام أنظار الجمييع المختبئين خلف قلاع الخوف المحصنة تحصينا تاما ..
وأنت تنظرين .. ولاتتصرفين .. وتشهدين ولاتنتقمين.. وتهدئين ولاتنتفضين..
بل ربما للطغاة الطريق تمهّدين..او ان ذلك هو ماتريدين .. فكيف يجري مالاترضين.؟؟!!
فالامور لعدالة السماء محسوم كآخر منفرج في المدرج الكبير..
وكما العراق .. تُراق طيّ اراضيه الدماء كنهريه الفريدين تاريخا وحضارة..والنساء الثكالى تتهاوى في كل زقاق.. بل في كل بيت ..وشبابه الذي يُضاهي القمر المبدّر في ليلته الوحيدة منتصف الشهر أنما يترامون في أقمية الازبال جثثاً لقمامةً نكراء..ولم تُوفَ ثيابهم الجديدة عرساً..
ورجالا أكلتهم السجون فتركوا أطفالا مشردين بين أربية الاراصف,
وأرامل لم يتمنى ان يحلم بجمال عمرهن (هارون الرشيد) .. ينازعنَ الجبال ..
وليس من منصفٍ الا في المحال..والكل ينتظر حلا في خيال..
ونحن لاخبرة لنا الا بالانبياء الذين سمعنا بهم ما فطرتنا عليه خمرتنا , وتناجوا في الارض نجيّا .. ورأى من تبعهم ممن عاصرهم من معجزات حقيقية سرمدية لمسوها بأم أعينهم ولكن كان إن انتهى بالكثير منهم بأن

أرتدوا عن أنبيائهم ودينهم الذي أتبعوه..!! بل وفي أحايين كثيرة قتلوا أنبيائهم...
فكيف بنا ونحن لم نشهد من ذلك الأمر شيئا..؟!
وهذه الكتب السماوية التي جرت على كل الخلق لمن يؤمن بالاديان الا تستطيع قوة السماء الجبارة الازلية ان تتمكن من حفظها على الاقل دون تحريف او تسويف او تجويف..؟؟! كما قيل لنا وأُفهمنا...!!
الا يمكن حفظها لتتخطى كل الحروب والمآسي ونتمتع بعدالة بين الاقوياء والجبابرة وبين الاخرين ليوقنوا ان المصدر واحد ..والنبوءة ذات يدٍ واحدة..؟؟
ورغم ان معاصرين الانبياء ممن تزامنوا بعصرهم رأوا الحقائق مجسدة مسجاة لكنهم أرتدوا وعصوا..!!
اما نحن الذين لانرى في محصرعصرنا الا الكلمات على اعناق الفقراء الغيرَمُسامحين في ابسط الذنوب التي لاتغتفر ويجب الاقتصاص منهم وبكل السلطة الممنوحة الممكنة ..
وليفعل الحكام والاثرياء ماشاءوا فأن ذنوبهم امام الرأي العام المصنوع بقبضتهم القوية وأمام السماء العادلة ... مغفور
او كما يرى حامد وعامة الناس البسطاء عندما يرون كيل المديح يُترى لأثريائهم في كل مناسبة او بلاها..فإذن هم ممن رضت عنهم السماء وتجاوزت عن ذنوبهم ..
سأجيلُ العقران لعقلي ليتضور في محراب الانسلاخ من جلده المقبور فيه..
وأجيز له الأبحار بلا أغلال الخطوط الحمراء..
ألا يمكننا الكشف عن خبايا ما وراء تلك القضبان من حقيقة..؟؟
ألا يمكننا البحث عن العلل والمبادئ الاولى للموجودات والحسيات وأدراك الحالات الثابتة للأشياء على قدر الطاقة البشرية ومن ثم نأوّلها التأويل الصحيح لمجرى الحقيقة؟؟..
الا يمكننا معرفة الحقيقة بصورة مطلقة؟؟؟..او المحاولة..؟؟
أم انه ليُحرمُ علينا بأشد أنواع العقاب التفكّر للتوصل إلى معرفة المُثل الأزلية, الثابتة الغير متغيرة....
وأن نبحث في الوجود بالازل المطلق..

أي البحث عن العلل الأولى للأشياء, والكون, والوجود بصفة عامة..
والبحث فيما يجعل الوجود موجودا...
ومعرفة الوجود الحق والوجود الحق هو واجب الوجود بذاته..
وكما عرفها (ديكارت) بأنها شجرة جذورها الميتافيزيقا, وجذعها علم الطبيعة, وفروعها الطب والميكانيكا والأخلاق وكما صرح بذلك وليام جيمس..
وقلّب (حامد) كفيه يناظرها ويهامس نفسه صراخا : أن التفكر عمقاً بلا قيود ليس إلا رجلا صلبا صلدا يريد تحقيق منفعة عملية يبتغيها علميا من يقين ثابت..
وليست (الميتافيزيقيا) لما بعد الطبيعة والبحث في الماورائيات والغيبيات كالروح وبداية العالم...
أو (ميتوس) الأسطورة والفكر الخيالي الدرامي الشفوي الذي يحكي عن قوى غيبية تتمتع بقوة خارقة للعادة في مقابل ضعف الإنسان...
بل هي (اللغوس) كما تدعى وهي العقل والخطاب المكتوب أو المنطق أو العلم... و(الانطلوجيا) للبحث في الوجود عن حقيقة الوجود...
متى نحرر العقل من سلطان خطوطهم الحمراء ؟..
ونجعل السلطان المطلق للعقل؟؟
بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا العقل وحده..
ويحلّ العلم محل الميتافيزيقا..
وأن لا نتجاوز الملاحظة والتجربة إلى ما وراءهما من سبل المعرفة "النقلية" و" الوجدانية."...
وان ننظر إلى الفكر على أساس أنه وظيفة الدماغ..
فالدماغ يفرز الفكر، كما تفرز الكبد الصفراء ...
وأن نثير الشكوك في مشروعية المطلق, (فالإنسان هو مقياس المطلق)..
وأحصر علاقة سعادتي باللذة التي أحسها حسا شعوريا حقيقيا،
لا بالفضيلة والاحتياجات الروحية ... مع جعل الأولوية للإحساسات الفيزيقية (المادية) على المفاهيم الخلقية والعقلية
فالأخلاق من صنعنا، ومن ثمرات خبرتنا وهي مستندة إلى الحالة الفيزيقية...

وبمفاهيم طبيعية أو خلقية نابعة من الطبيعة الإنسانية. ..
قال حامد : يضحكون علينا بما يدعونه (قوانين السماء المنزلة) لحماية إنفسهم الطاغية به علينا ويبرروا كل فعلة تحت عنوانها الملائم ليغطوا سوءاتهم..!
فإن اصابنا سوءاً قالوا أبتلاءا وأختباراً..
وإن اصابنا خيرا (او كما نراه نحن خيرا.. نسبيا) قالوا رحمة من السماء...
واذا أصاب خيراً (أمما) أخرى لاتناسبهم الدين (ذو المصدر الواحد!!)..
قالوا فتنة لهم وجنة الدنيا..!
واذا جاءت عليهم الكوارث قالوا غضبت السماء عليهم..!
حتى بتنا لا ندري أشرٌ أريد بمن أتتهُ المصيبة أو الحسنة أم هو أذنُ خير..
فلكل شئ عندهم جواب رشيق القوام حد التفلّت من أية سائبة أستفهام ..
ثم لم لا تغضب السماء ممن يعاديها عدوانا سافرا علنا صبح مساء؟؟!..
أو لاتغضب إنتقاما بإحد منهم ممن يمكرون بعوام البسطاء من القوم مكرا أستعبادياً بحق الملتجئين اليها بكل الوان الخنوع؟؟؟!
فهذا (ابا شاكر) الذي شح ماء حلقه تضرعا (ولسنينٍ طوال ماتت فيها المواسم) ودعاءه لاينضب للسماء أن ترفع عنه ظلم حاكم سحق سنين شباب ابنه التي انتهت بين جدران السجن..
وهذا (ابو أسيل) الفتاة التي يغازلها البدر جمالا وتغار من فطنة ذكائها غمائم الياسمين..
وهي التي نالها شلل الاطفال فصارت دمعة الالم التي يتحشرج بها دعائه كل حين وحين حتى مات وقلقه يتصارع امام ناظريه لمصيرها المجهول بعد ان سقمت روحه اجابة دعواته السماء.. التي لا آذان لها لتسمع شديد الدعاء...
أين أنت ياسمعان السماء ..؟؟
الا تصغين ؟؟..الا تسمعين؟؟..
اين حاسة السمع لديك.. فلا تستجيبين..؟؟
ام انها حواسُ فُرضت لتصوغ حليَّ زينةَ وحش التخويف والترهيب بعامة البطساء البسطاء.. مما قد سيكون؟؟.. ومتى يكون أن كان لا يكون الان؟؟..

أين بصيرتك لمن أخلصوا لك فكانت لهم الدنيا عقابا جسديا كامل المعنى..
وتلك الفاتنة الساحرة البهاء والجمال (سهير) التي أخلصت عمرها فناءا للسماء فلم تجد الا انها قد نحرت الاربعين قبل بضع سنين بلا زوج او طفل يقول لها أحلى مايرن بأذن الام وكل ذنبها انها أخفت فتونها (التي غزلتها لها طبيعتها) أخفتها تحت حجاب مفروض (قسرا) فاخفى عنها انوثتها المتفتقة فصارت كجريدة برصاء ضاعت منها المعاني تحت حجابها المفروض فلم تميل اليه قبول قلوب الرجال الذين يتحدثون في سريرتهم عن مايلتذعون فيه مع زوجات مستقبلهم فلم يجدو فيها الزوجة الفاتنة التي تستحق... فضاعت تحت اسماء العنوسية الشديدة لهجة السياط على مسامعهن..
وغيرها ممن تحررن من براثن الفرضيات المفروضة قسرا يتموجن في الفاظ الوان السعادة الزوجية...
أم ذلك الشيب الكثيف الذي يحتسي كل مجاليات (ابا فرقد) ويدلّه على دنو قرب أجله.. وهو لايملك سقفا لاولاده وبناته يكون لمن بعده سترا وغاية للزهد..وهو لم يكف لحظة من الدعاء ان يحقق تلك الامنية التي غارت في مغارات اللايرتجى...
لم تكن قواعد قوالب الجلد الذي وضوعونا فيه كعوام بسطاء الا فيضاً من الأصطلاحات لحياكة تلك الخطوط الحمراء المكبلة بالأغلال المتفلوذة صلادةً بنا ومن كل جانب..
إذن هي ليست الا معاني مجردة عن الألفاظ ألبسوها ألفاظاً ومواعظ وخطب ليكون لنا نحن الاغلب المطيع الساذج (في ناظرهم المبصر).. مقنعا ومؤثرا ليدوم إسترسالنا بالخيال الذي يشعلون فتيله وبقية الخيال متفرقع ذاتيا لكل الخيال الخصب...
وأما الأذكياء والحكماء ممن تجاوزت جرأة ذكائه تلك التكبيلات فإنهم يفهمون الامور فتنهار عليهم براكين التهم بأبغض ما يوصفه اللسان مما تمكن منه لغويا..
هل أن الانسان اذا أعتراه فيضاً من التفكير لبلوغ منى الحقيقة قالوا أعترته السماء لتضلّه فتناً.. بالالحاد؟؟..
وهل هذا التسفّن في بحر الحقيقة الجلّاء حكمةً..او كما يُشتهى أن يسمونه

(الإلحاد).. او كما يصفونه.. يأتي بجهد بسيط التفكير والذكاء المحدود لمسافة الانوف لا أبعد ؟...
أم هو وليد جهد هائل و على صعيد عالي التنمية المعرفية الجياشة.. والتغلب على القيود الداخلية الموروثة والمكتسبة...
قال (حامد) في صوت يكاد يكون مسموعا لا يعي مستوى حجمه مسترسلا في افكاره : (الدين كما ارى ليس حقيقة مطلقة بل نسبية...فمنْ يولد في طوكيو لا يمكن أن يكون مارونياً , ومنْ يولد في مكة لا يمكن ان يؤمن بأحد آلهة الهنود الحمر , أما من يولد في عائلة يهودية في القدس فلا يمكن على الإطلاق أن يكون من اتباع ديانة جبال تورا بورا..
لقد تمجّروا (سادة الدين) مستغلين ضعف وخوف الانسان من ما قد يكون من ما ورائية الموت.. فالإنسان حيوان اجتماعي إلا أن الفرق بينه وبين الحيوانات التي نتشارك معها في شكل وظائفنا الحيوية هو الدماغ الا أن الحيوانات لا تمتلك أي شعور (بالماوراء) بينما دماغ الإنسان هو الذي أوصله إلى ذلك...
فالانسان الذي يخاف من الموت هو الذي يجعل ما بعد الموت حالة وعاقبة, يصير اليها بعد موته...
لاجل ذلك صرنا نغبط البهائم ربما في هذا المعنى لانها لا تفكر في هذا الامر, في حين اننا نحن لا نقدر الا الانصياع لما خطته لنا موروثاتنا...
ثم أردف حامد قائلا:
"أنا أرى أن الإله هو الإنسان المتأله " فالانسان في أي فعل إنساني يقترفه إنما يفعل ذلك لمصلحته الشخصية (ودليل ذلك إن فعل المتدين يكون مقصوراً على بني جلدته من دينه حصرا فلقد أملؤوها حاسة السمع عنده ان الدين هو ما يعرفه هو.. وكل ما غيره هو كفر والحاد وتحريف وتجريف.. رغم ان الدعوة واحدة .. والمصدر واحد .. او كما يقولون)..
انما يفعل الانسان ذلك من أجل تسجيل نقاط له في دفتر يومياته (الماورائي) لما سيكون بعد موته.. . بمعنى آخر.. إنما يأتي نتيجة رغبة هذا الفرد في تسجيل نقاط له في دفاتره الأخروية تضمن له مكاناً أفضل في جنته المُتخيلة..

أي أن الفرد يستعمل الآخر كموضوع من أجل شيء ذاتي بالمطلق في الفعل الإنساني
فالآخر (مفعول به) إنسانيّاً ليس غير وسيلة لهدف ذاتوي ،، وفي الواجب المفروض ان يكون الفعل الخيري للآخر الذي يقع عليه الفعل الإنساني هو الوسيلة والهدف دون أية مصلحة ذاتوية وبدفاتر أخروية يمكن أن يسجل نقاطاً لصالحه عليها من أجل آخرة مرغوب بها...
إذن الفعل الخيري عند المتدينين ليس أكثر من أنانية تحت أسماء براقة... وكلهم ..جميع من يدعي الدين والايمان إن هم ليسوا الا المقربين الاقرب للسماء بكل مؤتياتها..و لو كانوا حقا كما يدعون أو يرون ان اليقين حقا أزلياً لما بعد الموت.. للجأوا اليها بكل ما أُتوا.. ولَسَعَوا اليها تاركين خلف ظهورهم فناء هذه الدنيا الفانية كما يزعمون لاجل الخلود السامي..
ولو كانوا حقا يؤمنون تمام الايمان لزهدوا فيها وتركوا كل بهارجها.. لكننا نراهم يتمسكون بها بكل أصبعٍ فيهم وسنسُ شعرةٍ..ويسلطون السياط جامحة على الفقراء العوام دون رحمةٍ .. ولسان حالهم التدين والايمان الاجوف بداخل أقبية برلمانهم المنتقاة..
وإذا ما رأوا الامر قد طال مصلحةً من مصالحهم تنافرت لهم التبريرات وأزدلفت عند حاويتها المسمّيات فتارة الضرورات تبيح المحذورات وتارة تحقيق المصلحة العامة وتارة (التقيّة) والتارات كثيرة..
وحيث إن الرئيس الاكثر غنى..وليس الاكثر حكمه... فتكون له موائد اللذة بمحيطات تضمحل فيها اية حدود للأعماق.. وبما يشتهي او يُجرى له ليشتهي دون اي خطوط حمراء.. فهو الذي يُنشئ ويُسِن ويخطُّ تلك الخطوط الغيلظة الحمراء..فهو الاكثر مالا و حريةً مطلقة تتيح له استبداد الناس و التحكم بمصائرهم و تكون اللذه هي هاجسه و غايته فيتحول عوام الناس الطائعين بالمطلق الى عبيد له... و يكون للناس غاية واحده هي خدمه هذا المستبد و هم بكل الفخر والامتنان فيما بينهم لمن نال رضاه وبالتالي رضا المجتمع الابلد..الذي بأقل المقومات لا يملك الدفاع عن نفسه امام ساريان ظلم أو جور ينزل بهم تحت طائلة الخطوط المرسومة له .. فأذا رأى مزاجه المتطاول كعادته أن يُهجّر قسرا آلآفا من قوافل شعب الطاعة لاي مكان او دولة فأن أمر مزاجه مُجاب.. أو ان يرى أن يجزّ زينة شباب

(شعب الطاعة) الى أية حرب دون أية أعتبار لقتلهم أو أسرهم أو تعويقهم الجسدي لمن يسلم منهم .. أو تبعات ذلك على نفسية ما سيأتي من جيلهم ..فالامر له سمعا وطاعة..ومطارق الخطوط الحمراء التي أختطها حاكمهم تفلق رؤس الشعب الطاعة...وسادة الدين عنده يبررون فعله بأشد التبريرات والاجرالعظيم المحسوم اخرويا ودنيويا له وان هذا هو الذي امرت به السماء وجعلت من رئيسهم اليد التي تسير به هذه الارض وهم بذلك يرتعون برضى انفسهم ورضاه!!!

قال حامد وهو يشعر بأن نغقة نفقه المظلم بالاسئلة بات وشيكا ان يجد في جدار يأجوجه ومأجوجه ثقبا الى عالم الحقيقة .. أو كما يتصور..

:(إن كانت الدعوة كلها لقضية سماء واحدة..واذا كانت كلها من ولمصدر واحد.. فلماذا تتقاتل الاديان فيما بينها؟؟.. ويُكفّر بعضهم الاخر...

ولايرتضي الا بما يريد صاحب كل دين بما تهوى انفسهم؟؟!..بل أنهم يتذابحون ويقتل بعضهم بعضا وهم داخل الدين الواحد..ان كانت الدعوة كلها لقضية واحد..ومن مصدرٍ واحد فلمَ هذا التفارق الشديد حد القتول بدمٍ لا يُبرد غليل شافيه...ثم لماذا هذا الاختلاف الواسع المدى والورى بين كل دين وأخر يكاد ان يكون بلا أوجه شبه؟!!..

أم ان المصدر يُشرع لكل دين وجيل بمايختلف.. أو بماتراه سادنيه؟؟..

ألا يُفترض ان تكون كلها تُصب في ساقية قالب واحد؟؟.

أن كان للأمر مصدر واحد؟؟..

وإن أخذنا بمقولة التحريف..فألا يمكن للسماء الكبيرة القاهرة ان تحفظ كتبا لها وشرعا وقوانين سنتها؟؟!!!...

أسئلة تحتاج الى مخاض الاجابة...وبلا أغلال التعنت والتمادي وكما تُملى البيئة المرتسخة..

لما لايجوز الاقتراب من الخطوط السوداء الخمراء الحمراء في التفكير لوضع كل شي في موضعه الصحيح وتنظيم الفكر العقلي في عقل البشر لكي يتكون لديهم الفكر بصورة صحيحة..

وطبعا يلجئ عوام بسطائنا وهم الاغلب.. الى الدين والسماء وبشكل مفرط أحيانا .لانهم يدركون ان ساعتهم على المحك الجارف الى الهاوية بأي لحظة بظل حاكميهم...

فلايعلمون متى تدق رقابهم الرخوة على يد من يملكون زمام أمورهم او كبار قومهم المتنفذين وهم يدعّون انهم المختارين الذين اختارتهم السماء ليكونوا المستحكمين استبدادا بمصائر البسطاء وبكل حياتهم..

ولعلهم يجدون هؤلاءالبسطاء بعد صفق حياتهم ما يكون لهم مؤنسا في قبورهم البالية.. وإن ترأّفوا بأحد منهم تجاوز ما مقرر له سلفا بلا حدود, فسيقبع في غياهب السجون العملاقة البنيان حداً أُترفت فيه مواد البناء دون كلّ أو حساب, وليس كبيوتهم الضحلة حد الانهيار تحت رشقة مطر هوجاء..

وحينها لن يكون معه في السجن اصحاب يفسر لهم رؤيا أحلامهم.. فَيَنّجي الذي يعمل عند الحاكم المقرب ليحدثه عن ذلك المسكين اللابث سنينا دون متابعة ..فيأتي به الحاكم ليستخلصه لنفسه فيمسي مالكا لخزائن البلاد..

بل أنه سيقضي اياما تزيد من شر بؤسسه انتقاما شكيما أسودا...

دون السماح له أبدا بانهاء تلك الحياة السقيمة أنتحارا...

ولأن الانتحار سيكون الوبال الاكبر عليه فهو خالدا في نار الماورائية من بعد انهاء حياته السقيمة السؤم..

وان لم تكن حياته قمة البؤس المقيت فهل يتجرء على التفكير بإنهائها؟؟!..

لذا جاء أشد القوانين القاصمة الحازمة الجاثمة لمن يفكر بالخلاص من عبودية ذل الحياة بالانتحار..

فلو سمحوا بالانتحار أو أجازوا به لما ظلّ هناك من يُستعبد في الارض أو يُستحكم....

بل ان الانتحار لايجوز حتى لمن شوهد في حمل امه جنينا مشوها كما حال جارتهم (سهيلة) التي اشار وضع التصوير (السونار) الى جنين مشوه في بطنها فطلبت اسقاطه لتخليصه من عذاب لا يسطع عليه الاصحاء منهم ..

فأنهالت عليها المواعظ والشيوخ محرمةً مكفرةً لفعلها الشنيع.. فأتت بها طفلة كبرت تحت انين الالم الكافر بكل رحمة وتحت مهابئ الانهيارات للاحياة لها..والتنفس جللا بلا روح او حياة او اشباهها..

قال وصرعى ساحة معركته جاوزت كل الارقام :

(إننا مستضعفون تسري علينا ما يريدون كما المرأة التي أجازوا لزوجها الزواج عليها بدون اي اعتبار لانسانيتها وكرامتها ومشاعرها ولانها جنس

مستضعف لا يتمكن من قول (لا).. فيسري عليها الحوض قانونا تتقبله مرغمة غير راضية ابدا..
طبعا هذا ان كانت بنت اناس بسطاء كما هو حال الاغلب دائما.. ممتهنة الكرامة معيرّة بلقيماتها وكسوتها التي يأتي بها الاسد الكاسر الى بيته وهي قائمة بكل واجباته وبيته..
وسؤالي هل ترضى اية امرأة بالزواج عليها راضية من كل قلبها ذاعنة لرغبة السماء راهبة طائعة.. أم تصمت أبنة البسطاء .. فمن ذا الذي يستجرء ان يأتي بذلك القانون على من أبنة الاسياد وانصار السراديق .. وهكذا سار علينا الحال كما سار عليها قانون السماء كما سار على ضعفاء القوم متسمرين متخشبين محنطين أحياءا..
ولو اتى احد البؤساء بمحاولة فكرة التفكّر للحظة بخط واحد من الاف الاف الخطوط الحمراء داخل المحمية .. حتى تنسلُّ عليه النصول والرماح من كل الاطراف ..
ويسعى له كل ما يمكن لقتله دون رحمة .. بفتوى ان تلك هي (غيرة) على قضية السماء (ضد الضعفاء)...؟ فأين هي الغيرة ضد من يستحلوا فيكم كل ارض وشعب ويمتهنوا الدين وانتم لا تملكون الا الاسستنكار او الاستنجاب كحد أقصى.. لا بل اين هي الغيرة اذا ما اباح الحكام غير ممكنا اومنعوا او غيرّوا شعائر مذهبا ترونه صحيحا.. او سكتوا عن سفك الدين في اراضي غير ذات البين؟؟..
كلا والف كلا وكلا .. انما هي حياة الغاب تستضعفون فيها البسيط الضعيف لتنهمر عليه شلالات التهم والغيلة بالمكافئات الثرة في هذه الدنيا ووعودا جلية لما سيؤول اليه في حفرة قبره لمن يأتي برقبة من يحاول الشرود لابعد من احدى الخطوط الحمراء تلك....
الى متى نبقى أسرى الاساطير وفكرها الأسطوري السائد منذ ذاك الوقت فنفسر عدم نزول المطر هو كثرة الذنوب, التي تتملئ بها اوربا وغيرها (أو هكذا يدعّون ويستميتون بافهمانا ذلك خطئا)...لكن الامطار عندهم لاتتوقف,,,
ونفسر الظواهر الطبيعية; ظاهرة الندى ,والزلازل والرعد والاعاصيروالمد والجزر والكسوف والخسوف وغيرها ... وكل الأشكال

الاخرى وإرجاعها إلى قوى غيبية, أو أرواح شريرة كما كانت سائدة من قبل القبل,,فطوّروها اسياد الثراء ليجعلوها بأسلوب اكثر قبولا فعزوها الى الذنوب او عدم الطاعة التامة او ربما لثغرة تكاد لاتُذكر لكنها الحجة التي تستقم عندها الامور كما يوهمون عوام شعب الطاعة.., وتجردهم التام بالتخويف والتجريف والتحديق بمن يعتمد الحجة, والبرهان, والدليل العقلي ,النقدي(اللغوس). في مقابل الفكر الأسطوري(ميتوس) (الذي يعتمد على اللفظ الشفوي, و يحكي المغامرات الخيالية ,والدرامية أسطورية)..

نعم ..فلقد طوّرت لتكون بقوالب اكثر قناعة للعقل الذي كاد ان يتقدم مرغما عن كل الاغلال والخطوط الحمراء والتكبيل والقوالب التحنيطية الجرداء..

فنحن نؤمن بها كما نؤمن بالإطلاق ((بإنّ عورة الرجل من السرة الى ركبتيه))... ومالنا بها من دليل...

الم تضغف بعض العقائد وتزعزعت قواعدها تحت ضربات أصحاب الموسوعات الفرنسيين وسخرية فلتير اللاذعة...؟؟!

وهل يجب أن تؤسس الثقافة والحضارة على الإلياذة والأوديسة وأساطير آلهة اليونان؟..

الامر سيان عندما يأتي من يجادل تلك الخطوط ويمني لنفسه الحرية المقوّضة كما هو نفسه عندما يأتي من يقول لهم أتركوا ما أنتم عليه من تشاريط آبائكم وأتبعوني.. فتقوم لاجله الدنيا ولا تقعد..

هو نفس الامر لمن يقول لأتجاوز خطوط موروثات آبائكم المحكومة بمدى الأجيال..

فيهب لها محاربا كل معاصف بكل ممكن... دون الاعتبار أنه من الممكن ان تكون تلك نهضة لتنفض ما بداخل داخل العقل الذي يئن علينا فيسمونها (وسوسة)...

ولم لا ندخل تلك المجاهل..ونحاول أن نفك من شيفراتها ..أو على الاقل ..نحاول...

ألم تُهاجم مكة؟؟..وهُدم زمزم ، وأمتلئ المسجد قتلى،, ونُزعت الكسوة,, وأُقتلع البيت العتيق..نعم أُقتلع البيت العتيق (بيت الله)..وأُقتلع الحجر الأسود.. وبقي الحجر الاسود أكثر من عشرين سنة إلى عام 339

هجرية...؟؟! وكل ذلك بأسم الدين.. وإقامته ليستقيم كما يرى من زامنت عصره الحكمية والتسلطن...
ثم استغرق حامد مَفرّا.. وهو يزدري كلماته بأستهزاء ماجن شديد الاستهزاء :
((كلا أن سادة القوم ومترفيهم ليؤمنون ايمانا كبيرا بالسماء وقضاياها.. وبالماورائية القادمة يقينا اليهم...حتى انهم لزاهدون في هذه الدنيا لدرجة ان لاغني بيننا.. ولاثري.. ولاسلطان متسلط.. ولا حاكم مستبد.. فالكل زاهد والكل يدفع بما يملك لغيره من الفقراء والمحتاجين والذين لاحسب بينهم ولانسب وبين المستحكمين برقابهم..
فالكل يبتغي الاخرة التي يؤمن بأنها قادمة لامحالة ولم يبقى بينهم وبينها الا بضع سنين فينتقلوا الى قبورهم باب الاخرة الخالد.. لذلك نراهم قد تركوا جميعهم كل ملذات الدنيا الفانية كما يرون او يزعمون ...لذا فلا فقير بيننا... بل اننا قبلنا بكل صدر رحب مفتخرين ان نكون اخر الركب والمستهلك الكبير لما يبتذل به علينا الغرب من علوم متقدمة..او متأخرة.. فنحن تركنا لهم هذه الدنيا ووجهنا وجوهنا الى الايمان الاكبر والاجلّ.. لذلك.. فلا محروم بيننا.. فالكل فقراء.. ولا بسيط بيننا فالاغنياء يتواضعون امتهانا للفقراء ترفعا لما سيكون في اخرتهم المؤمنين بها استيقانا .. بل انهم ليرجون مرحبين ان يكونوا فريسة لاي كان.. ليزدادوا حسناتا في ظل اثم الفقراء المتسلطين عليهم ظلما ..
وانهم ليغضوا البصر عمن يسرقهم او يبتز من اموالهم وحقهم متنازلين عنهم امام السماء التي يعتقدون بها تمام الايمان انها ستكافئهم عليها في ما سيكون بعد موتهم الذي وان طال فهو قريب...
لذلك نجد الاختلاف بيننا وبين الغرب..فلقد رضوا بأن يكونوا زاهدين في الدنيا غير راغبين في الكسب فيها ولكنهم اضطروا للعمل لأنه ضرورة الحياة والبقاء ..فلذلك رضوا بأن يكونوا اخر الركب....)) قال حامد كلامه بأستهزاءٍ عالٍ ..وعالٍ جدا
وإنهم بعدما أن وجدوا قد أُغلقت بوابة الدين .. وجدوا بابا آخر سموه (الاحزاب السياسية) ولكل حزب شعاراته التي يدعيها خالصة للخدمة التامة لشعبه, وهم لايبغون من الامر الا تطييّع الناس ليصلوا الى غاية الحكم..

وإذا ما حاول أن ينتقده فردا ضعيفا, حتى وجدوه غيلة جثة مرمية عند الباب.. هذا إن وجدوه.. وأما أن كان هذا الحزب حاكما .. فأعرف أن نقدهِ يعني نهاية مُنتقدهِ وأهليهِ وعشيرتهِ التي تؤيه...
كل شئ يفرضوه بالقوة المستطغية المستبدة ..
ومن ثم يطاحنونها لنا غراما ومقاما..
وكلهم يدعون أن الحق معهم .. وان لاخيار لنا الا أتباعهم..
ثم سال كلام (حامد).. نحن عندما نولَد لا نختار اسماءنا ولا صفاتنا ولا نختار الاب والام وزمان الولادة والمكان والديانة ايضا والكثير وهنا نحن مسيرون..فلاخيار لنا مطلقا
والنار والعار والموت لمن يستجرء ان يفكر بغير ذلك
وعندما نكون اطفالا نبتدئ في التعرف على ذاتنا ثم على من حولنا..
نكتسب الصفات والتصرفات والعادات دون التعمق فيها
دون ان نعرف هل هي صحيحة ام لا.. لأنك ستواجه بسياط تلثم فيك كل لحظة تفكير..فتمسخكَ مسخا مجردا..
وكل ابن بيئته يتصور انه على حق..
فالسيغي يقول انه على حق وان تسأله عن حاله وقت التضرع الى الخالق سيقول لك انه يكون في حالة لا توصف من السكينة والهدوء والقرب من الخالق..!
كذلك البوذي يقول انه يشعر براحة غريبة عندما يذكر ربه الذي يعتقد ويصلي له..!
والمسلم يقول انه يسمو بروحه الى الاعالي عندما يذكر الله في صلاته وتسبيحه وشعائره..!
وهكذا غيرهم .. كل معتقد يُشرع براحة إعتقاده..وكيفما يرى..
الا نرى كيف ان الشمس تشرق وتغرب على الجميع؟
وكيف ان المطر يهطل على الجميع؟
وكيف أن كل نعم الطبيعة تجري على كل البشر..سواء بسواء..
إذاً يمكن أن تصدق شيئاً لا أصل له ، لكنه يريحك ، ويمكن أن تكذب شيئاً موجود كوجودك ، لكن تصديقه يزعجك..
حيرَتُكَ وشَكُكَ هي مخلفات عقلك الذي اختلق كل شئ ..

لكنه يصارع تلك الافكار وكل حسب شدة عقله وذكائه ..
ومدى المساحة الحرة للبيئة التي نما فيها..بل ومدى الاهتمام التقديسي التي تجره جرا الى الاستثبات من ان كل تلك القيود حقيقة مبجلة .. ام فيض استزايد للقيود في كل منثنيات حياته.. وملمسيتها)...
ثم أسرد (وعلى اعتبار ما قد أُملي لهم عبر تراتيل التاريخ المستمرة بأن الروح والجسد مستقلان متعامدان متى أهين أحدهما وعُذبْ.. نما الآخر وترعرع في نعيمه المفروض أزلاً)..
هكذا سار حامد بفكره المستهزء بقيم قواعد السماء المفروضة عليهم (هم عامة عوام شعب الطاعة.. طاعةً حتى النخاع) مستضعفينَ بلا رحمة ..
ثارت في جوف حامد تذكرة المواعظ والحِكم والأقوال والخطب والقواعد التي تملئ الارض والتي تذم الدنيا (كما يدعون) لتكون بمثابة المخدّر لهؤلاء الضعفاء والبائسين الخادمين بتمام السعي لارضاء الاعلون...
فيجدوا فِي مثل هذه الخطب إرضاءاً وعزاءً لهم في دنياهم البائسة ..
وبهذا صنعت الشعوب البائسة تحت تلك المغطيّات والمخدرات والعزاءات..وتبثّر للأعلون ثراءا بتمام فسحة الدنيا ولذيذ لذاتها بلا اي حد وهم يمتلئون حد الملل والنظر ان هذه الدنيا لا تفي لذاتهم ..
وهم طبعا كذلك ينتظرون (آخرة) من بعد الموت تكون احلى لهم مما اجادوا سعيا هنا !..
يالهذه المعادلة العقيمة الجوراء الظالمة النكراء المختبئة خلف نحور تلك الخطوط الحمراء..
والتي من يحاول النظر اليها خلسة فقد بُنيت له القلاع المدججة المحصنة من كل فرار ليقبع فيها ما بقي له من بئس ايامه البئيسة البائسة...
وتذكر حامد قول اشياخهم المترنمين بكل تلك المواعظ فيكادئون عليها ليكافئوا من ولاة امورهم الاسياد الاجلاء.. والمكفّر علينا مخالفتهم في اي امر مهما كان شاذا فهم ولاة الامور ممن يملئون سلال السماء العادلة بما وكلته بهم !,,
بل ويجدون اولئك الشيوخ الانهيال عليهم حتى من ابسط الأُسَرْ التي تنازع مكافأة إكرامهم عن افراد أُسرهم المحرومة عسى ان تنالهم رضا السماء برضاهم البشري المحتكر بولاة الامور مجازا..

تذكر حامد عندما كان يقول اولئك (الواعظون المترفون بلا اي زهد) ان بعض الناس ممن يولدون وينشأون في هذه البيئة الموبوءة بالفقر.. ورغم انهم يتوارثون أقاويل السماء لكن تصادفهم ظروف غير عاديه (!!) فيلحدون الحاداً صريحاً بحيث لا يكتفون بإنكار الأفكار الزهدية الحرمانية, بل ينكرون فكرة الاديان والسماء كلها جملة وتفصيلا..
يقولونها ليكون هجومهم خير وسيلة للدفاع ..
فلا يضطر احدنا للتفكير بتجاوز اكبالهم المغتلّة بأكبادنا.. لانه سيضع نصب عينيه ان هذا هو وليد الظروف العصيبة التي يمر بها .. إذ ان ما يمر به هو وليد أفكار الشيطان المستغل والمتربص بهم متحينا تلك الظروف..
فيرضخ المتفسخ من شدة عصيب ظرفه بالذل والهوان على حساب التعويض بالماورائية....
فلا يستل من اغماجه اي نصلٍ اعمى الوتيرة..
ثم ما هو مصير الذين يعيشون في اقاصي الارض الذين لم تصلهم قضية السماء ؟؟
بل ما مصير مليارات من البشر وقد عوَوّا ووجدو ا انفسهم في بيئة لا تنمت بصلة الى سماء؟؟..ماهو ذنبهم الغامق حد السكون المذنب بكل تجاويفه العنبرية؟؟؟
لقد أنكروا الحقائق العلمية الصلدة لأنها مبنية على القول بالسبب...
ثم وجدوا ان الامر معيبا ومتأخرا ويحتاج الى المواكبة..
فأتت الاجابة (والموجودة دائما).. ان الدين يعتمد على عالم الاسباب والمسببات وغيرها .. فلا تشفى الا بسبب..
واذا كانت الحياة تشترط عالم الاسباب فما دور السماء ؟؟!...
واتحدى مرضاهم ان لايلجئوا الى الطب العلمي ..وأتحدى الاثرياء والمترفين والحكام اذا مرضوا..أو تأزم بهم المرض أن لا يهرعوا مسرعين ركضاً وحبواً الى مغالب الدول الغربية وبكل البذخ الممكن ليتطببوا فيها مطمئنين... دون أن يلجئوا الى السماء لتقدّر فيهم ماهو مقدّر اصلا وزعمهم انهم بذلك يؤمنون..
ففي هذه الازمات تتضح صورتهم جلية امام انفس ذاتهم الكلفية...
قال حامد ورأسه يزمجر بصداع لم يشهد له مثيلا ابدا..

انا ارى ان الدين عند الجائع هو الرغيف،
وعند المستعبد هو الحرية،
وعند المظلوم هو العدل،
وعند المحروم عاطفياً هو الحب،
وعند المكبوت هو الإشباع،
وعند اليتيمة هي الاب الحنون.. أي أنها صرخة المضطهدين،
ولمجتمع يخرج من الخرافة هو العلم،
وفي مجتمع آخر هي التقدم،والتحرر، والتنمية، والعدل،، والرزق، والقوت، والإدارة، والاستعباد،،
وإذا كانت السماء هي ما نلجأ إليه حين الضرر، وما نستعيذ بها من الشرر فهي القوة والعتاد، والإستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها ويمكن التعرف على تاريخ احتياجات البشر بتتبع معاني مفرداته كبشر على مختلف العصور ..
ومن ثم فالدين هو (لاهوت) الأرض، ولاهوت الاثرياء ولاهوت الساسة والسلاطين ولاهوت الحكام،ولا هوت النظام، ولا هوت الخطوط الحمراء...
الا يكفينا ان نرى ممن حدّوا القواعد وأسسوها وسنّوها لتحصين قلاع للاثرياء بما يعتقدونه ذكاءا فاق تصورنا نحن البسطاء..
فخطّوا لنا خطوطا شامخة الى السماء.. بل لما بعد فناءنا من الحياة المفنية فيها حياتنا.. وأتباعهم الأذكياء يوجهون كلمات حادة العواقب ضد مخالفيهم (ولو لمجرد المحاوله في عمق عقر دار قلوبهم).. فينعتوهم بأقل تقدير بالبلاهة الفكرية..
مدججين اشد انواع السلاح ليأتي برؤسهم احد الفتيان المتفجرة بأوردة شراييه مشاعر العاطفة الدينية تحت عنوان ان بقطع اعناق تلك الرؤوس هو الطريق السالم القويم الى الجنة بلا اي حساب... ولا اعرف ان كانت هي سالكة الى الجنة فلم لم يسعوا هم اليها ؟؟!..
سؤالي الذي يصرخ بأعالي أقاصي أرضي ّالهائجة : من هو الأشدّ بلاهة فكرية ؟؟؟
من يدخل المختبر ليحلل الخلايا الجذعية والجينات والكروموسومات ؟؟!..

ثم يحفر وينقب للوصول الى الآثار والهياكل العظمية ثم يأتي بها ليحلل الحامض الأميني لها ؟؟!.. او يغور اعماق الفضاء ؟؟!.. او يمخر عباب الابدان تفصيلا متعمقاً ؟؟! .. أو يذيب صخور الالغاز بصولجان الاختراعات التي جعلت كل شئ يسيرا بما حتى كان غير ممكنا ؟؟..
فكيف يمكن ان يكون..
فكيف يمكن ان يكون كل هؤلاء العلماء الذين غيروا وجه التاريخ بمنجزاتهم التي هزت الارض تاريخا وحاضرا ومستقبلا.. كلهم ملحدين وزنادقة وكفرة.. او كيفما يوصفوا؟؟!
هل لانهم كانو من الذكاء حتى وجدوا في سلاسل قضبان الاغلال ليست الا تمرير لعليّة القوم..
فكان جزاءهم الوصف والاتهام بالتزندق والكفر.. وقد ملئت علومهم الارض..
هل لانهم كانوا من أولي العقول الذكية حدا ان لاتُمرر عليهم تلك الخدع الظليلة التي تُمرر بأستمرار على العوام السذج بحجة الدين والعقاب لما سيكون بما الورائية؟؟
ابن سينا والفارابي وابن رشد والخوارزمي والرازي وابن النفيس وابن الهيثم والجاحظ والكندي وثابت بن قرة وعبد الرحمن بن أحمد بن يونس والبيروني والخازن وعباس بن فرناس وابن الهيثم..وابن النديم..
ابوالعلاءالمعري..الادريسي.. ابن ماجة.. ابن الطفيل..ابن بطوطة.. ابن المقفع.. وأفلاطون وأرسطو وسقراط وفيثاغورس وديكارت وأديسون وآينشتاين وجان بول سارتر..وطه حسين ... والقائمة طويلة ..طويلة جدا كل اولئك تم تكفيرهم بأسم الدين لانهم لم تناسب مفردات ذكائهم وكلماتهم ولاة عروة الموكلون من السماء..!
(نيتشه) صرخة الوجودية الأبرز..(فويرباخ) الرقم الأصعب في تاريخ المنطق العقلاني كان من الاوائل الذين أتوا بالمنطق فكرا..جاء بعده (فرويد) عالم علوم المعرفة الذي تنهل منه المعرفة بمكاييل من بحر لاينضب
فهذا جابر بن حيان.. ملك ملوك الكيمياء وعلم اعلامها الكبار على مر العصور والتاريخ.. ايعقل انه ليس الا زنديقا كافرا .. فمن اين جاءت

زندقته؟؟.. او كما يزعمون بلاهته الفكرية وغباءه المفرط.. ام لانه ناوئ الذكاء ففجرّ مابداخله من هيام ازاحت الستارة عن غشاءا أُلبس له عنوةً وأرادوا له ان يتغشى فيه كما عامة الناس..وعندما وجدوا فيه الذكاء والنبوغ... رموه بالزندقة..

وهذا الخوارزمي.. الذي يقف له العالم الغربي قبل الشرقي إجلالا وإكبارا لذكائه الساحر حدا لا يمكن ان يكون لإحدٍ من بعده .. وكيف لا ؟..وهو عالم الجبر والمقابلة فلايناهزه به احدا.. والكومبيوتر الذي ابهر العالم في عصرنا الحالي الذي تلى عصر الخوارزمي بمئات السنين ليس الا (ملفظة) الخوارزمي في عصره القديم فنرى ان الكومبيوتر يعتمد على (الخوارزميات).. مقدّرين علومه الغرب قبل الشرق بالتسمية غصبا فالفضل فيه كله له..فليس منا الا ان نتهمه بملئ الفاه.. بانه زنديقا كافرا ملحدا.. لانه تجاوز بفكره الافق المحدود قسرا على بقيتنا الغالبة حد الاطلاق..

وهذا الكندي.. الذي تصدح بإسمائه معالى مراكز المشفيات العالمية والعربية لما آثرت من علومه التي تعدت محاور زمنه باجيال للامام.. ليس الا ملحدا سافرا كما رأوا وكيفما يرون لهم ان يروا..

وعباس بن فرناس.. اول من رأى ان عقل الانسان في منطلق يمكنه ليس من التحرر من عبودية ما سُلطّ عليه .. بل انه حاول ان يحرر الجسد كله من قوانين الطبيعة.. والجاذبية الارضية.. وكان يرى ان العقل يمكّن الانسان من التغلب عليها.. فكان أهزوئة زمانه .. لكنه كان متبصرا حتى رأى ما مكننا الان من الطيران بكل السرع والقياسات .. فقالوا عنه ليس الا منجما ضالّا زنديقا..!!

وهذا الرازي .. لك مني كل معاني الوقوف لجبروت علمك الذي صدئت عنده علوم الطب وتتفتق عند قدميك ذكاوات ماكان لها ان تسمى فجاجة لما لديك من علوم الطب وغيرها .. أيقال عنك لست الا صابئا ملتحدا كافرا ؟؟!.. بل وصل بهم الامر ان وصفوك بكبير الزنادقة..

وليس ابن الرشد.. الا زمجرة في علوم العلوم وتناذر بهاء النفس وامراضها او اشكالاتها ففسر ببعدٍ تجاوز كل الابعاد والتناغصات النفسية والعقلية .. حتى وجدوا فيه ما لم يفهموه فقالوا عنه زنديق الزنادقة المتمحور من الالحاد المستبد..

لانه راى بأفق متوقد أرضاً صحيحة بحرية ساحرة للاغلبيتنا المستميتة باي صورة لتبقى خلف قضبان غضبان ما فُرض ...

ويثقل اللسان اذا اتى باسم ابن سينا عليه.. وحاله يقول هنيئا لنا ان مثلك كان منّا .. سائرا على الارض يجلجل علومها العلمية فترتعد لك فاتحة لك طلاسمها لذكاء تعب الزمان ان يقرّ بمثله..
فماكان لك مقعداً الا بالتكفير والزندقة والالحاد ..حتى قيل فيك :

أو ذلك المخدوع حامل راية الـ إلحاد ذاك خليفة الشيطان

أعني ابن سينا ذلك المحلول من أديان أهل الأرض ذا الكفرانِ..

وميتافيزيقية ابن سينا تكاد تكون خلاصة ما وصل إليه المفكرون اللاتين بعد مئات الاعوام من أيامهِ من توفيق بين المذاهب العلمية و الفلسفية المختلفة وهو يبدأ بشرح مفصل بذل فيه ذكاءا حادا في المادة والصورة والعلل الأربع والممكن والواجب والجائز والمفروض والكثرة والواحد... وهو يفعل ما يفعله أفلاطون فيفكر في حل هذه المشكلة بافتراض وجود وسيط بينهما هو العقل الفاعل منتشراً في العالم السماوي والمادي والبشري وهو النفس.

وهو يقول للزمن السابق على وجود العالم سبقاً ذاتياً لا زمانياً أي في المرتبة والجوهر والعلة..

ويقول إن كل الموجودات " ممكنة " حتى الأفلاك نفسها أي أنها ليست واجبة الوجود أو محتومة.

وهذه الممكنات لا بد لوجودها من علة تتقدمها وتخرجها إلى الوجود ولهذا لا يمكن تفسير وجودها إلا بإرجاعها بعد سلسلة من العلل..

وفي بعض أقوال ابن سينا ما يبدو لعقولنا المعرضة إلى الخطأ أنه سخف وهراء ولكن هو الحكمة الكاملة تتضح بعد قرون كما وضحت لنا الان ...وكتاباه الشفاء والقانون هما أرقى ما وصل إليه التفكير العلمي في العصور الوسطى وهما من أعظم البحوث في تاريخ العقل الإنساني..

وهو بالنسبة لجنس دينه هو كافر زنديق ملتحد مرتد الخ..

وهذا المجريطي عبقري الكيمياء والسيمياء والعلوم البالغة لم يسلم هو الاخر من تلك التصنيفات الالحادية الجرّاء..

وطه حسين عميدالادب العربي والذي نال من الشهادات ماعجز عنه البصراء حينها .. أنه أحد الأفذاذ الذين صنعوا المنجزات للامة

العربية..والطريف انه نال اعلى الشهادات باللغة العربية من فرنسا.. اذ عجز العرب عن تقييمه..او كما يبدو ..!!
فلو ظل منبلجاً في إطار محيطه المحموق حبساً بين شباك عربة عروبته لكان مصيره متسولا يجوب الشوارع تتسابق اليه رجالات غلاظ لزجّهِ حبسا بعيدا عن ما يعكر صفوّ نظر الاغنياء وهم يمرون بعجلاتهم البهية فخرا.. بتهمة (التسوّل)..
وكما الجاحظ ..وكماأبن الهيثم ..وكماالفارابي ..كما ابن شاكر..كما ثابت بن قرة...كما ابوعلاء المعري..كما المسعودي.. كما مسكويه..:كما ابن النديم..كما ابن باجة .. كما الادريسي..كما ابن طفيل... كما ابن جبير.. كما ابن بطوطة .. كما أبن البناء..كما ابن المقفع...كما مالك شبل هذا العالم الذي نال ببساطة وفي اول حياته ثلاث شهادات دكتوراه من جامعات باريس في علم النفس العيادي والتحليل النفسي عام و في علم الأنثربولوجيا وفي العلوم السياسية..
العالم أجمع يشهد لهم بالإبداع..الغرب جمعا بلا استثناء يقول عنهم أنهم علماء أضاءوا تاريخ البشرية بمنجزاتهم
فنخرج متشدقين بقدحهم وتكفيرهم وإتهامهم بالضلال والإلحاد والزندقة... والكفر!!!
لعل أن أحد أسباب تأخرنا هو المضي قدماً في تقليد منهجية وفلسفة أئمة (الدين) أصحابالزهد والصلاح وكما يرتأون ويشتهوا !!..وتركنا منهجية وفلسفة علماء الإبداع والإختراع والتي شهد لها القاصي والداني..
.لماذا لاننظر الى ماقدمه هؤلاء من خدمة جليلة للبشرية ..ونأتي لنقول عليهم بالكفر والالحاد والزندقة
لماذا نستعمل المصباح فى بيوتنا؟؟..الم يخترعه أديسون الملحد؟؟
لماذا نستعمل الانترنت؟؟.. الم يسخره لنا الملحد (بيل جيتس)؟؟ هل لأنهم رأوا ببصيرة ذكائهم ما نقف دائما خلفه من خطوط حمراء في كل شئ...
وهم لم يسيؤوا للبشرية بل أنهم كانوا المنفعة بعينها وبكل جوانبها..
توقفوا عن ذلك كفى.....!!!
كفاكم خلط بين الأمور.....

وافعلوا ربع معشار ارباع الربع الالف مما فعل هؤلاء فى حياتهم من علوم واكتشافات كانت بها كل المنفعة التامة للبشرية بلا تفرقة هذا عن ذاك..
فالتلحيد والتكفير صنعة من لايفهمون سوى ما يُسمى بعلم الكلام.. وهم شطآر فيه..
محاولين زقزقة ابصار وعيون من انبهروا من عوام الشعب بسيالات التطور العلمية..
بحجة انها علوم دنيوية فانية وأن مصيرهم النار وبئس المصير....!
ولكن تقدم هذه العلوم الدنيوية على حد زعمهم ومن اوسع الأبواب وبكل شيءجعلهم يأخذوا ويبحثون عن شيء يفاخرون به ليدفعوا عن أنفسهم وصمة الجهل والتخلف في علوم الدنيا..فلم يستطيعوا ان يغلقوا عيون شمس علمائنا وهم يرون تقديس علماء الغرب لهم وتعظيمهم لعلومهم وإفادتهم من كتبهم ومؤلفاتهم التي لا تزال حتى الآن من المراجع الرئيسة في الطب والفيزياء والفلك والرياضيات ونحوها من العلوم...
ثم من يقول أنّ العلم والدين لايتناقضان فيما بينهم...
أولم يُجر الفيزيائي العمليق (جاليليو) كنعجة هزيلة وهو ينظر لجلاّده في طريقه إلى ساحة الإعدام بعد أن حوكم بتهمة الهرطقة وهي ما توصف به أقوال وأفعال من خالف تعاليم السماء في بلدته أو تأويلاته التي وضعوها رجالات السماء والتي لا يجوز المساس بها في أي حال من الأحوال ، وقد خالف هذا الفيزيائي الكبير جميع الأعراف والثوابت للمذهب السماوي عندما قال ((بكروية الأرض)) وأنها تدور حول الشمس خلافا لأفكار وتعاليم الكتاب السماوية التي تقول بأن الأرض هي مركز الكون الثابت وتدور حولها جميع الأجرام السماوية....!!!!
فعلا.. هناك من يعيش مُغيّباً بعصر الشقوق
والأحاجير
والسلالم المتقشرة..
وأشلاء الجلابيب..
وأخرون يطورون..

ما فات من الدقيقة..
لهذا نحن في المؤخرة
وهم في المقدمة..
دائما.....
يامن تذوبون عشقا بالاقتداء
جرّاً ..
تناهُوا بالمخارج
فالذلُّ سرق لبّا
وعقلا
لا مستنارا..

صرخ حامد صرخةً مدويّة ربما بلاشعور ارتد صداها امواجا في فراغ ظلام ماجر الافكار المحترقة الجدران ..
((سأنتقم من هذه الحياة .. وأكسر حواجز الخطوط الحمراء الملبدة في سماء احياء الفقراء دوما..
وأميط اللثام واللجام لفرسي الصهور بكل قوتي دون اي اعتبار ولينطلق يجر اذيال الفقر ورائه جراً كجرائيب الجرذان التي تملئ كل ناحية في بيتي وبيوت الحي بأكمله جنودا منتقمة لعدالة السماء...))
سأقفز حياً لارساء العدالة وكما ارى وينبغي وأملئُ غروف افواه الاغنياء ألماً بفيصل عدالتي ...
وأجرُّ أغنامهم لمراعيّ وسأروي عطشي منك ايتها الحياة..
سأتجاوز كل الخطوط الحمراء المعبّدة لكل حرف في اي طريق يمكن لنا أن نطرقه نحن ..وتضمحل امام الاغنياء حد الزوال..
سأجزّ عشب سقمي..
وأحلق لحية بؤسي..
وأقتلع جذور ضروس فقري.. وكل الخطوط الجريئة التي نمت فينا تحت ظلال السيوف الكرارة فترعرت حتى غدا بنا البؤس مِشبعْ احلامها التي تأبى أن تتركنا حتى في حالنا المهين دون عقوبات مستمرة....

الان وداعا.. ولاول مرة ..اعلنها .. وداعا..وليكن مايكون.. وداعا للخطوط المنيعة .
وسأثبّ قافزاً اليك ايها المارد القابع في دروك الاغنياء..
ايها المال المسيّر لكل مرفق ومفصل في حياتنا ومشاعرنا فوضعنا ككائنات حيّة صُنّفتْ رقياً بشرا..
وانت يا أفراد أعضائي الجسدية التي لطالما احترت بك وأنت متمسكة بي منذ ولادتي تئزيّن بطلباتك دون أن اسطع من توفير ابسط ما تستحقين..
أطمئني الان فلقد وجدتُ المشكاة التي تنير ظلمة ليلك الحالك والذي لم تضئه فقر عدالة السماء ولا إهتمامها بطلباتك الساخنة تحت لهيب سعيرك المشتد دائما.. فسُحِقنا هنا وهناك بين أضراس العدالة وفي ضيائها الشفاف حد الوروم بوجوده..
سأخرج من بهوّكِ الذي لم يسترجئ من خرج منه وتركتهُ أصابع الاتهام بالجرم الاكبر قانوناً وشرعاً وعُرُفاً وقائمة المسميات طويلة.. فيصبح (الانسان المعدوم المكان) من اشد الاعداء الذي تتسارع القوافل تترا لقتله وكأنه هو من أفشى كل ماسلف من ظلوُم..وجلّ ماأراد ببساطة هو الخروج من فوهة البهو..
سأخرج هذه المرة وأنفض بكارة الفوهة التي طالتْ عذريتها أمدا بعيدا..
وسوف لن أقول.. نامي خلايا الجوع نامي .. حرستكِ آلهةُ الطعام..
بل :
إنهضي خلايا الحق أنهضي وتسرّبي بشرياني ومنبضي
إنهضي.. أحقّي الحق ولا تغفلي غافلةً .. هيا أوقظي
هيا كفاك نوما سباتا.. لأحقاق الصحيح.. أسرعي .. هيا أركضي
قد طال سبات نومك فلا لك من الان لحظةَ مغمضي
قد طالَ سُقمكِ اللعين فكفى أنيناً من حقير بؤس المَمرضِ
بأرضي أفرضي ساد الظلام وأفرضي..غابت شمس الحقيقة حيناً..
وأفرضي
إن الرمال غطت زلالُ مائِنا بكل الجهاتِ طولاً ومعرضِ..
زئير الكبتِ أضنى منفسي ألا هلّا للمجدِ أن تتلفظي
عن قبرك المرصوص هيا أنهضي وعنك تراب الذل.. هيا أنفضي

وتقيئي الظلمَ قيحاً أسوداً وأزفري السمَّ الزعافَ وألفظي
ولى زمان البطلُ راح وأنتهى فأنتهي خلايا الذل أبدا وأنقضي....
دوّت الكلمات في رأسه كلمات الاستنهاض والثورة المستثورة على كل شئ فيه..
قال : كنت افكر دائما بأمر وجودي في هذه الحياة (كما الكثير من الناس يفكرون..ويخشون مايفكرون)..
وكم تناغتني أنّ وجودنا الحقيقي ربما سراب حلم وخيال في عالم الذرى لأواسي بها جراحي النازفة بنبضٍ متزايد..
فأطلت في اعمق عمق التفكير الذي كان يُشذّه ذلنا المهان فقرا لمعرفة الحقيقة...
ربما ينكرها الاغلب ويعتقدها من وصل بهم مطاف الذكاء حدا مفرطاً..
لقد أستيقنتْ نفسي الان أننا موجودين صراحةً, وان كل ما يجري علينا ليس حلما كبيرا وخيالا متسلسل الاحداث.. أو كأحلام المنام المبهمة المواقف حسبما يجري الظرف بصاحبه فيحلّلونها ارتضاءاً..
فلا يجوز الحلمُ بقلبِ الحلم...
تناذرتْ على عتبة الذل حقائق سَمية سمو جلالة السلطان المستدير في روح جبروت المال...
سأنطلق في الغد الذي لم يبقى لغده الا دقائق.. وأرتب أمري بصورة او باخرى لأسافر الى صديقي (باريان) الذي عشق يوما احدى الفتيات عشقا غراميا طاهرا.. فوجد انه لايمكنه ان يعيش ويحيا بدونها .. شعور لايعيهِ الا من عشق وأُغرِم بكل ذرات المادية البشرية .. هذا العشق الذي يُذيب كل العيوب ويهتنئ به اصحابه فقط.. كانت طموح (باريان) كبيرة كبر ذهنه المتقد دائما..وكان تحقيق هذه الطموحات تحدُّ منها الاليات المحدودة بقصر يديه.. بل انعدامهما..
وكما هو الحال.. ظروفه القاسية حالت دون ارتباطه بحبيبته فظروفه المجهولة الهوية أحالت بينهما..
(باريان) كان لايمكن بحق (وبلا مبالغة الشعراء الذي يتلذذون بكذبهم ليكون للشعر أطعمه) أن يعيش بدون حبيبته السمراء التي كان يراها كل ما يرى او يتنفس.. ونزولا عند رغبة السماء كما قيل له ((عزاءاً لمصابته))

فقد تزوجت حبيبته مرغمة تحت تهديد الاهل من شخص كانت ظروفه تسمح له بأيقاعات الزواج وتراتيلها.... فكانت ليلة زفافها ليلةً ليلاء لباريان أمتهن بها كل انواع الهموم والاحزان والخمور وحتى الاعتراض همساً بين جالسيه المؤاسين ((اعتراضه لعدالة السماء)),, وطبعا برزّوه له انها هلوسة تأثير المصاب وارتفاع مستور الخمر في جسده المنهار تماما حد تمني الموت الذي أقترب منه كثيرا جدا (وكان على قلبه أهون) لولا ان تداركه الاقرباء من جرعة السم الكبيرة التي تمناها ان تكون حلّه الناجع من هذا الألم الشديد النوى..

فكانت له الحياة بالمرصاد فأستلّتْ نبضات قلبه تعانق أنفاس رئتيه ليعود لها مكبلا بما لايمكن لغيره ان يستوعبها من هموم .. وكل ذنبه الاليم.. ان عشق وأحب بصدق متفانٍ لكن..بلا امكانية,,

حينها قرر باريان السفر الى خارج البلاد والعمل هناك بأي شكل وتدبير حال امره ودون الولوج من جديد لبلدته التي يُذكّره كل شئ فيها بذلِّ حاله.. فكانت له الهجرة لمَهجر الوطن.. ولم يعد منذ حينها البعيد.. لكنه لم ينقطع عن مراسه المعهود بمتابعة اخبار صديقه العزيز حامد وتبادل سؤال الاحوال فيما بينهما لما كان مايربطهما من رفقة وطيدة.. كان يجد في حامد كرسي الاعتراف بذنوبه انما باحلى ذنوبه مع حبيبته بكل التفاصيل وهو يستلذ ايّما لذة بسرد ماجرى بينهم.. فمرة من رسالة او موعد او لقاء عابر

او نظرة اطاحت به في احلام زهرية ليحلل او ليعرف مدى تعلقها به ليطمئن قلبه المتوجس دائما عليها...
قال حامد يحزُّ نفسه حزاً ((باريان يعيش هناك في تلك البلاد الجار وهو على الاقل مُرتب الكثير من امره بحكم طول مدة بقاءه..
سأذهب اليه لتكون الانطلاقة لي للغور في جلب اساطيل البحرية التي ابتعدت عني كثيرا..
سأحزم حقائبي غدا او لنقل بعد قليل .. ووداعا شديدا للذل وداعا..لا للفقر بعد اليوم)).
أعتلى الصباحُ يشرح بأشعته شيئا من الامل الذي ارتجاه ليلا في نفسه المنتفضة..
وقشعريرة (الحدث الجديد) تتنفس صدره.. ودم الانتقام يتفجر بعروقه .. ويقينه انه سيحقق هذه المرة كل مايمنّي النفس به بأرادته.. وليس بأمانيّ السماء التي اطالت عليه غبارَ عقودا من الدهر يتمنى ان تأتي اقلّها..وأقلُّ من أقلها لتنزل اليه جُزافا..وتحت اي ظرف ...فأبتْ ابدا..
اتجه لمكان عمله يطلب اجازة طويلة بدون راتب الذي سوف لن يلتفت اليه ابدا.. لكنها من مخلفات آثار ماعلقَ في عقلهِ الباطن فيرى نفسه متوجها عنوةً عن نفسه رغم انه لايعني له الامر شيئا ان إعطوه هذه الاجازة براتب او بدون.. ولسان حاله (فلتذهب الوظيفة الى حيث ألقت رحالها)..
والذكريات تتسارع في رأسه كيف سعى له من يعرفه ومن لا يعرفه ليحظى بهذه الوظيفة التي لم يكن راتبها الذي لايغني ولا يُسمن من جوع لولا انه كان يقتات على البقشيش الذي كان لايفترق ببعيد عن توأمهِ التسول ..
واحيانا كثيرة ينفطر قلبه على من يدفع له.. فمن يدفع له هوشخصٌ مُبتلى بمرضٍ او ربما عدة امراض.. وليس شخصاً يتمرغ داخلا لنادي ليلي ليُسرف ويبعثر نقوده كيفما أشتهت نفسه المخمورة..
بل كان من يدفع له البقشيش يشعر بضرورة دفعه وإلا أما أن تتأخر طلبيته او يُمنح نوعا رديئا من الخدمة مرفقةً بوجه عبوس ممتعض..
قدم اوراق طلبه لرئيس عمله المسؤول .. ولم ينتظر جواباً سلبا او ايجابا..فحقيبته الوحيدة ذات الحجم المتوسطة الحجم تنتظره خارج مشفاه بانتظار انطلاقه الى (باريان) الذي اتصل به وأبدى استعداده المُرحب

لأستقباله على الاقل في بداية مشواره الذي اقسم بعذابات الامه ان لايكون طويلا حتى يعود لنفسه وبيته وأهله بصيغةٍ أخرى قدّرها هو لنفسه دون انتظار رسائل السماء العادلة..

أقفل راجعاً لأقرب محطة مغادرة المسافرين عبر الباصات البسيطة متأملاً أن تسمح له الدولة الاخرى المجاورة (جوراً مجاريراً) بدخوله بدعوة المقيم عندها (باريان) الذي اصرّ على انتظاره عند الحدود البرية التي سيقدم منها خوفا من ارباكات الاجراءات الكثيرة فتمنع من دخوله كونه ليس من التجار الذين قد تستفيد من أستثماراتهم أنظمة الدولة القادم اليها (او كما يتحججون بأحترامهم وتسهيل مرروهم دون اية معرقلات)) فهم لايريدون امثال حامد(عالة) كما يصنفوهم يزيدون من (عالاتهم)القابعة على انفسهم ...وحتى ولو كان (كما يدعي صدقاً أو زيفاً) انه قادم لغرض الزيارة والتطلع لتقاليد هذا البلد والسياحة فيه..فهذه الحجة مرفوضةً لان لا سياحةَ لأمثال فرقته القذرة..

أنطلق الباص الذي عاهد به نفسه ان لايعود به.. الا جواً.. بل وبصنف الدرجة الاولى..

كان يحمل في حقيبته حقدا كبيرا مشبع بالانتقام, وإصرارا عظيما خلفتهم مأساة ليلة البارحة ..((حقدٌ)) على الاغنياء وعلى هذه الدنيا فقرر ان لايرحم بهم ولا بها.. مثلما لم يعرفوا له رحمةً ولاشفقة ..وإصراراً على خلق الفرصة لا أنتظارها والتي (منطقهِ المستعّر) لا تأتيه متبخترةً كما يسمع أو يخدّروه بها من يدّعون الحكمة من شيوخ الحي الذين هم ايضا طُحنو تحت ضرس هذه الدنيا لكن لايريدون أظهار أنفجار معانيهم بداخلهم والا يخسروا ما يتصدّق عليهم به الاخرون بُغية التبرك وغيره..

نظر عبر الباص المتجه لبلدة باريان بنظرة ضاع فيها بريقها المعهود واحتلتها شرارةٌ من حريقٍ ملتهبٍ ولايعتقد لها إطفاءاً حتى وإن حقق مبتغاه الذي خطط له ليلة امس وراهن عليه بكل ماعرف ويعرف من مبادئ وقيم..

بل انه راهن بكل حياته الرائحة والقادمة ليغير مسيرة حياته ونفقها الذي كانت قد خطّته له جحيم السماء العادلة تحت خط الفقر..
هذه المرة قرر ان يموت لينقذ نفسه..
ولينتشل مابقى منها من بؤس الذل والذي ظنّ واثقا ان الموت أهون له وامثاله ممن لايقبلون تشريع الذل على رؤسهم ..
فالموت لايخيفه الان ابدا.. لانه لن يترك شيئا يستحق العيش من اجله..
هذه اللعبارة الطنانة (الموت),, فهي تُخيف وتُرعب فقط اصحاب الحياة الحقيقيون والمتمتعين بكل ثناياها وسبائرها..
فهم لايريدون ان تضيع لحظة واحدة اعتباطا الا ويستغلوها في كيِّ السعادة يتاتي كما يُريدون..بل انهم لاينامون ليلهم الصاخب المدجج بكل انواع الترف المطلق وهو يُبزغون الفجر مرتفقين السرير بكل لون متغير وهم شاكرين يرادع السماء العادلة..ولايصحون الا العصر المتلاصق لمغربه وقد أكل من صفاء السماء كل شئ تقريبا..
فهؤلاء (لحامد) هم من تعني لهم الحياة معانٍ شديدة والموت لهم شعورا رعبيا وخوفا مقيتاً ..أما لحامد فبات يتمناه ..
وربما هناك الكثير ممن وصلوا مرحلة حامد الا انهم قرروا انهاء حياتهم بلا وعي خلاصاً من بؤس مصيبتهم ..
ولكن حامد كان أكثر شجاعة فقرر ان يموت بشجاعة يعلو رأسه الكبرياء .. بشجاعة الفارس المغوار يقطع صفوف المعركة بأقدام ودون هوادة ..
ولسان حاله يلهث ((مافاز باللذات الا من كان جسورا)) فأما الحياة بعزةٍ او الموت بكرامة وكبرياء مرفوع الرأس والهامة .. فلا ذل بعد اليوم..
هكذا كانت تزلزل اعاصير الأفكار عمائم رأسه طول الطريق فكانت كالحبل الذي يلتف حول رقبته المتشنجة بحمل رأسه المثقول بأحداث ليلة أمس والمتهدلة بأحداث تاريخ حياته الطويل الذي لم يجد فيه ولا مناسبة سعيدة..
واستمرت بل هي اضغاث احلام كَبستْ على روحه بالذل كلما أدار فكره غصبن عن مذكراته العتيقة..
فكان يوقد حقدا احيانا ويتوعد بعضهم أحيانا ويقرر احيانا ان يسحق انوفا كثيرة اهانته في مسرى حياته المسرحية كما أخرجتها وكتبت سيناريوها

عدالة الاسماء .. وسيجعلهم راكعين تحت نعليه ويُغيّر كواليس مسرحيته ليضاهي سمائه العادلة...
سبطَ فكره كيف يُترجم هذا الاعصار الانتقامي الجبار على ارض الواقع الراكدة؟؟..
تذّكر قولة شيخ حارته الناصح ليُربّتَ على عدالة السماء تبرير ظلمها :
(انّ الارض لتتضيَّقَ على المرء اذا سعى لتحقيق نزوةً ورغبةً أحتقنتْ بمكامن صدره حداً لايمكنه التصبّر بعدها , او ان الارض لتضيّق بالمرء احيانا للخلاص من مأزق مادي تورط فيه لتحقيق هدف ما او طموح أستعجل حضوره بعدما أستيئس من قدوم هذا الطموح , او للخلاص من عُسرٍ عسيرٍ..أُضطرَ اليه..
فكان لابد للمعول المادي لحرث أرض تحقيقها.. كل هذه الامور (يا بنيّ) تؤدي بالمرءِ للانحراف..)
سر نفسه بكلمات تكاد تكون مسموعة من شدق صيع غضبها
:((الانحراف؟!!..الانحراف عن الطريق القويم الذي رسمته له أصحاب النفوذ والسلطة (ومترفيهم) فيهِ لعديد سنين او ربما عمره المتبقي منه طولاً أو قصراً في غياهب السجون والظلمات المفروضة عليه قانونا لتجاوزه (إنحرافاً) عن مارُسم ليمشي فيه كالحمير زُلافاً...
الانحراف بمفهوم ضراوة المُطهى سلفاً في مطابخ السادة الاقوياء مالاً وهو عدم التفكير للحظة بالتجاوز على محرماتهم المحرّمة من قبلهم وبسَلَطَة

مقبلاتهم المشوية في حدائق سهراتهم وصالات عزائمهم الضخمة كي يتم الاتفاق عليها ..
اما ان كان الامر يمسّ سلطة او نظاما الذي هو فوق العواقب التي لايمكن للمرء حتى تخيلها في أحلامه المختبئة منهم تخيّفاً.. فالامر هنا غير.. لانه ستمسُّ العواقب كل من يعرفه من قريب او بعيد او من لايعرفه ...
فهنا قد كتبوا فيها علينا ان لامساس ..
بل انها الكفرُ الاكبر الذي لاكفارةَ فيه الا بفصلِ رأسه الثقيل بالافكارِ عن جسده الذي يمدُّ هذا الرأس بالدمِ والمواد الغذائية التي تلهمه التفكير ..وربما احيانا محاولة التغيير...
هكذا تفسرون الانحراف ايها السادة المتشيخين بنا والمنصهرين تحت أقبية توسلات وتملقات لمن يحملون لكم (بأمتهان) أرزاقكم وتوسلاتكم وهواجسكم بل حتى ماكدرَ تحت صحائف علاقاتكم الزوجية؟؟!..
وهل لاينحرف الا أمثالنا البسطاء تحت مظلة مطرقتهم الثقيلة بلا توانٍ فتُدينَنَا كل الاعراف العرمرم ؟!..
أَلأنهم أرادوا ولو لمرة أن يعيشوا (يوماً) من عقود عمرٍ طويلٍ يعيشه الاثرياء بلا من يقولُ لهم إلا أكيالَ المديحَ المستمر..وطبعا بلا أنحراف؟!..
هل إن سعى مَنْ مثلي ليسدَّ رمقَ رغبةً لهُ أو لأهلهِ من جيوشِ الرغباتِ التي أُغرَزتْ فيهم منذ الازل فظلّ صابرا عليها حد الانفجار أو سعى ليأكل أو يُلبس أهلهُ (الضحية الكبرى تحت أشلاء خيمته الممزقة) من بعض مايسمعون أو ربما أحيانا يشاهدونها في رياض الاثرياء أو بأبواب جامعاتهم التي يئنُّ بها البسطاء تحسُّراً لما يتفارق بينهم من تفاوت ...
فكأنه أجرَمَ بسدّ عين الشمس إنحرافاً ؟؟!!.. فأن أستدانَوا ولم يسددوا لعسرةٍ أشدّ من سابقتها قبل الاستدانة, فالسجن مثوىً لهم ...وأذا أضطر ليكذب لكي يستدين فمن ذا الذي يُسلّفه من دون مقصدِ ربحٍ وفير او لصدقهِ الصريح حد

شرح ظروفه الصعبة ليسمحوا له بأن يحقق جزءاً من هدفٍ ضاع بعارضةِ مرماه ..فأنه حينها قد نال آلاعين الجرومَ الكذبَ والانحراف..
وإن غَرَفَ غُرفةً بيديه من محيط الاكابر فلبئس ما صنع ومزابل أقاذير السجون له مستقرا ومقاما ؟!..
إنك لمجرد إن نظرتَ عليهم بعينٍ خفيةٍ فأنك قد تصيبهم بجذامِ (الحسد) ..فتنهال عليك اللعنات من كل حدب وصوب.. تُرّهات االحسد أختلقوها لننظر اليهم بعين الدعاء لهم لا بعينٍ حمئةٍ في داخلِ داخلِ أنفسِ انفسنا..والكل يعرف (أنّ الحسد هو تمنّي زوال النعمة) لا تمنّي أن يكون لك مثلها يوما .. او على الاقل أن تملئ عينك بها عسى ان يرافقُكَ من عسلها لعقةٌ في مناماتك..
لكنهم يُسيّرون مايريدون وكيفما يريدون فتكون لعامة الناس قانونا هم مبتدعيه تؤلف لاجله قصصا واساطير...
كل شئ معهم.. وكل شيء ضدنا...نحن المنحرفون بكل شعرة نبتتْ كالاشواك بمقلوبِ جلدِها نعاني آلآماً أقلُ ماتوصف بالرهيبة ولايشعرُ بها إلّا نحن في دجى الليل الأريق من نومٍ مجهدٍ بعد تعب نهارٍ مضنٍ كسفن الصحراء الباسلة..
وأما أثرياء القوم فلهم كل الاجلال والتقدير متكرمين علينا بأنحرافهم الكريم !!...))..
(((إذا رضيت لنفسك بالهوان وجعلت من نفسك نعلاً فلا تلومن من انتعلك !)))
دمدم حامد كلماته التي تجول في رأسه بنشاطٍ وهمةٍ وحماسٍ ثورويّ كبير ولو فُحِصَ اختبار عينة دمه لكانت تحمل رشّاشاً من منشطات الانتقام وصراخا مكبوتا لسنينٍ ترعرع فيه وكان ينتظر ان يُولَدْ رغم إختمارهِ في أجنة أفكاره اكثر مما ينبغي.. او هكذا أعتقد...
تذكرَ قريبهُ (باسل) الذي كان يكبرهُ بأكثر من عشرة سنين ..هذا الباسل كان يعاني من أعتصارا نفسيا بأشد الدرجات.. فلقد توالتْ الاحداثُ كبيرةً سريعةً عليه..
موت أبيه فجأءة جعلهُ مسؤلاً كاملاً أمام عائلة كبيرة تنبّتْ في الفقر إنتباتاً, فهو كبيرهم..فكان يسعى بكل جهده لارضاء كل تلك المعاني السمائية التي

أُستُبصِرَ بها .. ثم جرتْ الاحداث بأن أخته (باسل) الجميلة ذات العلاقة الوطيدةَ بهِ كونها تجاوره عمرا .. هذه الاخت الرائعة المعاني والادب كبياضها السامي من كل اثم ..فجأة.. ماتت إحتراقا.. نعم ماتت بحادث بسيط وكانت صدمةً كبيرة لدرجة انه كان يتخيل دائما انها ستفتح عليهم الباب بأي لحظة وتقول لهم انها كانت تمزح..

ووسط هول الفاجعات.. كانت هناك حربا قد أشتعلت مع الدولة المجاورة لعدم تناغم الحكومات لمزاج حكام بعضهم.. او ربما اعتداء احد الطرفين على الاخر (كما صُيّتَ لها) فماكان من الطرف الثاني الا رد الاعتبار..وطبعا كانت النتيجة قد أتت على كلا الشعبين بالمصائب الجِسام.. و للأنظمة الحاكمة جزيل المفاخرة والبطولات والاسم الجلّل منحونا في التاريخ الذي يكتبوه بأيديهم وأغاني المجد...ولأبناء عموم الشعب (المتلقّين بصدورهم نبال الجبهات الامامية) لهم التهديد بأشد العقوبات لمن لم يطع أمر حروبهم فلا يُشفع له الا بحز رأسه دون ان تأخذهم اي رحمة بما يخلفه من اطفال, او عائلة ترتكز عليه حنانا قبل ان ترتكز عليه معولاً معيلاً لقساوة شديد الحياة..

وبعد أرسال(باسل) لجبهات القتال..تم أَسرَهُ.... ليعيش أسيرا بأتعس ظروف (الحياة الموت) تتلاطم عليه كل انواع التعذيب والذل والامتهان فهم يعيشون برحمةِ من قاتلوهم أعداءاً..

تضرّع (باسل) في أسرهِ الى السماء ليالٍ وليالٍ..طالتْ.. سنيناً وسنيناً .. حتى مات الدعاء في فمه.. وحلقه.. ولسانه .. وقلبه..

أين السماء التي تجيب الدعاء.. أين كل الابتهالات ؟؟ والخشوع ؟؟..

والوعود التي أُسرِدَتْ فكانت لنا حفيفا نتخابز لقمة طهيه سنون العمر ؟؟..

فلماذا تضيع عشرات سنينٍ عمري وتنقضي بلا اية معنى لوجودي السقيم , شرابا في العذاب المهين..

تصفح في باله كل الديانات التي درسها .. وكيف لا وهو الانسان المثقف بشهادة عالية المراتب في العلوم .. فجأة..وجد ان كل العلوم الدينية لا تشفي غليله ,فاقتنع بان الديانات كلها لا تملك اجابةً عن تساؤلاته, مما جعلها ناقصة..فبدء يفكر بما تمتلكه تلك الكائنات والجمادات وكل شئ..شعر للحظة ان العامل المشترك عندهم هو الطاقة..فكل شئ حي يمتلك طاقة من

نوع معين..وهذه الطاقة تتغير من شكل لاخر, فاستنتج ان هذه الطاقة هي القوة العظمى, وكان تخيله هو أنه اذا قمنا بعمل صالح او بعمل الخير فنحن بذلك نقوي تلك الطاقة, واذا قمنا بعمل طالح نستهلكها, وربما هذا فسر له ما يسميه الناس بالروح, حيث ان هذه الطاقة تعادل الروح الموجدة بالديانات, لكن بطريقة علمية ومنطقية,أذا دمجت الغيبيات بالعلميات.. وعند موت الانسان فهذه الطاقة تتحول لشكل اخر, لا يُعلم ما هو...

ثم اكتشف (باسل) أنه توصل لمعتقده الغيبي خوفا من الاعتراف بعدم وجود سماء, مما يدمر ترابطه بالقوة العظمى التي لربما اقنع نفسه بأنه يمكنه أن يعتمد عليها عند معاناته,,

لكن المشكلة الحقيقية تكمن في أنه تيقن مما مر به, بأن لا وجود للغيبيات .. فمن غير المعقول ان تكون هناك سماء بتلك القساوة الشديدة عليه وترفض اجابة اي دعاء له ابدا, بل تزيد من عذابه عذابات ..

لكن (باسل) في داخل أعماقه كان يصارع جبهات كاملة الاحتشاد.. فلا يدري.. هل إنّ مابعد الموت حقيقة؟؟.. وكيف له ان يتأكد من ذلك.. هل ينتحر لتكون أسرع طريقة للوصول الى الحقيقة المطلقة,

((فبموتي أعرف اذا كان هنالك عالم غيبي وخلود بعذاب ونعيم؟؟ ام لا ؟؟ ..ما يمنعني عن ذلك هو خوفي مما حُذرتْ من تراسيخ أرتضعتها إرتضاعاً..أنا مجرد شخص تائه بدوامة صنعها ذوي السلطة وأبحث عن اجابات شافية, لكني لا أجدها...

أين الخطأ الذي أرتكبته؟ أين الخطيئة التي فعلتها؟

ألا يحق لي بأن أقتنع قبل الاختيار؟ أرجوكم..أرجوكم, اتركوا لأمثالنا من الحائرين أن يقرروا ما يريدون..

فنحن نريد الاطلاع على كل وجهات النظر لنقرر مصيرنا,

نحن لا نريد الفساد,

نحن بكل بساطة نريد الحقيقة, نريد الحقيقة فقط...)) كان هكذا يصرخ طيلة اسره الذي طال أكثر من عقد كامل من الزمن أخذ منه احلى ما يمكن من عمر.. فماكان منه الا أن يتيه في غروبات السماء عندما وجد ان السماء كانت قاسية عليه بأكثر مما يمكن ان تكون هناك لها اية رحمة وعدالة ..

فأعلن عن تركه لكل المعتقدات التي لم تكن له الا بابا لتعاسته.. او كما كان يقول..
يذكر (حامد) ان قريبه (باسل) كان يعلن هذا في كل مكان وزمان بعد عودته من الاسر وقد تجاوز كل شبابا في عمره..
ولم تمضي فترة طويلة حتى أُرسل الى أمريكا ليعيش بها كل بهاءاته فهي البلد الذي استقبل فيه افكاره دون جزٍّ عنقه..
تذكر حامد وقال في نفسه .. كيف يمكن للسماء ان تُعذب من كان لها طائعا .. وترفعه اعلى المراتب عندما تمردَ عليها, وعلى كل قوانينها التي أبتذلها..
ثم كيف للمرء ان يصل الى الحقيقة والاختيار دون ان يقتنع ..
و كيّل الضربات فوق رأسه الممزق بكل الندبات لنزيفٍ لا يتوقف في كل يوم من حياته....
ظلّ طلع رؤوس شجرة الافكار تجلجل في رأسه الذي غاب في نومٍ عميق لم تفارقه في أحلامه المكوبسة..غاب فيها عن واقع الدنيا الخيال (وكما وصفها).. وغلى رقاده بسبب تعبه الفكري القادح رافقه تعب جسدي منهك القوى لما عانى من ارق ليلة الامس الطويلة..
وأشعره الناس الموجودون بالباص بوصولهم الى النقطة الحدودية وأنه عليه أن ينزل لتقبيل جوازه باحدى الختمين ..
فإما أن يقترن مع العائدون (لبلده) وهم كثيرون وواقفون في الجهة المقابلة الاخرى متزاحمين الانتظار بحثا عن من يعيدهم بعد رفض دخولهم دون اي اعتبار لشدة التعب والارهاق وتكبد التكاليف والاحباط الشنيع بقتل

احلام خططهم التي حملوها بحقائبهم (التي أُرهقتْ تفتيشاً خوفا من جمرة الفقر الخبيثة) ليحققوا هذه الاحلام في هذا البلد او ذاك....
أو ان يكون من أصحاب الحظ السمين الذي لامكان له بينهم فتتدخل قدرة الاقدار لتسمح لأمثاله العبور من هذه النقطة الظالمة اهلها..
ورغم ان النتيجة محسومةٌ سلفا لكن العشرات يوميا يغامرون بالقدوم تتقلب أعينهم الى السماء عسى ان تنظر هذه النقطة اليهم خطئا بالسماح لمرروهم...
راهن على ذلك مع نفسه .. ولاول مرة في بداية مشواره الذي يعتقد بيقين انه سيبدء الان...
نزل من الباص والثقة تملئ جبينه بشكل غريب مُلِذ تتصاعد مع انفاسه المترقبة للحدث بلا توقف..
أنتظر مع كثبان من الناس وصول الضابط المسؤل فأصتف الناس كلهم على شكل طابور طويل على بابه.. وبعد أنتظار طال كثيرا وعينيه كما الاخرين تتراشق لكل من يدخل ويخرج متذمرا متمتما لكلمات اللعنة على حظه العاثر منصفّاً الى الضفة الاخرى بأمرة احد الحراس ليستقل موكب عودته خائبا..
وصل الدور أليه وأذنيه تُناطي الكلمات التي تتناثر على طول الطابور بأن وردية هذا الضابط من أسوء الورديات , فهو لايسمح لشاكلتنا بالدخول مهما كان السبب..
دخل الى الضابط الذي حتى لم يرفع اليه بصره وهو يقلِّب جوازه كمكعب (روبيك) للالغاز, متصيدا في عُكرِالماء.. سأل الضابط بصوتٍ عقيمٍ مستبد : (لمَ جئت الى هنا ؟؟..وماذا تعمل؟؟..)
تلوّن حامد بأفعال الوانٍ تصنعها .. يبدو انه كان مُخطِطا لها سلفاً..فأجاب ونبرة التجشؤ والوقار تملئ فاهه:(ايها الاخ .. انا هنا لزيارة بلدكم ومتابعة مراكزه التجارية لانني مبعوثٌ من احدى الشخصيات المهمة الثرية في بلدي((وسمى له اسما معروفا كالعلم الذي يرفرف فوق مشفاه السقيم)) وقد أرسلني اليكم لأرى مايمكن ان ينتفع به كلا البلدين المتجاورين ومن ثم انقل

له تقريرا مفصلا ليتسنى له بعد دراسة الجدوى الاقتصادية مناوشة مايمكن تصديره لكم او استيراده منكم وعلى مستوى كبير متقدم..)
لفتت الكلمات الكبيرة الاسماء والمصطلحات التجارية الزاهية والصوت الثقيل المملوء ثقة بلا تملق كحال كل الواقفين بتوسلاتٍ اتعبتْ أذنه فأثارت تعابيرا ظلت رسومها منحوتةً على وجهه بتضاريس وتعرجات كثيرة وولّدتْ عنده شعوراً بالترفع حتى على نفسه..
لكن رئات كلمات حامد أراقت فيه رطُباٍ بللَّ يُبس تعامله الجاف ...
فقل : (عفوا..أستاذ ((ثم نظر في الجواز يبحث عن اسمه)) ..حامد..تفضل .. تفضل أخي استرح هنا بينما يُكمل أجراءات مرورك أحد الجنود او المكلفين ممن يعملون بأمرتي..تعال ايها الرقيب..أكمل أجراءات جواز

دخول السيد الكريم حامد..وأحضر له عصيراً أو اي مشروب يُفضل فورا..)
جلس حامد يعانق رجليه ترتقي أحداهما الاخرى وهو يهامس نفسه ((ما ألذ ان تُعزّ مُكرّماً؟..تبا لكم ايها الاثرياء ..فمجرد استعارة اسم واحد منكم نالني كل هذا التكريم واعتليت ناصية احترام ماكنت ببالغه ماأستطعت له سبيلا))
ترك الضابط جوع المتدافعين للدخول اليه وظل مرحبا بالسيد حامد عسى ان يُرضي ضيافته..
فقال له : (لماذا لم يكن دخولك جوا ياسيدي الفاضل؟..)
أجاب حامد: (انا أعاني رهاب المرتفعات العالية)
فقال الضابط : (آه ..نعم ..نعم الكثير من الاغنياء .. بل وحتى أحيانا بعض الرؤساء يتفادون الطيران .. انا نفسي افضل السير شهورا على السفر جواً لساعة) ..
حمّل الضابط المنفرجةُ أساريره ارتياحا لهذه المقابلة مع هذه الشخصية المهمة المندوبة من احد الاثرياء.. حمّله كل التحايا والتمنيات له بسفرة سعيدة موفقة ..
تفاجئ الطابور وهو يدخل أسرابا مرفوضة لهذا الضابط الذي لم تفارق يده حامدا الى الباب مصافحا.. تفاجئ الجميع مفسرين سبب عدم انسجامه معهم طيلة الرحلة الباص الطويلة..
((يبدو انه من احد افراد الاسر الكريمة التي تعالت عن إرخاء تبادل على الاقل الحديث معهم)) كان هذا هو هاجس الواقفين كعينةٍ لسور الصين المتعرج..
مشى متبختراً تحمل اقدامه رائحة المنتصر ..تلاحقه نظرات المسافرين المستفهمة التي يشعر بها جدا ويتصنع انه لايراها..
لم يشعر بأقداما خفيفة تتعقبه تريد اللحاق به والتحدث اليه , وكانت من الخفة ان ليس لها صوتاً..حتى حفَّ أُذنيه همس كلماتٍ ناعمة تُثيرُ في النفس حريرا ((من فضلك ايها لسيد لحظة))..توقف حامد مصدر هذا الصوت الدليع ..ألتفت اليه ..فوجد صبيةٌ جميلةٌ شهية الملامح ذات بشرة نقية كصقل الرخام في بيت ندى.. وذات شعرٍ كستنائي تتغلغله الوانا شقراء يضفي لرونقها روعة..ترتدي جينزا ضيقا قد التصق بها عشقا وتقبيلا وكأنه لايريد

أن يُفرّط لحظات التصاقه بها , وقميصا لم تمنع رشاقة خصرها ونهادة صدرها من احتضانه لها بشدة يرفض مغادرتها .. وساعةٌ بيدها قد أوضحت ملئ ساعدها البض النقي كحنطةٍ ذهبيةٍ في حقل موسمها...
كانت تبدو في أوج نضارتها المتفلقة عن عمرٍ فتي يقل عن العشرين اربعة او خمسة أعواما ربما .. او هكذا قدّر..
قالت له : (لو تسمح .. أنا ووالدتي المريضة ..يجب أن ندخل هذه البلاد لأستوجاب علاجها..وأن تقارير موعدها تُمّحض علينا أن نكون في تلك المشفى غدا..ونخشى أننا بدخولنا على السيد الضابط المسؤول فأنه سوف يمنعنا ويعيدنا .. وبذلك أخسر حياة والدتي التي وصلت الى هذه النقطة بأعجوبة.. وانا لا اريد ان اخسر أمي التي هي كل مالدي وأملك في هذه الدنيا ..أرجوك..أتوسلُ اليك بكل ماتمجّد من أقاديس ..أنْ ترحم بنا...وتدخلنا الى الضابط المسؤول الذي وجدنا جميعا مدى صلتك وأهميتك عنده..
وسوف يكون لك كلّ ما شئت وكيفما شئت مقابل معروفك هذا)... دقّتْ هذه الكلمات كل أجراس غرائز حامد المتورّمة...فوجدَ في وِركها الممتلئ من بعدِ خصرٍ ممشوق كغزالٍ بريٍّ ,وصدرٍ ناهدٍ ووجهٍ بهيّ وشعرٍ مخصلٍ بالأصفر الذهبي كذهابةِ رقبتها التي ربما لو شربت الماء لمرّ بوضوح لناظريه .. وجدها لوحة قلّما يصادفها فنان في سكير اجوائه...كما وجد في

نبرتها أستعدادا تاما لبذل ما يمكن ومايشتهي من تفاحتها قضماً مقابل صنيعه..
ولكن اي ضابط؟..انه يخشى المغامرة بالامر.. فالمغامرة برفض طلبه لأجلها قد تعني تشنجاً من الضابط أتجاهه وبالتالي قد يعيد هذا الضابط النظر حتى في أمره..
قال حامد بغرور : (طيب..سأتكلم مع صديقي الضابط وأرى مايمكن فعله... ولكن تذكري أنك بأنك وعدتني...بما أطلب ..)
بضحكة قلقة ولمعة بريقٍ ماكرة وشهوة رائعة ربما خططت لها في حال ضيق الامر.. وربما جاءت متناغمة مع الوضع والموقف..قالت (طبعا ..طبعا بالتأكيد)
تجاوز حامد الطابور الذي سمحَ له بكل تواضعِ الاحترام للسيد الوجيه كما يبدو..
دخل مرة أخرى لضابطه المتعرش على قلوب الواقفين كقلب رجلٍ واحد وجلاً من رفضهم الذي لامفر منه..
سلّم عليه .. فرد عليه السلام بحرارة الوقوف تقديرا والخروج من خلف مكتبه ((تفضل سيد حامد..ارجو منك ان تأمرني بأي خدمة أقوم لك بها))..
كانت الجملة طريّة عليه شجعته على الاندفاع فيما عاد لاجله مترددا..
_حامد : (كلا .. ولكني وجدت مصادفةً أحدى قريباتي هنا تتطلع لعلاج أمها التي لايتحمل قلبها السفر جوّاً وهي قد حجزت في أرقى المشفيات الاهلية عندكم وبأرقى الاماكن فندقةً ..تعرف ايها الاخ ان عائلتنا أكيد أن تكون بهذا المستوى الراقي..وقد أرتأيت أن أتحامل عليك من أجل الدور الطويل في الطابور الذي لايمكنها تحمل الانتظار فيه..لذا جلبت لك

جوازاتهم لتنهي أجراءاتها شاكرا...) قالها وهو ينتظر نتيجة كلامه كما ينتظر الطالب المتوجس قلقا درجته التي تحيله الى الكلية التي تكون له قدرا الضابط : (سيدي الكريم ..أنت وأقاربك تأمروني أمر...تعال ايها الرقيب أكمل أجراءات هذين الجوازين لحين شرب القهوة من جديد مع السيد حامد المحترم..)

_حامد : (لا شكرا..أرجوك لقد قمت بواجبك واكثر..سأنتظر الرقيب خارج الغرفة لتنجز أنت عملك المخلص بأتقان وسأحاول أن أكلم من يرفعون لك شكرا وتقديرا لتسهيلك أمور الاخرين وبشكل كبير..)

تشكّر الضابط من حامد بشكل ممتن وكأن حامد هو المتفضل عليه.. وخرج حامد فرحا بالامر الذي نجح ولمرتين من كَذِبٍ أختلقه، كاسراً قاعدة الصدق التي لم يرى فيها من حياته الا المرارة...أو كما أعتقد..

جاء للظبية الفاتنة كأنها أحدى عارضات الازياء في احدى الدور العالمية المشهورة لكن بقامة أقل.. وهي تتبصرهُ بقلق شبه موثوق منه من عينيها اللتين يداعبهما خصرات شعرها التي ناثرته نسائم الهواء كلقطةٍ يُصعب على كبار المخرجين الاتيان بحبكتها.. وقبل ان يصل اليها استقبلته بركضة خفيفة شرحت مرونه سيقانها الرياضية..فقالت متلهفة للاجابة : أرجوك طمّني..)

صَمَتَ حامد وهو يتطلع لها بوقفةٍ يتوقرها لنفسه فهو يحاول ان يكبح فرح نفسه لأنه اتى بما هو يقينا سيستحوذ على لبِّ هذه الفيحاء بفعلته الكبيرة وصنيعه الذي يجب ان تفي بوعدها له وهي ممتنة...

فأومأ لها بأبتسامة خفيفة ورقاء.. اتبعها بأعطاء جوازيها بيديها وهو يقول : من ذا الذي يمتنع عن تنفيذ أمري .. تفضلي يمكنك المرور للدولة الجديدة)..رغم ان الاجابة كانت متوقعة منها لكنها تكاد تطير فرحا للامر الذي لم يكن يجري لولاه..وتهللّ وجهها فرحاً كادت ان تقبله بلا وعي..فمن

الصعب لامثالهم ان يجدوا من يشفق عليهم من أعالي القوم.. او هكذا ظنت..استلقى حامد على راحة باله فبادرها
_(حامد): مافاتني هو اني نسيت السؤال عن أسمك؟؟..
اجابته : (اسمي سعاد.. وتلك والدتي)
_(حامد) : أهلا سعاد تشرفنا..بأي باصٍ كنت قادمة ؟؟..
_(سعاد): بالباص الازرق..
_(حامد): سنلتقي هناك في وسط العاصمة في ميدان الساحة المعروف غدا عصرا في الخامسة .. لآخذ منك عنوانك الكامل وتأخذين مني تفاصيل عنواني او رقم جوالي في هذه الدولة الجديدة كما سأفعل معك..
تشكّرت سعاد بشكل كبير ... وأناطتْ بنظرات رشيقة تتخلخل أهدابها الطويلة فكانت رسالة واضحة المضمون أفهمتْ بها حامدا أعجابها الكبير بفعلته التي أشمختهُ علّوا بقلب أحداقها الواسعة..وحتى بشخصه الذي بدا لها مهما الى حد كبير وانه سيكون لها رفيقا تستند عليه كثيرا..
أنطلق الاثنان كلٌّ في باصه الذي بديا شبه خاليين بسب كثرة رفض دخول اغلبيته المطلقة تقريبا وهما متجهان لوجهتما المقررة لهما منذ انطلقا من نقطتهما ..وعيناه تودع نقطة الحدود التي تؤكد له كل هواجسه انه لن يعود أليها الا بطراً بعدما يملُّ السفر جواً..وباص صبيّته المتأكد من لقاءها في الوعد المبروم رغم انها كانت بلا ضمانات.. لكنه أستيقن بقيمته عندها عندما جاء بما يعجز عنه الاخرون..
وحال عبور النقطة الحدودية ببضع امتار حتى أوقف شخصا الباص بحرارةٍ صراخاً كبيرة..وقف السائق متسائلا باستغراب..فاذا به (باريان) قد وصل للتو وهو يلوح بأعالي اكتافه بانه قد رأى حامدا يركب بالباص من بعيد فركض اليه وطار بحامد حضناً وتقبيلا وسروراً وبادلهُ حامد وهو هانئ البال وقد زال عنه تقلُّق باله عن الكيفيه اليسيرة التي يجد بها (باريان) في البلاد الجديدة ..تبادلا أحاديثا طويلة ..كلّم كل منهما الاخر عن الفترة التي انقطع بها عنه.. وتحدث حامد عن مالم يتجدد حداثةً .. فالحال في

حارتنا كما فارقه باريان (او ربما آباءهُ).. مثلما وجدوها عندما فُتحت عليها عيونهم الزجاجية الهشة ..

_حامد : (الحال هو الحال في احيائنا البسيطة وأمثالها .. فهي لاترتقي كما الاحياء الخضراء كل يوم هي في حال..ان كل ما يتغير في حارتنا هو قدوم الاطفال عندما يتزوج بعضهم بعضا ليزداد الحي خنقا ويزداد صحن طبقهم بؤسا وأفرادهم همّاً وثقلاً وفقراً الذي يخبئونه أحيانا بمجاملاتهم لبعضهم البعض في المناسبات وربما ..ربما بعض الملابس الجديدة لأطفالهم في الاعياد تعبّر عن آبائهم بأنهم قد توفرت لهم فرصة ما.. برزقٍ ما.. فبانَ الامر على أطفالهم جلياً ليتفاخر الاباء بملابس أطفالهم التي لاتدوم لمعتها طويلا لانها لمعة لمرة واحدة يموت بريقها على مشانق غسيلها الاول لانها ببساطة ليست ماركات عالمية ..وترى الاباء منتشين بنصرهم متفاخرين بقطفِ ثمرةً من بين أنياب وحش هذه الدنيا (القاسية على جلودهم المتقشرة قساوةً) متبرجين بالامر يلفونَّ بأطفالهم كل الاقارب ومن يعرفون..كما لايهتم بالامر الاثرياء الذين أعتادوا أن تُقدِم لهم كل وحوش الدنيا الكاسرة مالم يكونوا ليحسبوا أحيانا بألوان ثمارها دون عناء يُذكر وعلى فُرش حريرهم وبشرتهم البظرة النضرة.. والتي نواةُ ثمرةٍ من صفقة بسيطة تُغرقُ الحي ملابسا) ..

_(باريان) : أما الحال هنا .. فربما لايكاد يفترق كثيرا في تقاطعاته في الاحياء البسيطة الغالبة دوما..أنا اعيش هنا أخدم أحدى العوائل التي يتغير حالها للافضل مع تغير اشكال ارقام الشهر..يقطنون احدى الاحياء الثريّة ..أحيا لاجل خدمتهم على أكمل وجه وكل هدفي هو رضاهم عني..
فرضاهم هو مايبقيني تحت تصرفهم لاجل ذلك اعمل المستحيل وكل مايمكن وكيفما شاءت أمزجة صغيرهم المدلل .. ومُراهقهم المتعجرف.. وكبيرهم الطاغي.. وبأي شكل لأنالَ أجري واحتفظ براتبي المتصدقّين به عليّ..اعيش وانا بين راضٍ عني لأني اعيش تحت بيتهم الخزفي عالي متون الاعناق..وبين ساخطٍ لذلة المواقف التي اتعرض عليها حتى أدمنت تجاوزها كل مرة..عموماً لندع همومي على جانبي طريقي الطويل اخبرني

ياحامد أولا كيف تجاوزت الحدود وسمحوا لك بالدخول فالامر صعب؟!..
وهل انتَ هنا للسياحة أم للعمل؟..
رد حامد : بل للعمل يا باريان .. فمثلنا لايعرف السياحة .. فالسياحة تشرّنقتْ على الاثرياء دون ان نرى لها أكتمال فراشاتها لتطير محلّقةً في حقولنا..
_باريان : (طيب ياحامد سنصل قريبا ونجد لك مكانا لسكنك مع محاولة توفير عمل لك وبأسرع وقت أختزالا لعنصر الزمن الذي يلاحقنا وسأستغل كل قوايّ هنا لذلك.. انا فرح كل الفرح بك ياحامد..)
أجابه حامد : (شكرا يابارياں كليّ يقين بذلك)..أسرّ حامد مكنونات صدره ونوايا مايبتغي لأجلٍ غير مسمى.. وأحتقن صدره بماسمع عن مجاراة حامد لذلّهِ في صدر قلبه المغترب بلا اية رحمة لهذه الغربة المقيتة حد الهذيان..
وصلّا العاصمة الجديدة وكانت تبدو فيها ملامح الرقي والحضارة والبهاء والزخرف الاثري والمحلات الباهظة تقّضم من شوارع الاحياء الزاهية بكل اناقة باذخة.. والسيارات الفخمة تفاخر بحداثة صنعها بين ألويتها..
وكما هي الحال ايضا هناك ينبتُ بين زعانف الطريق الكثير .. الكثير من الطبقات الفقيرة التي كثيرا ماتخجل حتى من المرورفي هذه الاماكن الفارهة..
اخذ باريان حامد وأستقلا باصا آخر للمكان الذي يبيتُ فيه حامد ولحين تدبير امر سكن يستقرءه حامد نسبيا وكما خطط باريان لليوم التالي لوصول حامد
في اليوم التالي اخذ باريان حامدا في نزهة تعريفية لطرق المدينة وطرق الوصول والخروج من وإلى.. وبواسطة الحافلات البخيسة الاجرة التي هي معوّلهم الوحيد.. ذهب به الى مكتب (ابو باهر) رجل الاعمال الذي يعمل باريان عند عائلته ..لانه يقينا سيوفر له بدل العمل عشرة لأهميته بكل المديّات دون تخصيص..
ترجى حامد السيد (ابوباهر ..المحترم) أن يجد عملا (لحامد) الذي يحتاجه بقوة..أو كما أفهمه حامدا ..هنا كان إن أقترب موعد الساعة الخامسة مع (سعاد) الذي يترقب اليه ساعاته بين الفينة والاخرى.. ترك حامد باريان

وأخبره انه عرف شيئا من الطريق يمكّنه من الاستدلال اليه عند عودته وانه سيلتقيه هناك في نفس المسكن..
ذهب لموعد سعاد قبل الموعد بربع ساعة فوجد سعاد بحلةٍ بهية تزيد من أنوثتها رقة وانوثة وشهوة تضاهي مايرى بهذا البلد في الفراديس التجارية الضخمة الواجهات والباهضة الممتلئة التي تعجُّ بألذِّ ثمار الفاتنات من كل أصناف الاعمار وهنّ يرتدينّ غُريّ الملابس بعرض مجانيٍ فاخر يُسال له كل لعاب..
تقاطعت نظراته بنظراتها الحائرة تبحث عنه..توسعت حدقتا حامد اعجابا بالمنظر وبهات الفتاة السكّرية.. وفرح بأهتمامها الكبير بموعده الذي يبدو من طريقة جلوسها انه قد طال كثيرا.. ربما جاءت حسب توقيت بلدتهم المتقدم ساعة عن هذا البلد لكيلا يضطرب عندها الموعد خشية ان يكون حامد قد قصد الموعد حسب بلده متوهما..
فرح بفيض أهتمامها الذي ولّد عنده شعورا بالاطاعة له وأيقنتْ عنده أحساسا بانها ستلتزم بما يطلب منه وما يريد..
تبادلا حديثا ناعما ورغم انه كان غير واضح المعالم لكنه كان مفهوم المضمون بانه موعدا غراميا من كلا الطرفين وخصوصا بعدما أطمئنا الاثنان ان لا ارتباط عاطفي لأي منهما سابقا, رغم ان الامر بالنسبة لحامد لم يكن عاطفيا لانه اقسم ان قلبه قد مات وقد واراهُ الثرى وترك قبره تلك الليلة..لكنه كان يريد ان يعرف مدى اخلاصها له بعد أن عرف ان لا ارتباط لها .. او على الاقل انه كان اكبر عناية عندها من كل ماقد يكون سلف
عرف منها عنوانها ورقم جوالها في هذا البلد واشياء اخرى كثيرة كانت تهمه لكي يصل اليها حال احتياجها.. اخبرها انه سيتصل بها لاحقا حال شرائه خط جوال لانه لم تسنح له الفرصة بذلك وسيحدد لها لقاءاً آخر, ووعدها انه لن يكون بعيدا بعدما احس منها لهفة للقاءٍ قريب ..وأنه سيطمئن على مدى فعالية علاج والدتها التي اخذت صباحا موعداً لجرعته في المشفى المجاني الخيري الذي تدّعيه احدى الجمعيات الخيرية لعلاج بعض الحالات الانسانية المستعصية, وبعد ان يرى حامد ظرفه الذي لم يتحدد لحد

الان رغم انه حدد قلعته فكراً ولكن هذه المرة قلعةً ليست في رمال الاماني بل قلعةً ثابتة الاساس مسنودةً بأرض همّة أفكارهِ الساحقة لكل ماكان ..
همس في نفس سريرته يحاسبها (أو كأن القلب قد مال رحمةً في ام سعاد؟؟..ألم تعاهديني يانفسي بأن لا رحمة ابداً؟.. وإن ثوب الرحمة نزعتِ كل أسباله دون اية عالقة بقيت فيك والى الابد.. وسأبني ثروة لاتغيب عنها الشمس..) فأجابته نفسه (إنما هي مصلحة مع سعاد وجسدها المفتن حد الصهول..فلأنها موقع عمل تحتاجه في تسيير اعمالك التي لاتعرف ملامحها لحد الان..أذن فالموضوع مصلحةً بحتة.. .فهذه الامور جميعا أمتزجت لتولّد لك هذه الميولة والميوعة الرضيخة معها..)
عاد وشئ من الرضا يملئه ..كافئ نفسه بسندويجة لذيذة وعصيرا في احدى ارصفة الطريق التي تفترش بعض المقاعد كبوفيه مفتوح..عاد لسكن باريان الذي لم يجده وقرر أن يطارح افكاره قي فراشه المستعار لحين عودة باريان الذي يتوقع ان لايعود لانشغاله بأرضاع الرضى لاسياده الذي لمس في حنجرة أقواله حقدا للذلة التي أُمرد فيها.. واستجعد حاجبيه منطلقا بتفكيره فيما سيكون..لكنه بحاجة..بحاجة الى البداية..وأية بداية؟.. أنه يريدها بداية من القمة ..لكن كيف ستكون هذه البداية الرعناء العنوان ؟ والكيفية ؟..
تأمل فيما رأى في شريط يومه الذي نسي ان يشتري فيه خط الجوال (السيم كارت) وكيف كان.. فوجد أنه تعرف على (ابو باهر) احد كبار تجار البلد الذي يعمل لديهم باريان .. ووجد انه ألتقى سعادا الفاتنة المستعدة لخدمته وعمل اي شئ يطلبه منها حامد..
أحس بضرورة ملحة للسفر لاوربا حيث يكون فيها الحرية التي سمع بآصالها في كل مكان..وكما أن الشغل هناك ذو مورد كبير وعلى أصوله... عموما سيرى ما يمكن أن يفعله هنا..
حاول النوم فلم يستطع فهو يجد أن اليوم الذي مرّ فيه ضاع دون جدوى... بل رآه نقص من عمره القادم الذي أقسم عليه أن لايمر هباءاً كما العادة القديمة التي وعى عينيه بها... خرج لعل يجد محلاتً ليشتري منها (السيم كارت هذا) وهي فرصة ليطلق التفكير مع ساقه المنطلقة سعياً في الشارع المضئ والذي ينظف فضلات اغنيائه البعض من المُستخدمين من طبقته

البسيطة يرتدون سترات فسفورية بحجة الخوف عليهم من سكارى السائقين تحت ظلمة الليل..ودون اي خوف على مايعانوه من ذل او مستقبل عيالهم المجهول.. بلا هوية..
بعد شراءه (السيم كارت) من أحدى المحلات الكبيرة الساهرة حتى الصباح ليس من اجل أمثاله الذين يغفون نياما بعد غروب الشمس بقليل استعدادا ليومٍ شاهق مُجهد منذ الاشراق الشمسي المبكر...وعاد حامد للشارع الذي لايعرف لم هو مرتاح للسير فيه والتفكير..
ربما ان التفكير سيتحرر ببعض السير ..
رأى سيارات ثلاث فارهات روادها من الاغنياء المخمورين بشكل كبير ويبدو أنهم من الدول المجاورة الغنية الذين جاءوا لغرض اكمال روانق متعتهم الماجنة التي لم تكتف بحد ضمن بلدانهم فخرجوا ليجربوا الانواع الكمثرية والكرزية حيثما تمكنت أخذهم أقدامهم ..
كانت أصوات المذياع عالية.. والاغاني الصاخبة الراقصة تطنُّ في سماعات السيارات طنّاً ومعهم فتيات وصبايا يرتدون خلاعة الملابس الخليعة ليزيدونهم جمراً وخمراً ليغدقوا عليهم مما تفئ جيوبهم العامرة دوما بما لا ينتهي وقد أشتروا من أجساد أولاء الصبايا أحلى العمر وأحلى مايمكن من مشاعر تخفيها الانثى في مخدعها الذي لايعرفه الا هي...
مرّتْ السيارات بسرعة مترنحة كترنحهم المختل تركيزه سبب نشوة الخمر ونشوة التباهي تبجحاً أمام الصبايا المسعّرات لهذه الليلة وربما لعدة ليالي اخرى مادامت إقامتهم جارية هنا ..وربما تكون هذه الصبايا والسيدات جسرا لأُخريات منهن يريدون التجديد دوما .. لا التطبيع ..
هذا الموقف الذي مرّ امام فكره المتفقس حديثا لايمر على حامد مثلما يمر سابقا فأما يعيش الاماني تحسرا .. أو يقنع نفسه بأحلام سفيهة قد تنتهي قبل ان تبدء..أو الاغلب تمر عليه مرور الكرام..وكأن لم تكن .. لكن الموقف في

هذه المرة يمر على حامد مرورا جديدا .. فقلد فقهت أفكاره الجديدة العتراء شرهراً عنده بداية التخطيط لبرنامجه الذي قد يبدء غدا..
أشترى بقية ليلته بالعودة والشعور بان البداية قد حانت وببعض ساعات النوم الهادئ الذي يحتاجه فكره المضنى ..
أستيقض في اليوم التالي متأخرا نوعا ما .. ووجد من خلال باريان وكأنه قد عاد متاخرا جدا وغادر أبكر من عودته.. عمل لنفسه في طباخ باريان ذو العين الواحدة اليتيمة قهوة تهدئ من صداع رأسه المشروخ..
أتصل بسعاد وطلب منها لقاءا سريعا .. وياريت بعد ساعة ..أستجابت سعاد كما تخمنّ ذلك حامدا.. ذهب لموعدها وهو يعد لمائدة ربما لايعلمها الا هو ..ألتقاها في أحدى المقاهي اللطيفة والهادئة..جلس معها وتبادل معها النظرات وأبتسامات وبعض المجاملات التي جرت لا ارادية ..ثم سألها قاصدا عن أمها التي هي كل ماتعني لسعاد .. وكيف هي الان وضعها ؟؟..وهل تفاعل معها دواء المشفى الخيّر(كما يزعمون) والقادمين لاجله من مكان بعيد؟..وكيف تتناسل لديها الصحة؟.. وهل هي تتحسن..؟
كانت الاسئلة ممشوقة وضرباتها موجعة لرأسها الجميل الواقف على جسمٍ ممشوق.. وربما يتصوره حامداً هو أجمل ما وقعت عينيه عليه.. أو ربما هو لم ينتبه سابقا لأُخريات.. فبصره كان متفرسخاً في الارض محدودا.. و لطالما كان ينذره الاخرون أن لا ينظر أعلى منه كي لاتُكسر رقبته التي هي كل مايملك..
أجابت سعاد : (المجرمون الكاذبون المخادعون ...لم يستقبلوا أمي وقيل لي أن صحتها صعبة وهي تحتاج لمشفى اهلي خاص.. وهذا يعني مبلغا كبيرا ربما لا توفره كل الحي الذي اسكن فيه ببلدي..)
سمع كلماتها التي نزلت على قلبه كماءٍ باردٍ في رمضاءِ يومٍ حار ومعطش جدا..وأبتسم ابتسامة ماكرة وقد وجد الباب الذي يدخل فيه لمآربه التي لايعرفها أحد..)
_حامد : (هل أختفت الانسانية ؟؟..) بحركة بدت معه أنه متألم جدا على أمها المريضة المسكينة..(كيف تسمح لهم ضمائرهم بالوقوف جمادا امام

الحالات الانسانية الخاصة ..أهكذا يعاني الفقراء ؟!..فلا أحدٍ من مجيرٍ لهم أو جارٍ لنوائبهم الحقيّة الملموسة؟؟..
من الذي يجيب دعوة عسرات أضطرارهم بفعل عمل جديٍ حسيٍ ملموس..؟؟
أهكذا تضيع أمانيهم بشقاء شفاء الاعزاء منهم في عثرات اللاضمير؟؟..
انا متفاجئ من الحالة الغير أنسانية؟!.. طيب وماهو الحل برأيك؟..)
_ سعاد : الحل يكمن في تدبير مبلغ ومصاريف المشفى الذي قيل عنه؟؟..
_حامد : ومن اين يمكن تدبير هذا المبلغ الخرافي (ربما) وكيف ترين أنت..؟؟
_سعاد : صدقت انه مبلغا أقل مايقال عنه انه خرافيا وخياليا..
_حامد : والحل ياعزيزتي سعاد..؟؟؟.. ارجوك انا قلق جدا على الوالدة..
_سعاد : لا أعرف.. انا محتارة وحزينة وقلقة ولا حل عندي..والعودة بأمي دون علاجها أفضل الموت عليه..
_حامد : طيب لدي فكرة .. وربما تنجح برغم اني لم أجربها قط وربما فيها من الصعوبة الامر الكبير.. ولكني أجد نفسي مضطرا لطرحها لاجل امك المسكينة التي أنشق لها أيوان قلبي..)
_سعاد : أرجوك ألحقني بها ارجوك..عسى ان تكون انت هدية السماء العادلة لي..ولانقذها من براثن المرض الذي سخى بها سنينا حتى وصل معها حداً ..
_حامد : (ها.. بصراحة .. لا ادري ما اقول .. ولكني لاحظت نوادي ليلية كثيرة وفارهة ..ولأجل عيني الوالدة فقط لاغير ..سآخذك هناك .. و.. .. نحاول تدبير حال امرنا....)
_سعاد مقاطعة : (نعم .. نعم .. فهمت الامر.. انا أعجز عن شكرك فانت تضيع وقتك وأيامك للاهتمام بنا .. وتسعى بكل جهدك لإيجاد حل لنا)...أبتسم حامد متألماً في كهف ذاته وهو يتمتم مدمدماً ((نعم ايها

الاثرياء.. فنحن لا نملك الا أجسادنا .. أو اعضائها.. لنتاجر بها.. أو لنسدُّ حاجة ماسة أمستْ أهم منها))..

وبين مكرٍ وخبثٍ فقد أقنعها للمثول على مسرح البغاء .. وهناك ستكون انطلاق خطته التي رسمها ليلا دون ان يعلم بها احد..

_ سعاد : (طيب.. انا ليس لدي ملابس سهرة قد تحتاجها مثل هذه الاماكن ،، هذه الملابس التي تثير الشوق لتكون البداية مشوقة للزبائن.. فهذه اول ليلة لي ويجب ان تكون مميزة وكبيرة لأحظى بعدها بصيتٍ..ربما ..لاتمكن من توفير زبائناً أوفر للمضي في هذا الأمر)...

_حامد : بالنسبة لأمر الملابس فسنتدبره لاحقاً لكن هناك امر خاص جدي اريد سؤالك عنه.. ولا اعرف كيف أسأله ..؟؟

_سعاد: تفضل حامد أسأل ما شئت فانت تمتُّ بصلة الافضال علي..وأسمح لك بالدخول لأي سؤال ومن أي باب تريد دون احراج..)

_ حامد : شجعتني كلماتك الكريمة .. شكرا لك .. أريد ان أسال..؟؟)

_سعاد : اتريد أن تسأل عن عذريتي؟؟..

_حامد : نعم.. نعم.. صحيح.. شكرا لتسهيل الامر علي

_سعاد : (طبعا انا عذراء.. بكل تمام العذر الذي فُطِرتُ عليه).. قالتها وفي نبرتها محاولة فاشلة مفضوحة بعدم الاهتمام لفاجعة الامر الجلل الذي تُقدم اليه مقابل حياة أمها..

فما حياة الانثى الا ثواني في حرير عذريتها.. عمرا بأكمله.....

_حامد : ستكون عذريتك أضحيةً لمعبد المذبح لكي تقوم والدتك سالمة غانمة من وقعتها..وسوف يقدّر اي عريس لك مستقبلا (إن شعر بالامر حسيّا) سيقدّر أمر تضحيتك المفداء من أجل أمك العزيزة ..

أنا مثلا سأقدّس تضحيتك في سجل حياتي ولاأرى أن الامر الا كأسطورة تستحق الثناء في كل وقت وحين ..

_سعاد : أرجوك حامد لاداعي للمجاملة ..ربما اني في لحظة ما .. تردد الامر في بالي اذا اضظر بي الامر لاجل امي المسكينة .. واشكرك

لمساندتك ومساعدتي على حلها..وسوف لن أنسى لك صنيعك هذا .. وسأردّه.. او احاول رده لك..
نفخ حامد زفيره المملوء رضاً .. وتواعدا ليلا .. وسيكون محضّرا لها ملابس السهرة التي تستوجبها العملية التي تم التخطيط لها ..
عاد لسكنه وهو يتمتم ببعض الاغاني فرحا بسير بداية خطته الكثيرة الصفحات والتي ستبدء اليوم منها قراءة تحقيق السطر الاول من الصفحة الاولى..
هناك قدحتْ في باله فكرة اخرى واتصل بسعاد واخبرها ان ترتدي ملابس غير خليعة وشبه محتشمة وبدون مكياج وكان يقصد منه شيئا.. واشياء..
طبعا أطاعته سعاد المتوهمة ..وربما قد شك في لحظة ان سعاد هي سائرة في هذا الطريق أصلا واستقرت هنا لفترة .. وربما وجد فيها الانسانة المطيعة له دون رفض طلب..
جاء للموعد.. فوجدها تتنظره بثياب جميلة محتشمة الاطراف وكأنها طالبة في أحدى المدارس العلمية ... صحيح كانت في ملبسها بعض التضييقات التي تبرز من مفاتن انوثتها الكثير..لكن أكيد نسبيا تُعتبر قمة الحشمة للخلاعة المتجمّرة التي قد يجدونها هناك..
أعجبه منظرها بشكل رائع..اتجها لاحدى النوادي الليلية المشهورة والتي أشار عليهم بها سائق سيارة الاجرة المتسكع ليلا..
همّا بالنزول من سيارة الاجرة ..الكثير من الامر يحز في قلب حامد...فلم يتوقع ان يصل به الامر لهذا الحد المخزي جدا والعار عليه بالنسبة لحامد القديم..ولكن حامد ماكان يقصد (القوادة) ربما .. والاهم من هذا ان حامد قرر مع نفسه ان لامعنى للحياء ولا للاستحياء ولا للرحمة ولا للقوانين الجلفاء ولا للاعتبارات والشعرات الجوفاء الاخرى .. وكما قرر في قرارة نفسه التي قدّرها سلفا.. فأزاح عنه اي معنى للحياء اولا..وان هدفه يجب ان يصله وبأي ثمن ..
وصلا باب النادي الليلي الذي وصل صوت طربه خارج النادي بكثير..
حاول ان يهدئ من ارتباك ((الاول مرة)) وحاول ان يبين لنفسه اولا,

ولسعاد ثانيا ولمن في النادي ثالثا ان الامر ليس بجديد ابدا ... استقبله قاطع التذاكر في الباب الذ ي يحرسه أثنان من الرجال الضخام ..
وكانت الانظار لاتفارق المنظر الساحر الغريب جدا على المكان هو منظر سعاد الجميل الذي زادها بهاءا ورونق منظرها المبهر الشبه محتشم الذي يلفظ الانظار في مكان اللامكان فيه لغير الخلاعة ..
كانت هذه اللفتة النبيهة من حامد كالسحر في صالة العرض الذي انتبه اليه الجميع الصحاة منهم والمختمرون والراقصات والجالسات والراقصون والجالسون..حتى إن الاضاءة التي كانت تختص بالمسرح ليعم النادي الليلي أضاءة خافتة ربما مقصودة لتخفى بظلها الغامق أحيانا عيوب السيدات والصبايا والغانيات اللاتي يعانين من عيوب شديدة بسبب كثرة أدمانهم مثل هذه الصالات.. واحيانا لإخفاء الكثير من الغش الصناعي إما لنوع المشروب المسكّر أو لنوع الطعام والمقبلات التي تقدم كرهاً لا طوعاً..
جلب دخول سعاد للصالة كل الانظار والاضواء المعتقمة والمستنزفة ..
همهم الجميع هميماً مسموع الصوت مرفوق بعلامات الاستعجاب والكلام المعسول قصد المديح.. أخذ النادل يرحب بكل انواع الكلام المتملق الذي اعتاد عليه للنخبة الصفوة الثرية التي ترتاد هذه الاماكن وأصرّ على جلوسهم قرب مسرح الرقص الذي غالبا مايكون محجوزا مسبقا ..وقال أمروني بأي شئ وانا برسم الخدمة ..
هنا .. قال حامد هامسا في اذن النادل وصوت الموسيقى الصاخب يشق عباب الهواء المتخم بالروائح الخامرة واعراق الدخان اكثر انتشار من الهواء المكيف..همس في اذن النادل ((أن معي فتاة عذراء.. اتفهم عذراء.. أعتقد ان الامر مهم وشهي..أريد لها زبونا ذو وزن ثقيل الثراء .. ليقضي ليلة ساحرة في فض البكارة النادر الحدوث جدا في حياة الفتاة.. وان لك لعلاوة جيدة)).. تبسم النادل بمكر خبيث ووعد بان سيكون له ماطلب وبسرعة كبيرة دون انتظار فأنه يعرف ما يطلب زبائنه بمدى حنكته التي تمنحه المؤهل التام في الامر رغم انه تفاجئ بجرأة حامد وسرعته في أحكام الامر وإنهاءه دون الانتظار العادي..
وخلال دقائق عاد النادل ومعه عروض هو نفسه لم يتوقعها , فحشمة سعاد في هذا المكان مصحوبة بعذريتها الشهية وكما ل رونقها شكلا وجسدا اثار

كل الغرائز والتعطش لبذل كل مايمكن ومهما كان الثمن لذلك.. أختار حامد المكلف بالامر أعلى عرض وهو على يقين أنه لو طلب اضعاف العرض لما توارى صاحب العرض عن القبول ..
أفهم سعاد الكثير من الامور التي طلبها منها.. وطلب من النادل ان يأتي بصاحب العرض والجلوس معه وليأخذها متى شاء وكيف شاء ..
جاء الرجل السمين والممتلئ في كل شئ حتى في خدود رقبته ..وعليه ملابس تشرح انه من احد البلدان الاخرى الغنية بالبترول ...
جلس مسرورا يُعرف عن نفسه..((أبو واصف.. تاجر)) هنا قدم حامد نفسه بإسم (ماجد) وقدم سعاد بإسم (سحر) ..تفاجئت عين سعاد من الامر وهي مطيعة لاترد لحامد طلبا ؟.. وجلست بخجل اوصاها به حامد كثيرا قبل دخولهما فزادت من لهيب ابو واصف سعيرا وحريقا..
_ابو واصف : ما اروع (سحر) وما أبهى والذّ واشهى (سحر) وماكنت لإتوقع أن أجد لمثلها سكرا وصبابة .. مارأيك يا اخ.. ماجد .. اليس كذلك؟..ما رايك أن اخذ (سحر) لنكمل سهرتنا في شقتي الضخمة وتأخذ انت اتعابك كاملة وتأتيك هي صباحا ..
أجاب حامد : طبعا طبعا لامانع ....أذهبوأ وسأظل هنا أكمل السهرة المحلاة بالوحدة الكنيدة..
أستلم منه مبلغا كبيرا مع بقشيشا يضاهي بقشيش المشفى بإلآف المرات..وتوجه ليعطي النادل سُراقةَ بقشيشه الذي يستحقه وغمز لسعاد غمزةً لتؤيده باخرى إعرابا عما اتفق معها عليه بكل شئ...
ذهب حامد مرتاحا ممتلئ الجيوب لسكنه وهو يعرف ان البداية قد سرى من صفحتها عدة سطور ..وقال (لم يبقى لي الا انتظار سعاد غدا ..)
وصل هناك فلم يجد باريان المنهمك في ذلة نفسه ابتغاء مرضاة اسياده...
هناك في شقة ابو واصف الضخمة المستأجرة مؤثثةً مفروشةً كأن الهديل يفرض ألحانه بصورة أقارت ابو واصف حد الجنون البكاء فرحا وسعادة فيما رأى من أجمل ماتقدم فتاة لعريسها .. وتفننت بفن راقِ البهاء والسخاء والسحر أمام ابو واصف حتى انه كاد يُغشى عليه من شدة النشوة والفرحة فأنتضب عنده شعور كبير بأن لايفرط بهذه الليلة بصباحٍ ينهي احلى واجمل ليلة أنتشى بها بكل جوارحه.. فسقط عند ساقيها الممتلئة متوسلا ان لاتتركه

وانه سوف يقوم لاسعادها وتوفير كل مايمكن ان تحتاجه وبأي صورة مقابل البقاء معه طيلة اقامته هنا.. فقالت : (سافكر في الامر وأعيد لك الخبر غدا).. توسلها ان توافق وان تقبل عرضه ... والحّ باكيا .. وكانه طفل صغير ضائع لم يعثر على والديه ولو بعد طول عناء..

شمخ صرح الصباح مشمّراً عن ساعديه.. أتصلت سعاد بحامد وأخبرته بضرورة لقاءه الفوري وكان حامد متعطشا جدا لهذا الموعد لمعرفة ماجرى تفصيلا..

_سعاد : حامد لا ادري ماحدث فلقد حدث كل ماتوقعت انت بعد مافعلتُ كل ماطلبتَ مني.. لقد انهار امامي باكيا وقال لمجرد بقائك معي سأحقق لك كل ماتريدين وتطلبين .. لقد صدق كلامك وحدسك الذكي الباهر..وساعالج والدتي وربما امتعها كثيرا باحسن الاجواء السياحية ...انا عاجزة عن شكرك..راجية ان تحتفظ بالمبلغ الذي اعطاه اياك.. وسنبقى على اتصال دائمي مستمر أطيع فيه ارشاداتك...شكرا لعلاجك امي بحكمتك الذكية..

هزّ حامد رأسه قال (الم القل لك ان اطاعتكِ لي ستنقذ امك ؟؟..وتنقذك .؟؟ وان لم تفعلي ما طلبت لكنتِ قد جرى عليك السيل ولم تحضي بشئ ..مالكِ إعتبريه محفوظا عندي وساحفظ لك اي شئ ولا اريد الا ان اعالج امك فقط فهي كل مايهمني...قالها حامد وهو منشرح الصدر مغتبط فرحا لسعادة سير الخطة كما قد خطّ لها ولم يكن يهمه بالامر ابدا لا ام سعاد ولا المال الذي سيجنيه بهذه الطريقة من سعاد... ولا غيره..الذي همّه بالموضوع هو سيرُ إطاعة سعاد له اولا.. وهيام ابو واصف بها .. وإن سعاد ستسير معه بكل التعليمات والارشادات التي يطلبها منها حامد دون اي اجتهاد او عصيان ..

هنا سأل حامد سؤال جعل معه غطاء لتبريره :((هل عرفت كم يمكن ان يملك ابو واصف هذا من مبلغ نقدي واين يضعه ؟؟..).. نظرت اليه سعاد بإستغراب كبير يملئ عينيها وقبل أن تنتقل هذه الاستفهامات لتخمينات مفروضة يصفُّ بها تفكيرها الذي وجدته مسيراً مطاعا لأوامر حامد..أسرع حامد مكملا كلامه: (لاتفهميني خطأ سعاد ..انا كنت اقصد ان نعرف مقدار مايملك من مبلغ نقدي لكي لانقع لحظة في فخ رميكِ في الشارع دون إيفائه بوعوده.. فيضيع علينا كامل علاج امك الذي لاندري مايغنيه إيفاءا ..كما

وللتمكن من معرفة مايمكنك جرّه من مال يؤكد ضمان اية استرجاعات في صحة الوالدة.. وسيكون عندك ما لايجعلك في قلق)..
كلماته كانت كالعادة مطمئنة لسعاد التي تجد فيه الرجل الذي يقلق عليها وعلى ظامئها بصورة شديدة .. أو كما يُفهمها هو .. وهي تاتي في داخل نفسها دون تعقب لكلماته والتحري عن مصداقيتها وذلك بأدخالها في باب الشك واليقين ..وجد حامد نظرات الرضى في عينيها
_سعاد : كلام معقول .. فهؤلاء النوع من الناس الاغنياء يرمون ما أرتوت منهم حاجتهم المرجية وتعطشهم الحيواني.. ودون اي اعتبار يرمونها رمية الفضلات الكثيرة التي يتركوا منها ما يُشبع قوافلا من الجياع ...يرمونها غير مبالين إن قمامتهم التي تكون دائما ممتلئة باكياس كبيرة... وكيف هو رأيك الان يا حامد؟..)
حامد بابتسامة نكراء..(سأحاول اليوم وقبل ان يشبع من حلاوة نفسه فيك سأدبر لك نوعا من المنومات الشديدة النوم ..وسأعلمك طريقة لمزجه مع بعض شرابه الذي يتلذذ به وهو مشدوه ربما برقصك له .. او بحركاتك المجنونة عنده ..بالمناسبة .. كيف كانت ليلتك معه؟.. هذا الذئب البشري اليائس ؟؟..)
_سعاد : ارجوك حامد لاتذكرني بتلك الليلة الرعناء التي كم أستحقرت بها نفسي .. ولكن لاجل والدتي كنت على استعداد لفعل كل شئ ..ومشيت على ما واصيتني به من أستحالة لعابه المذئ بحركاتي المثيرة جدا له .. الامر الذي نتج منه ماتوقعته انت تماما .. وكم كرهته رغم سخاء كرمه..
وهذه الليلة التي تتمناها اية فتاة مهما كانت لتكون تحت سقف الحلال الذي ضاع في احياء امثال مثل هذا الشئ..وسؤال نفسي هل كان سيرضى فض بكارة اخته او ابنته لمثل هذه الصورة القذرة مثله؟؟!!.. عموما حامد ساتدبر ماتامرني به.. لعلي أضمن لعذراويتي الغالية في نفسي والرخيصة عنده انه سيكون لها شيئا من الثمن الذي يضمن وعلى الاقل علاج امي.. ولفترات..
أفترقا الاثنان على أمل اللقاء القريب في شقة أبو واصف الفاخرة بعد بضع ساعات ولكيلا يطول غيبة سعاد فيدخل الشك في قلب ابو واصف
المتعطش.. والمسكين (وكما يصور لنفسه) امر مشاكله الزوجية مع زوجته الغير جميلة كما يجب والتي كبر سنها فاعتدى الأربعين سنة.. بل انه يراها

بعين الظلم في بقاءه معها وانها لابد لنفسه المظلومة تحت قدر السماء العادلة ان يعوض عن نفسه الربيئة المهضومة .. أو كما كان يراها أبو واصف..الذي لم يفكر يوما الا بما بين فخذيه وكيف سيُرضي نشوته باعلى الترانيما؟..

ذهب حامد لاحدى صيدليات البلدة ودخل اليها مدّعياً مرضاً بشديد الصداع الذي لاينفك من رأسه لحظة منذ اسبوع .. وتوسل الصيدلي المسؤل الذي لو كان الامر مجانا لما أهتم اليه البتة .. ولكن بما أن الامر مقابل ثمنا فهو يستمع مدعيا الحزن المقيت الذي يملئ قلبه لكل من يأتي ليوصف له وصفته ..

قال حامد : (انا لم انم منذ فترة اكاد لا احصيها.. ربما ثلاثة ايام.. او اكثر او اقل.. بسب هذا الصداع المدوّي في راسي وانا مستعد لاي مبلغ كان.. مقابل ان انام بعمق شديد).. أستنشق الصيدلي شهيقا ماكرا وعيناه ترميان التألم لحال مصاب حامد وقال له : (نعم يوجد لدي نوع من المنومات بشكل شديد .. لكن .. ثمنه غالي ..) حامد (ارجوك الحقني بها ولايهمني الثمن . وبسرعة ارجوك)..

ناول الصيدلي حامد ظانّا انه من هؤلاء القوم المترفين الذين يبذخون كل شئ, فهو فرصة تقلُّ حدوثها لديه فقبض من حامد مبلغا يغني عن ابقاء محله مفتوحا ليومين..لكن ..هو طبعا لن يفعلها..

قبض حامد بكفيه العلاج المنوم الشديد وانتظر موعد سعاد والافكار تتلاحق فراراً وهجوماً في رأسه الذي يبدو انه يحصي الكثير والكثير جدا ..

جاء لموعد سعاد التي نزلت للشارع مرتديةً شيئا ما على رأسها الذي أوصاها به ابو واصف الذي لايريد لأحد ان ينظر لفتن روعتها والذي قال انه يريدها فقط لنفسه.. وقالت انها بحاجة للذهاب للصيدلية القريبة عليهم .. ألتقت بحامد لقاءا سريعا همست فيه كلمات التواصي بما ستفعله سعاد مع ذئبية ابو واصف المنتظر لها بشوق غامر..أرتشفت يداها للعلاج وشئ من الارتعاش يملئ جسدها فالامر لها تراه كبيرا وخطيرا .. لكن رسمَ صورة أمها المُعانية أمامها جعلت الخطورة وكبر الامر يتلاشان امام صعوبة

المنظر..عادت وهي قد أتفقت مع حامد ان يكون بينهم وعدا في اليوم التالي وإن أستجد امرا فالجوال موجود..
أخبرها حامد انه عليه الذهاب الان لوالدتها ومراعاتها أثناء غيابها .. عاد حامد وقد وجد سكنان اثنان بدل سكن واحد قد لايمكن وجودهما لولا تصرفات حامد التي كان يظنها كذلك..كما انه هناك وارداً جيدا من المال يؤهله ايضا للأنتقال لسكن جيد مريح ولكنه أجلّه لموعدٍ اخر ..فكّر في كلام شيخ حيّهِ الذي قال انه كل شئ قسمة ونصيب .. ((طيب..أن كان هو لم يتحرك هذه الحركة الطويلة التي مازال في بدايتها أكان من الممكن ان يكون نصيب قسمته أن يكون في مثل هذا الحال المريح ؟!!..) .. جادل نفسه متسائلا...
عاد لأم سعاد وقام بمراعاتها بصورة كبيرة وهو يضع في مقدمة أمرها انها ستكيل له المدح الكبير امام سعاد التي لايريحها اكثر من كلمات امها بمن راعاها ووقف لها..
هناك سعاد كانت تتمايل برقصات تهتاج لها حتى الصخور هيجاناً لثيرانٍ أعقبها تثقيب ظهرها برماح شديدة الالم واللون الاحمر يحيطها من كل جانب ليهزء بمنظرعذابها الاغنياء.. كان أبو واصف يصفق ويرقص اكثر مماكان هو يتصور, وكان قد اراد خروجهم للعشاء في مكان ما..فأبتْ سعاد إلا ان تحضّر الطعام بنفسها وجميع المقبلات الفائقة اللذة (وكما أوصاها حامد).. قائلة لأبو واصف أنه لا داعي للبذخ المسرف (لان حامد أفهمها ان اكثر مايعجب الرجل تمسكا ان يرى فتاة تختف خوفا وحرصاعلى ماله), ثم اخبرته انه لاداعي لأضاعة الوقت خارج الشقة إذ ان عيون الاخرين عليهما تمنعهما من الالتصاق كيفما شاءوا..هذا الكلام كان كالسحر على ابو واصف الذي لايؤثر عليه أبدا اي بذخٍ في أي مجال ولكن الكلام قد أثّر على حرصها عليه اولا وتعلقها وحبها له ثانيا..أو كما أعتقد ابو واصف يسامر نفسه (ان هذه هي الصبية الاولى التي عشقتني لشخصي لا لوجاهة مالي) او أنه أوهم نفسه بقالب ما تهادرت به افكاره..
كانت قد أعدت له مشروبه المفضل الذي يهواه ووضعت فيه حبات العلاج المطحون بدقة والتي ربما أبو واصف قد لا يكون بحاجة له فهو هائم نائم غائم في بحر عسله الذي يراه..ولكن تلك الوصية لابد منها ليغرق في نوم

أعمق من ان يحس على سعاد... هنالك.. وبعد أن لم يقاوم ابو واصف...غرق في نوم عارم, قامت سعاد وبنصف ملابس عارية .. وهي تتجه الى خزانة الملابس الضخمة.. وجسدها يرتعد خوفا وحتى ان صورة امها التي تقف امامها في كل امر كبير لم تنفع معها إرتعاشاتها وخوفها وارتجافات ارتباكها...

فتحت الخزانة فوجدت فيها (قاصة) متوسطة الحجم ..من غير ارقام بل بحاجة الى مفتاح .. ومفتاح فقط .. تذكرت انه يحتفظ بمجموعة مفاتيح في حلقة مفتاح السيارة الذي من المؤكد أنه موجود في احد جيوبه... بحثت فيها فلم تجدها ودارت عيناها في الغرفة... ولم تجدها حتى ظنتْ انها تحت وسادته .. ربما.. أدخلت يديها برفق مرعوب.. وبارتجاف شديد .. أكثر..وأكثر ..لكن أبو واصف سهّل من ضغط رأسه على الوسادة وبالتالي على المفاتيح بأن أدار رأسه الجهة الاخرى متشخراً كما هي سليلته..

سحبت حلقة مفاتحه وهي تخشى أصوات ارتطاق المفاتيح مع بعضها... جرّتها اليها بحركة سريعة أستجابت مع أصوات المفاتيح بصورة اكبر ما كانت تظن .. فانتظرت رد فعل أبو واصف الذي لم يحرك فيه ساكنا الامر.. أستسلت نفسها بخفة شديدة جدا .. حاولت تجريب المفاتيح على (القاصة) ولكن يداها المرتجفتان عرقلت الامر بشدة... حتى تمكنت من ايجاد المفتاح المطلوب.. أدارته .. فسمعت للقاصة طقطقة تدل على إن القاصة انفتحت .. فتحت الباب بحذر شديد .. وهي يكاد يغمى عليها خوفا .. ثم ..أنذهلت بالمنظر المذهل..الذي رأته في القاصة فلقد وجدت اموالا لن ترها حتى في احلامها الصغيرة وطبعا صغيرة جدا على مستواها ..مرتبة بشكل مذهل وكانت جديدة مربوطة بشريط في منتصف كل (ربطة ورزمة) كما تربط الراقصة وسطها ليزيد من بهاء رقص وسطها وأوراكها..ولتدل على ان لكل واحدة منها رقما ..

سارعت بقفل القاصة وقلبها الخافق الحافق لم يهدئ لثوان.. وأعادت المفاتيح لمكانها .. لتنقل الصورة كما اوصاها حامد اليه.. ولترى ما سيقول لها من خطوة اخرى..

لاتذكر انها كانت قد نامت بقية الليل المتبقى من الفجر من شدة أظطرابها.. نهضت صباحا وهي مرتبكة وكأن ابو واصف سينهض صارخا ومهددا

وليشق لها خدودها كما شق لها بكارتها الساخنة.. ولكنها تفاجئت بأبو واصف وقد أعدّ لها الفطور بنفسه.. ووجهه المبتسم ترتسم عليه ضحكة الرضا.. إرتاحت للامر وطلبت منه ان تذهب لصالون الحلاقة لتبتدع تسريحة تناسب شعرها الذي يستجيب لكل التسريحات بلا تردد..فأغدق عليها مالا فلم تقبل (كما وصاها حامد).. فزادت في تعميق ثقته بها هذه البنت التي لم يكن ليتصور ان يحظى بمثلها..

كان الموعد مع حامد عند أمها في المشفى الخاص الذي نقلها اليه حامدا..ألتقت أمها بدموع الفراق لهذين اليومين.. والتي أشغلها شغل مع بعض صديقاتها القديمات عثرت عليهن في هذه البلدة (وكما أفهمت امها).. والتي كانت راضية كل الرضا فحامد لم يقصر أبدا .. بل انه كان أحنُّ عليها من ولدها الذي تركها وتركهم من قبل أكثر من خمس سنوات لرغبة زوجته التي لاتريد أمه المريضة واخته..تشكرت سعاد من حامد الذي كان موجودا قبلها هناك كل الشكر.. واخذته على جنب وشرحت له كل مارأته وشاهدته وكيف كان الامر..

_حامد : هل أخذت من المال شيئا؟..

_سعاد : ابدا .. وكما أوصيتني ..ثم ماذا آخذ وانا كنت أموت خوفا وانا اتخيله سيفاجئني فوق رأسي ؟؟..

_حامد : أحسنت صنعا .. واليك الخطوة الاخرى اليوم..

شرح لها خطة اليوم التي اعادها عليها مرارا وهو يستفزُّ بها بين الاون والاخرى معاناة أمها المسكينة التي ظلت (تعاني كما وصف لها) طوال الليل لكي لاتتردد للحظة من أتباع الخطة بحذافيرها ..

كانت الليلة كالامس ولكنها ببهاء اكثر واكبر لكي لايصل ابو واصف مرحلة الملل الذي ربما سيشعر به بعد ايام قليلة كما تتصور سعاد التي لاتعرف حقيقة خطة حامد .. لبستْ لابو واصف ملابس تظهر من جسمها كله تقريبا الا رقعات بسيطة وأحضرت له عشاءا فاخرا كما يمكن له ان يشتهي, وشرابا من مجموعة خمور قد أوصى بها هو إليه..وعلى صوت الموسيقى الهادئة أمالت برأس عنق جوارحه كلها اليها وهي تتحرك امامه حركات اغراء شديدة وشديدة جدا بالاغراء..وطبعا لم تنسى مجموعة الحبوب المطحونة وبجرعة مضاعفة هذه المرة ..والتي حالما تناول

الشراب المعدّ له والذي لم تمنع مرورة الخمر المعتق جدا للاغنياء أمثاله من كشف طعم الجرعة المريرة المضاعفة التي وضعتها اليه..وشدّت ببصره اليها بحركات ومداعبات رهيبة معه دون الالتفات للتغيير الطفيف في لون المشروب الذي اعتاد عليه زمانا... غارَّ في نوم عميق..

في هذه الاثناء من الساعة المتأخرة من الليل كانت إشارة بالجوال قد اتفق عليها حامد مع سعاد ليأتي اليها هو بنفسه الى الشقة وهي لاتعرف تحديدا مايدور في رأس حامد.. فكر حامد وهو في الطريق اليها بمن قد يكون يلاحظه من سكنة هذه العمارة الفارهة أو لاحظ سعاد؟؟..فوجد انه من صالح الامر المُبيّت أنها عمارة للأثرياء الذين لايتدخل بعضهم في شؤن بعضهم الاخر..وقد أخبرته سعاد ان الامر ليس كحييّهم البائس... فهي طيلة هذه الفترة هنا لم تلاحظ اي باب لاي شقة حتى مفتوحا وكأن البناية الضخمة لهدوئها مهجورة الا من زخرفتها المُبالغ في روعتها والطيور التي لاتفارقها وكأنها تعرف أين تسكن...هذا الامر ثلّج قلبه الساخن حد الغليان ..

(رنّ) لسعاد بالجوال علامة على وصوله تحت البناية كي تفتح له الباب..فتحت الباب بهدوء بسيط.. سعاد المرتعبة .. وهي تعلم ان للعمارة بوابا وحاجبا ..لا اعرف كيف سيتمكن من تجاوزهم وإقناعهم بدخوله.. كان حامد في هذه الاثناء قد تجاوز هذا الحاجب بحقيبة يحملها في يديه ونظارة ارتداها وربطة عنق أشتراها ليبيّن للحاجب انه احد الاطباء الذي تم استدعائه في العمارة لحالة طارئة .. وهي طبعا من عادات الاغنياء ان يزورهم الاطباء متفرغين لهم في منازلهم.. على الاقل في هذه البناية .. وعلى الاقل في هذه اللحظة أستطاع أقناعه بأسلوب دراماتيكي كأنه

متدرب عليه... وكيف لا وهو يعمل في مشفى يتابع من نظراته مليّا حركات الاطباء..

دقائق بسيطة ودفع حامد باب الشقة الموصوفة له وصفا دقيقا من سعاد التي وجدها خلف الباب التي تقضم أظافرها توتراوخيفة..

_حامد : هلو سعاد.. كيف الاخبار .. هل تجري الامور كما تم التخطيط؟؟..

_سعاد : اه.. نعم .. اه .. نعم.. لكني خائفة جدا جدا..

_حامد : لاتخافي .. أطمئني فكل الامر يهون لاجل أمك التعبة التي ودعتني الان بنظرات التوسل كي أبقى معها أراعي مرضها الذي أجده تفاقم.. لعلنا نلحق بالامر ونجري لها العملية الجراحية الموصوفوة لها في المشفى المقصود صباحا..

سعاد وهي تحاول مسك ارتباكها المرتعش بكلمات حامد الذي خفف منه كثيرا بأستغلال أقباط مشاعرها مع امها ..(حسنا..حسنا..تعال معي الى غرفة نومه.)

تهاوى حامد بنظراته العميقة لهذه الشقة..الضخمة الوثيرة بديكورها البهي المضئ دون أنارة ووسامة اثاثها الضخم ..وقال: (نعم ..تلك هي الحياة الحقيقية وألا فلا..) دخل الى الغرفة التي يضطجع فيها ابو واصف على خدّيه السمينين وهو عار من ملابسه تماما, ورائحة كريهة تنبعث من أبطيه النتنان لم تنفع معهما المعطرات العالمية او ربما هو في وهج أنفعاله نسي الامر ..قال حامد في نفسه: (نعم يافرس النهر القذر...عد لحقيقتك بشرا مثلنا تعتريك احيانا رائحتنا وتعاني منها) ...

مدّ يديه لتحت الوسادة يبحث عن المفاتيح التي دلّته عليه سعادا وبثقة كبيرة للعلاج المنوّم الذي قد أشربته أياه سعاد وهو واثق من عدم صحوته مدة نومه..

مسكَ بخاتم المفاتيح بسبابته وسائلا سعاد المرتجفة عن مكان القاصة وهي تدلّه..سألت مالذي ستفعله تحديدا .. فاجاب حامد : (أطمئني ودعي الامر كله موكلا لي),, اتجه للخزانة الرائعة النقوش وفتحها وأغمد مفتاحها في غمجها .. وطق..طاق.. انفتحت الخزنة .. ماهذا انها مجموعة من احجار الاوراق المالية فئة (مئة دولار) قدّرها بانها فوق الخمسين الف دولار ..

وربما أكثر ..طلب من سعاد أن تخرج من الشقة وأن تذهب لتنتظره في مشفى أمها وسيوافيها هناك في الصباح القريب ..سعاد المرتبكة المطيعة أتجهت للبس ملابسها التي جاءت بها. أما بقية الملابس فهي بالاصل موجودة هنا.. أو تم شراؤها سابقا ربما لغانيات أُخريات ولاتخصها..
أتجهت الى باب الشقة وهي مطمئنة..فبوّاب العمارة لايحاسب الخارجين بل الداخلين فقط هذا ان كان مازال صاحيا ..
بقى حامد في شقة أبو واصف وجيوبه ملئى بكل ما جرى في الخزينة وبما لم يحلم به لا هو ولا حتى عشيرته كلها..نظر الى ابو واصف .. ثم أقلقه .. ان سلطة نفوذه الكبيرة لمثله سوف تطيح به..ربما اخذته لحظة جبن أزاحت الستار عن أفكارٍ قد أعدّها حديثا لمثل هذه الظروف ..
((حامد يجب أن تقتل ابو واصف كي لايبقى عليك شاهدا .. او مشتكيا))..قال ذلك في نفسه.. فأحضر سلكا معدنيا شديد القسوة .. وأتجه لابو واصف يلف به رقبته بلطف كي لايصحو قبل ان يشد علي بكل ما أوتي من قوة...فنجاة أبو واصف تعني إنتهائه خلف غياهب الشمس للابد..الامر الذي زاد من شد عضلاته عليه بكل قوة أيقظت أبو واصف ايقاضا سريعا وهو يحاول ان يمسك برقبته لينجيها منه وأرجله ترفس بشدة قوية .. وحدقتاه مفتوحتان بكل قوة لم تنفتحا عليه في جل حياته..حتى خفت حركته الهائجة كموج بحر في عصف اعصار هائج..وانتظر لبضع دقائق حامد حتى اختفت حركته نهائيا.. وأنتظر ايضا لبضع دقائق اخرى ليتأكد من موته نهائيا .. لفّ المكان صمت قاتل رهيب ..أستمر لوقت لا يعلم مداه حتى حامد..
نظر بعينيه لعين أبو واصف الشاخصة لحيث لايدري وفمه المفتوح وانفه الذي سال منه بعض الدم إثر الخنق الشديد.. وفكره سارحا متاملا هذه اللقطة وهذا الموقف الذي هو فيه ((أتصورون أنكم لاتموتون ايها الاغنياء السعداء؟!.. نعم .. لقد تأكدت الان أنكم مثلنا بشرُ تموتون..)) قالها بلكنة انتقام أصدرها كهف داخله يريد به ان يعيد الحق لنصابه المسلوب,, أو كما يفهم حامد.. وتذكر مرة اخرى قول شيخ حارته (كل شئ قسمة ونصيب.. وكل شئ مكتوب).. فتسائل (هل كان مكتوبا لهذا الثور ان يموت على يدي

في مثل هذا اليوم؟!.. لا ادري ..وهل كان مكتوب ان احظى انا بهذا المبلغ الكبير لي دون أن أسعى اليه متفكراومخططا؟!.. لا ادري ايها الشيخ)..
نهض حامد من فوق قتيله الذي تأكد من موته مراتٍ ومرات .. وحاول ان يمحي كل مايمكن أن يمتّ له او لسعاد بصلة من بصمة جرت او ملبس او حركة او غيرها ..فأتقن كل شئ باحكام .. لا يعلم كم طال الامر من الزمن لكنه يعلم ان الفجر قد وصل منذ فترة وحلّ مكانه ضيف الشروق المؤدب بكل خجل.. أعاد مسح الشقة ببصره عشرات المرات تكرارا خوفا من اية سائبة أغفل عنها..
وبعدما اطمئن يقينا.. إنبرى من الشقة خارجا وهو حذرٌ حذرَ الموت ..فالموقف حياة او موت..رفع ببصره الى كل ارجاء البناية وأخذ حقيبته التي كانت مئزر دخوله هنا... وخرج من البناية التي راى فيها البواب بين اشباه اليقظة ينظر اليه بعين هرٍ واحدة.. غير نبرة صوته بصوتٍ اجش فألقى التحية وخرج .. البواب الذي أردفه العجز والكسل المشوب لشدة نعاسه لم يسمح له بالتحقيق في امر الخروج ..رد عليه السلام متثاقلا وعاد

يغط في نومه.. أسرع حامد لمسكنه مع باريان الذي وجده أشد مايكون قلقا عليه فهو لم يره منذ يومين أمردين..
وجده يهمّ بالخروج..
_باريان : اين انت ياحامد ؟.. انا قلق عليك جدا .. اخبرني اين كنت وماذا كنت تفعل؟.. وهل وجدت لك سكنا آخر؟.. طيب أعلمني ودلّني لكي أطمئن عليك ..
_حامد : لا ابدا .. ساحاول ايجاده اليوم لكني كنت مع صديقة لي تعرفت عليها أمس هنا وزوجها مسافر فدعتني لبيتها و... انت تعرف ما أعني..
_باريان: ايها الشقي الملعون.. هنيئا لك.. لكن المرة القادمة طمئني عليك.. بالمناسبة لقد وجدت لك عملا عند ابو باهر .. أسترح الان وسنتكلم في الامر لاحقا ..
ودع باريان حامد..وحال خروجه أتصل حامد بسعاد وأوصاها مرارا ان لاتغادر مكان اقامتها ابدا لحين ولوجه عليهم هي ووالدتها بعد الظهر بعد أن يأخذ قسطا من النوم لبدنه المرهق..
تسائلت سعاد : (كيف جرت الامور التي غابت عن أحداثها هي؟..فانا قلقة جداجدا),, طمئنها حامد جيدا وقال لها : (نامي مرتاحة .. فعلاج والدتك أصبح امرا ميسورا مقدورا عليه ..) طمئنها حامد وعاد لنفسه ..
أخرج من جيوبه المال وهو يحاكيه:
((ايها المال اللعين كيف تتمكن لهويتك من احكام الموت والحياة والذل والعز والمقام الكريم والبؤس السقيم..كم تمنيت رؤيتك حتى في منامي.. لكنك كنت تأبى مغادرة القصور الشامخات إلا لإمثالها.. لكني تمكنت منك بقوة فكري وشدة إعصار اصراري ..سوف لن تغادرني إلا وانت عائد لي اضعافا وهذا وعدٌ قطعته على نفسي الذليلة اياما في البعد عنك ..
عدّ المال فوجده قد جاوز الخمس وخمسين بألفين دولارا تقريبا ..أستلّ منه كل ما فوق الأربعين الفا.. أي قرابة السبعة عشر الف دولاراً.. وخبئ الباقي في مخبئ شديد التمنع..وحاول النوم ..
الا ان النوم كان حلما شديد المراس الان .. فلم ينتظر..أخذ المبلغ المستّل وذهب الى سعاد .. وجدها هي الاخرى المتأرقة قلقا فكان جيدا انه قد أتى في وقت مناسب ليتصرف بما لايسمح لموقفٍ ما أن يهدّ كل شئ لقلق سعاد

وانهيارها المحتمل..حضنته حال رؤيته ليتبدد عند حضنه كل قلق..حضنها حامد حضنة ماكرة تتجاوز العطفة الحنّاء التي تفتقدها سعاد بشكل كبير.. كان ذكيا ..فأمالَ قلب سعاد بأنه كان دائما يُفهمها انه كان قريب منها جدا وحال أحتياجها له دون مقابلا.. أو طمعاً في جسدها الفاتن حتى.. فكانت تزداد به تعلقا وهي ترى فيه الشهامة والثقة البارزة الوثقاء به..
أخرج من جيبه المبلغ (سبعة عشرة الف دولارا) وقال لها (هذا هو المبلغ الذي وجدته عند هذا الخنزير.. الذي هو حق عذراوتك وسبب علاج أمك وبأضعافٍ مضاعفة ... بكت جدا سعاد وهي لاتصدق انها قد تمكنت من ضمان علاج أمها ... فقالت..(ابدا هذا لن يكون.. سآخذ نصفه والنصف الكثير وتأخذ انت الباقي فهو حق لك ولتقبل به)..الا ان إصرار حامد وموقفه الشهم الذي رفض إلا ان تأخذه كاملا..وربما .. لغاية في نفسه .. فهو قد أشتراها ذاتاً ووجداناً بهذا الموقف وليكون في رأيه رأيٌ اخر لعمل آخر مستقبلي سيجده جديدا ..أوصاها بعدم الذهاب لتلك المنطقة نهائيا خوفا من ان يراها أبو واصف الذي توهمت انه مازال حيا .. وقال أنه سيعود لاهله بعدما أُفرغت جيوبه..هكذا أفهمها وهي التي لاتشك لحظة في حرف كلامه..وانها ستأخذ أمها لعلاجها وتتصل به إن أحتاجت اي شئ وأنه سيتصل بها قريبا عاجلا.. خرج من عند سعاد وهو مرتاح لكل شئ فلقد جرت الامور في كل المنحنيات التي رسم لها نجاحا وربحا أكثر.. وكأنه لم يكن قد قتل ابو واصف بدم بارد..وانما بدمٍ ساخن يرضي نفسه التي ارادت

أرضائه ربما بأكثر من المال أنتقاما من ذلة عمره الطويل من أمثال ابو واصف..
وكأنه يشعر الان قد حظي بالبداية التي يريدها لمشواره الزهير الذي وجد انه اصبح لغده قريبا ..فهو لديه مع الاليات الداعمة لكل امر يقوم به وسيقوم به وهو رأس المال المحترم الذي حظى به..
عاد لسكن باريان لكن هذه المرة نام .. ونام.. بعمق مطمئن .. جاء باريان وأيقظ حامد المثقل برطل من طحين النعاس المالح ..
(أستيقظ يا أخي فانا لم أفهم منك شيئا منذ وصولك ولحد الان).. أستيقظ حامد متبادلا الكلام مع باريان
_ حامد : (حسنا ..حسنا .. انا جئت هنا للعمل..لا للتفسح..فقد أتعبتني كوابيس مشفاي تدور في رأسي بموال واحد دون ادنما تقدم)
_باريان : (لقد أردت العمل وهو ينتظرك .. لكنك تتهرب..)
_حامد : (لا أخي .. شكرا .. فأنا لدي أسلوب للعمل هنا.. وأشكر لك سعيك .. وكذلك حسن ضيافتك لي ..وسأنتقل غدا لمكان آخر..)
_باريان : (حامد ..ارجوك انا من البداية لم أكن أقصد أن أجد لك مكانا الا تخوّفاً من إنك قد لاترتاح بهذه الغرفة البسيطة ..وبما أنك وجدت فيها راحتك فأرجوك ابقى هنا ..)
_حامد : (لا شكرا.. بصراحة هي صغيرة جدا عليك وحدك ..أما انت الان فأذهب لعملك الذي لايستغني عنك وسأتجول انا في اروقة المدينة الحمراء ليلا..لأروّح عن نفسي قليلا ..)
_باريان : (كما تريد أنا مغادر الان لعملي....)
_حامد : (الى اللقاء أخي ..)
نهض حامد ونفض عن عينيه ملح النعاس الذي غرق فيه منذ الصباح وحتى الليل..نظر الى نفسه في المرآة ..لم يجد في صورته آثار ذنب أقترفهُ أو يدقُّ في أعمق نقطة فيه بقدرٍ بسيط.. ولكن كان النصر الذي رآه قد حققه على نازيات آلآم سنينه يُهدّئ فيه كل ذنب لايجده..
أرتدى ثيابهُ المنتظرة له وكأنها تمثلهُ حتى إن لم يكن لها مرتدياً..
حاول إيجاد بعض مكاتب الوساطة العقارية ليجد له شقة مفروشة في أحد الاحياء الثرية والبعيدة طبعا عن حي جريمته التي يجدها نصرا على هزائم

سنينه..ببساطة طبعا عثر على هذه الشقة وبمبلغ كان من الممكن ان يشتري به شقة صغيره في أحد احياء بؤسهِ التي يراها ولّتْ دون رجعة..
أنتقل اليها باحترام كبير يبجلّه له الوسيط العقاري (والعاملون معه وكل من كان مارا بهذه المعاملة)..
أضطجع فريسة فراشهِ بآهات الزفير ..طرقتْ بابه بعد دقائق وإذا بها فاتنة شقراء ساحرة تعرّف نفسها بخدمة التنظيف.. والتمليس.. والتدليك.. وحتى الاثارة والاقامة معه إن شاء حامد.. ولكن حامد بكل شدة رفضها فهو كما قال لن يفكر فيما بين فخذيه حتى يحقق شيئا مما يصبو إليه.. وماكان قد جرى ليس الا البداية فقط..
أصبح الصباح عليه متوكئا شمسه البيضاء منذ الازل..قام بنشاط كبير أرتدى بعض الثياب الانيقة..توجه لقلب التعامل التجاري في المدينة..وكأنه أحد أهم الشخصيات فيه.. بقى لمدة يومين يتابع كل صغيرة او كبيرة فيه.. وكان في الحقيقة يتابع أشخاصا وليست طريقة التعامل.. تعرفَ للكثير منهم وهو يدخل معهم في صفقات بسيطة نسبة خسارتها المفتعلة لاتعني شيئا لما يخطط له.. وكانت تعني الكثير للرائجين حد الخمار فيه..
أنتبه اليه بعضهم وأوجسوا في نفسهم إن هذا الغشيم المتغمس بغشامته يجب ان لايفلت من عصارة أيديهم القابضة بقوة.. وهو كما آخرين كثيرين مرّوا ليتقيئوا مازاد عن حاجة جيوبهم..لكن حامد بيّن انه مختلف عن هؤلاء بأنه داجن مملوء باللحم الطازج أكثر بكثير مما رأوا..
ولاحظ إن أكثرهم أهتماما ومحاولةً للتقرب أليه يُدعى (أبا سعيد)..
بيّنَ أنه غير مهتم به .. وانه مهتم بتعامله معهم جميعا مما زاد في حده لهفة (ابا سعيد) له..
أستمر الامر لأكثر من أسبوع ..كان لاينفك فيه يتسائل عن سعاد وأحوال أمها التي تقول إن أمها أفضل من الصبايا صحة وحالا بعد رُعيّة المال لها.. وهي فرحةً جدا ولن تنسى هذا الفضل لحامد..
مرّ اليوم الثامن لدخول حامد التعامل التجاري..وبينما هو منغمس في هذا الكرنفال الذي يتصبب توقداً..وبحركة فجائية كانت مدروسة من حامد طلب من (أبي سعيد) المراقب له والمحترق للتعرف عليه..طلب مبلغا بسيطا من المال لإحتياجه له لأكمال عملية تجارية لم يبح بها فهو كتاجر لايمكن البوح

عن تجارته لكي لاتضيع بركتها أو هكذا أفهم حامدٌ (ابا سعيدا).. وانه سيسحب غدا من المصرف البنكي المبلغ ويعيده له.. ما كان القصد من هذه الحركة الا كسر حاجز عدم تعارفهما عن قرب.. فيجعلهما مقربين لبعضهم..طبعا لم يتردد لحظة ابو سعيد عن أعطاء حامد مايطلب, وماكان من حامد الا أن أخرّ المبلغ لليوم التالي قاصدا..وأعاده اليه مشفوعا ببعض الربح الذي رآه ابو سعيد جيدا وجميلا,, ومن باب المجاملةً .. رفض ابو سعيد الربح.. الا إن اصرار حامد على الامر أضطر لقبوله..

طلب من أبي سعيد قبول دعوته لعشاء تعدّه زوجة حامد (الوهمية) وفي عنوانه الذي وضّحه حامد له..وقبل أبا سعيد بسرور دعوة حامد التاجرالذي لاتهمهُ أية خسارة عما يتمتع به من ثراء..

أتصل حامد طبعا بسعاد وطلب منها تمثيل دور الزوجة الوفية وأم البيت النادرة الطباع..خصوصا إنها كانت تجيد الطبخ بأنواعٍ مختلفة وبصورة ماهرة وبإحتراف شهي.. فكل من هم بشاكلة طبقتها يجيدون الطبخ وأمور البيت الاخرى بمهارة علّمتها إياهم ظروفهم الصعبة ..

حضرَ أبا سعيد في وقته, وأنبهر بشقة حامد الفارهة, وبطعام وأنارة جمال زوجته المحلاة بأجمل الحلّي الغالية التي لم يكن ليتصور (زيفها) فحامد من كبار التجار وكل مايراه لايحتاج ليسأل عن حقيقته ..وضع حامد (ابا سعيد) في كبسولته التي قدرها له ..ورحل ابو سعيد فرحا سعيدا بتشرفه بمثل هكذا شخصية ربما تفوقه ثراءا..

ترك حامد الامر أياما تجاوزت الاسبوع ولكي ينسى من تذكّره في السوق ويتوهمون أنه مسافر..أو عابر لم يستطع أكمال الطريق بعد ما قضمه أحد التجار الذين لايوفون فكل شئ في هذا السوق التجاري الكبير على مستوى الاقليم هو مبهم..

أتصل ابو سعيد (بحامد) الذي لقب نفسه (ابا خالد) ليطمئن عليه فأخبره (ابا خالد) بأنه بصراحة مشغول بأمر تجاري الربح فيه يفوق وفرة الثلج فوق جبال الالب البيضاء.. أو كما قال.. رفّ قلب ابو سعيد للامر فضولاً..

وطمعاً..طمعاً غريزياً أحبكته فيه ظروف التعامل التجاري سعياً الى الربح بأي شكلٍ كان..

_ابا سعيد : (طيب .. وماهو الامر؟؟.. ام انه كالعادة سرا.. يا أخي شاركنا فيه.. أن كان في الامر مجالا..وانا حاضر لاي شئ).. دقت الكلمات قلب (حامد).. وكأن صنارته قد غمزت معلنة عن صيد ثمين .. واي صيد..

_حامد : يا أبا سعيد سأرى أن كان في الامر أمكانية إدخالك به .. لكن .. لا أريد لأي مخلوق أن يعلم بذلك ولاحتى أقرب الاقربين اليك..و في السوق خاصةً.. وذلك لكي لايشمّوا للأمر خبرا فيتصارعون عليه ونضيع بينهم..

_ابا سعيد: أطمئن يا أبا خالد فانا أعيش الكتمان منذ نعومة اظافري في هذا السوق الغابي فلايرحم ضعيفا ..او يحنُّ على مسكيناً..

_حامد : هل تدرك الامكانية في الموضوع ام تريد أن أوفرها لك من حر مالي ؟؟! ..

_ابا سعيد : المال موجود .. وبأي تقدير تقدّر.. أنت تأمر..وأنا انفذ,,

_حامد: ساتصل بك قريبا ..كن جاهزا

_ابا سعيد: شكرا لك ايها النبيل..

_حامد :الشكر لك ايها التاجرالحقيقي.. فالتجارة هي جرأة لا تخشى الخسارة..

أغلق سماعة الهاتف وهو يشعر بغبطة الحظ الكبير الذي ابتسم له بعنوة المال الذي حصل عليه بقوة عقله, وأصرار علمه, وذكاء عقل فريضته..

أتصل حامد في اليوم التالي باكرا بأبي سعيد..

_حامد : كيف هي الصحة يا ابا سعيد .. هل يمكن توفير مبلغ (مائة وخمسون الف دولار فورا..) وان تأتيني لشقتي؟؟؟.

_أبا سعيد : المال موجود وخلال ساعة سأكون عندك وبصحبة المال..

أسهمت كلمات ابا سعيد في إسعاد ارتياح حامد بكل فرح وأستعد للمقابلة الكبيرة .. والمهمة بالنسبة الى حياته المستقبلية ..

جاء ابو سعيد تماما في الموعد المحدد وهو مرهق وتبدو عليه علامات التعب والعرق يندي من جبينه كقطرات الندى التي تقبل الاوراق في صباح يوم بارد.. رحب به حامد المتانق وأدخله بيته وطلب تحضير عصير الضيافة من زوجته المزعومة سعاد التي لم يمسَ فيها خيطا من ملابسها

ابدا الامر الذي كبّره في عينها كبر الفارس الشهم الذي رسمته في بالها من بعيد..
_ابا سعيد : ها قد أحضرت المبلغ...
_حامد: (سلمت يداك..حسنا سنذهب الان للقاء شخصٍ ما...سنشتري منه احدى البضاعات المربحة..والتي أستوردها بسعر خاص لنا .. صحيح انها مشابهة للماركة الاصلية لكنها في حقيقة الامر مغشوشة.. اي ليست أصلية.. لكن بتقليد جيد).. قال كلماته وهو مستقين ان هؤلاء التجار ليسوا الا أسرى الربح الكبير وليست مهمة الطريقة.. أو نزاهتها كما ينشرون في كل مكان لتلميع اسمائهم بين عالم بسطائه الفقير..
وفعلا كان لكلمات حامد على ابي سعيد صدىً محمود..فلقد سال لعابه لها بشكل تتغلغله نسمات قلق من عدم التمكن من بيعها خشية ان تنكشف ..لكنها كانت نسمات لم تقف أمام عاصفة ابا سسعيد بربحها الجيد والسريع..
لم يترك حامد مجالاً لأبي سعيد ان يقلق..فهو كان قد ضمنَ بيع البضاعة وبسعرٍ أقل من سعر سوقها لانها كانت أصلاً بضاعة حقيقية وبماركة أصيلة أصلية.. كان قد أشتراها حامد بمبلغ مائة وخمس وثمانين الف دولار.. دفع منها عربونا ..خمسة وثلاثون الف دولار..وأخبر البائع ان يتركها له في المخازن لحين اكمال المبلغ له في اليوم التالي..
أتجه حامد وأبو سعيد الى إحدى المخازن الكبيرة..فرأى أبا سعيد البضاعة ففرح بها وهو يقلّبها ويكيل المديح لمن أتقن تزييف ماركتها ..او كما ظنَّ.. فهي لاتختلف عن الماركة الاصلية..أخبره حامد ان سعرها هو (مائة وخمسون الفا فقط)...اي بسعر يقل عن سعرها الحقيقي (بخمس وثلاثين الفا) التي كان سبق وانه دفعها عربونا للتاجر الذي لم يره الا عن طريق موظفيه الذي لم يكونوا ذوي بال بالكيفية الحوارية التي تدور بين حامد وشريكه والتي لم ينصت لها أحدا.. المهم لمن يريد ان يحمل البضاعة ان يُسلّم مبلغها كاملا ولتذهب البضاعة الى اي مكان.. اما المخزن فهو مجرد قاعة كبيرة لخزن البضائع لبضعة ايام لاي شخص او تاجر قُبيل تصريفها

السريع جملةً او دفعةً واحدة, ويمكن ان يخزن فيه اي شخص بضاعته مقابل أجر يُحسب بيومه...
دفع ابا سعيد المال.. وهو يرى البضاعة الكبيرة تُحمل بشاحنات الى مكانه الخاص..ودع حامد ابا سعيد وأقفل عائدا الى شقته ينتظر ما خطط له بعد ايام..ولانه حسب تقديراته يجب ان يأتي تطبيقها العملي منذ اول يوم, خوفا وتحسبا من اي تحذيرٍ قد أتخذه ابا سعيد قبل قدومه اليه ..فهذا اول تعامل له مع حامد.. وإن كان بلهفة..
مرت ثلاثة ايام .. رنّ (ابا سعيد) الهاتف (لحامد) وهو يكاد يفلت لسانه منه مخدعه راكضا لحامد فرحا وعجبا بسرعة تصريف البضاعة..فلقد باعها كلها بربح وصل الى أكثر من عشرين الف دولار..وهو يمدح عبقرية من زيّف هذه البضاعة بتلك التقنية العالية.. ويتوسل حامد ان يجد له كرة اخرى..
أصاب حامد في صدره إرتياحا كبيرا.. فلقد أجهّزَ على قلبه (القَلق) مرغما.. فهذا الربح كان من مبلغ ماله الذي خسره فيه خمسٍ وثلاثين الف دولار.. فكان على المحك.. وكان هو ينتظر اتصال ابا سعيد.. فجاءت له البشرى .. قال حامد بتثاقل مصطنع بأنه سيحاول الامر مادام انه قد وجد فيه أبا سعيد ربحا.. فهو يريد له كل الربح.. وانه ليس له في هذه الصفقة ناقةً ولاجملاً .. فهو مترف ثري..وكما كان يُفهم ابا سعيد.. ولكن شريطة التأكيد على سرية الموضوع الذي أقسم عليه أبا سعيد بانه لن يخرج عن شفتيه الا لقلبه وكانت توسلات أبا سعيد به قد طمئنت قلبه.. ليجد إن الوقت قد أزفَ ليضغط على زر تنفيذ الخطة التي رسم لها بحبكةٍ فنيةٍ تقنيةٍ كبيرة الحذر.. ويبدو إن كل خيوط نسيجه تمت بذكاء لم يتصوره حامد نفسه..
مرّ يومان .. أتصل حامد بابو سعيد يسأله ان كان بالامكان تدبير مبلغ (250) الف دولار وهو يتوقع إن ابا سعيد قد لا يتردد..خصوصا اذا كان

المبلغ ضمن الحدود..وأن ابا حامد سيأتي متلهفا مطمئنا ولايكون في باله الا الاطمئنان التام..
لم تمضي ساعات حتى أتى الظهرُ بحصان العصر.. لمّ ابو سعيد المبلغ واستدان ما لم يكن بحوزته نقدا من آخرين ودبّر المبلغ بنفس اليوم..
حضر لحامد المنتظر أنتظار الذئب لأقتراب نعجته من الاعشاب المختبئ خلفها .. دخل ابا سعيد الشقة ولكن هذه المرة كانت خالية من الزوجة المزعومة سعاد..أحضر حامد شرابا لم يكن للحظة لأبو سعيد ان يشك بإمره ..ولكنه كان في الحقيقة آخر شراب يمر عبر جوف أبا سعيد الى مريئه.. فمعدته..
فجأة صرخ ابا سعيد عن آلآما شديدة مزقت بطنه وأشلّت عنده كل مفصل وحامد يتفرج عليه بدمٍ بارد دون ان يحرك فيه ساكنا حتى انه أستغرب نفسه كيف آل به المآل أن يصبح بهذه القسوة العمياء دون ان يهتز له منبض..
سقط ابا سعيد على الارض وأي ارض شقة حامد التي لايسأل فيها اوعنها احد. وسيكون له مطلق الحرية الصمّاء لإخراج جثته متى يشاء.. وكيف بشاء..
أخذ المال فرحا يرقص معه وبحركات لا إرادية هستيرية أيعقل ان يكون الامر قد انتهى بهذا المال بين يدي التي أضناها في كل دقائقها تعب آلآم مصرف الدم اللئيمة حد الدناءة المذلّة .. تعثر بجثة ابا سعيد فسقط بجانبه .. نظر اليه... والى عينيه الشاخصتان للاعلى والى هذا البدن الذي لم يعرف ابدا ذلةً أو حاجةً أوفاقةً..وإلى يديهِ ورجليهِ الغير متحركتان.. والى كل اعضائه الساكنة دون حراك .. كيف كانت هذه الخلايا وأجزاء هذا الثري الثدي في نعيمها وأسترقتْ من كل لحظات الزمن العادل لها كل مايمكن من نعيم .. يالنزيف السعادة التي عشتَ بها..ويالبؤس حرماننا..
رفع حامد يدا ابا سعيد المثقلتان بقوة الجاذبية بعد أن فقدت ما يحركها من عضلات إراديا وقال لها .. ايه ايتها اليد.. كم أستغرقت سنينا تعدين رزما كبيرة من الاموال الطائلة .. وكم سرى بين يديك القلم طائعا ليصهل بأسانيد ملكياتٍ لعقارات متراكمة تحزُّ ظمئاً في عيون ايتام الفقراء

والبسطاء لحلمٍ يراودهم ان يكون لهم سكنا خاصا يحتوي بؤس جوعهم المفضوحَ بلا جدران..
وكم تمادى بين ثلاثية أصابعك القلم مطيعا لينزلق مسرعا على دفاتر الشيكات فتحول تلك الاقام الى نقودا بلحظات ..ها أنتِ الان أسيرة قبضتي..أتمعن في خلجات أوردتك التي ماكان لنا ان نطاول فيها الا التقبيل ذلاً..
ثم أمسك رأسه بفكّي أكفه وناده هل كنت لتمنحني من عطاء مساحات ثرائك أنتباها؟؟..
ثم وجد لنفسه الحميمة بخلجات الانتقام المستعرة ما يُبرئها تبريرا فقال بوثوق أبلج :(لقد وجدتُّ أنا ما وعدتُ به نفسي حقا من مال وفير.. فهل وجدتَ أنتَ ماورائية اساطير الموت؟؟!..فلتُسعد بها.. أنت بما ألتَ.. وأنا بما حظيت بشجاعتي..) وأنشد يقول
بشجاعتي صَيّرتُ ليلي مُصبِحا **** إنّ الشجاعة أن تكونَ الوقحا
وكلّنا يُدرك إنّ البغال وحدها **** تتحملُ ضربَ السياطِ .. فتُصفِحا

والان... لأتدبر أمر اخراج الجثة قبل ان تبدء رائحتها النتنة بالتعفن في أرجاء هواء الغرفة ..وكان قد أعدّ أكياسا كبيرة للفّه بها وتعبئته بها بطريقة غير ملفتة للنظر ومن ذا الذي يشك في هذا التاجر المحترم...حمله ودفع به لصندوق سيارته الفارهة التي أستاجرها وسار به لمكان بعيد في عراء البلد وعندما تيقن انه لا أحد يتبعه دفع به بعيدا بين أحراش جانب الطريق وركب سيارته وعاد مسرعا بعد تأكده التام من إن لا احد شاهده ابدا ..
عاد لشقته وهو فرح بكبر ما أمتلك من خزينة مال .. أمتد على الفراش وتذكر مرة اخرى قول شيخ حارته من جديد : (كل شئ قسمة ونصيب وقدر مكتوب.. ورزقُك لاتركض اليه وتتعب لاجله... لانه سوف ياتي هو اليك.. لأنه مقدراً لك منذ الأزل).. ايُّ مُقدّرا هذا ياشيخ ومكتوب؟؟.. أيُعقل تقدير هذا الرواق لي وانه كان سيأتيني لولا ذكائي وشجاعتي وقدرتي الكبيرة على الاقدام عليه فصار ملكا لي..لقد أقتنعتْ من قبل ان هذا كله ليس الا كلام يصبّرون فيه الفقراء لكي لا يحاولوا التجاوز على اسيادهم الاغنياء الذين قد قدّر لهم القدر كل السعادة والمال الوفير..وكما يقولون..

وقدّر لنا ان نقبع في خنادقنا خائفين وابلَ الرصاص المحاط بنا من كل جانب... وبأي شعار كان .. ديني .. قانوني .. ادبي .. أجتماعي .. وغيره من اساليب الاسقاط بنا بالضربة القاضية وهم يتعرشون كرى الثراء..لكنني فهمت المعادلة متاخرا وللاسف.. المهم أني فهمتها ولا لإحدٍ من فضلٍ عليّ.. إلا لذكائي الذي أطاح بالمعادلة وتجاوز غشاوة سحر الكمات التي يدفعوننا بها عن صلب قلب الحقيقة ..

عاد لشقته..أستلقى على فراشه .. وتذكر صورة قتيله الذي أنهى حياته بيديه...والذي لم تهزّ فيه نبضة..وقال محدثا نفسه

(لماذا تعيشون انتم كل الرفاه ونعيش نحن كل تعاسة..؟؟ ثم مالذي يفرقكم عنا ونحن كلنا منحدرين تطورا.. فتمسكون بكل جلابيب مصائرنا.. عاصرين ..؟؟

نعم فجميعنا كبشر وكائنات ننحدر من سلالة واحدة وكما تقول نظرية التطور في حقيقتها العلمية ..وليس كما تُفهم (نظرية التطور) مخطوئةً بقصد الاستخفاف ومن ثم سحقها لانها لاتتناسب وما يعُجب الزُرّاع.. ..

ثم استرسل قائلا (أولا أن اوراق النظرية لاتقول إن أصل الانسان قرد كما يُراد منها تشويهاً ؟.. وانما تقول ان الانسان والقرد ينبعان من مصدر واحد.. أي يعودان الى مصدر واحد بالاصل.. ثانيا تقول النظرية ان الكائنات الحية تطورت من خلية واحدة وعبر الاف بلايين السنين كما هو عمر الارض المقدر بحوالي ستة مليارات من السنين.. وبالتطور البيئي لتلك الخلية التي تقدمت ليست بالصدفة المغلوطة.. لان الصدفة تأتي بمحض فعل زمني سريع .. ولكن اذا تكيف الكائن الحي المتطور لبيئة ما , وعبر ملايينا من السنين ومليارات, فهذا يؤدي به الى التطور الى أعلى مايمكنه كرد فعل حيوي ..

أي ان لها اصل واحد هو الخلية البسيطة (البروتبلازم) ثم ظهر الحيوان الدودى ثم الشوكيات ثم النشويات ثم ظهرت صور جديدة من الحيوان دل وجودها على وقوع انقلاب خطير فى سير الحياة واصبح لهذه الصورة حبل متين تدرج بواسطة التطور الى تكوين الفقار (العمود الفقري) ، فوجدت الفقاريات واللافقاريات . ثم نشات البرمائيات كالضفادع ثم تدرج سلم

التطور من البرمائيات الى الزواحف كالحيات . ومنها نشات الطيور وذوات الثدى . ومن ذوات الثدى نشات البشريات.. كالانسان والقرود..
ان الانواع وجدت على الطبيعة متأثرة بالظروف الخارجية المحيطة بها ، وانها (اى الانواع) اخذت تتطور عن طريق الصراع وطلباً للبقاء..وان الطبيعة كانت تُبقي الاصلح وتزدرى غير الاصل وهذا هو ما يسميه العلم مذهب النشوء والارتقاء ب(الانتخاب الطبيعى) اى اختيار الطبيعة لبقاء الاصلح وانقراض غيره من الدنايا..
وتعمم هذا التطور ليشمل نوعى الكون وهما : المادة غير العضوية والمادة العضوية بانواعها الثلاثة : النبات والحيوان والانسان..
وكما ان اهل المناطق الحارة جدا يتمتعون بصفات وبلون بشرة وبملامح تختلف كليا عن اهل المناطق الباردة جدا,تكيّفا مع مناطقهم,لكنهم يتمتعون بالاساس الذي انحدروا منه,او كما نرى الدببة او الذئاب القطبية تختلف بلونها الابيض الناصع عن دببة أفريقيا وذئاب الصحارى, وهكذا..
ودليل ذلك ان جميع الكائنات الحية متطورة لدرجة ما يجعلها تملك الحواس فنجدها جميعا تبصر عن طريق العين, وتسمع عن طريق الاذن, وتأكل عن طريق الفم. وتلفظ عن طريق المخرج..وهكذا.. وغيرها ..
هذا التشابه الفريد الموّحد يدل على انها تبذّلتْ من مصدرٍ واحد .. ومن ثم تآلت لما هي عليه.. حتى اننا الان في زمننا هذا الكثير من الاحياء التي عبارة عن أقل من خلية ..او خلية واحدة.. او بضع او اكثر حتى نصل بها الى تطوراتها حسب بيئتها المتكيفة بها..ومثلها المائية ومن ثم البرمائية ومن ثم البرية..
وخير دليل أن الكائنات أتتْ من خلايا منقسمة متطورة, فأتت معظمها الغالب من نسلين يكمل بعضهما الاخر هم الذكر والانثى ..
ناهيك عن ما يّطلق عليه غالبا بالعيب الخلقي وهي تتماثل بالجنس الثالث بما لايُصنف تحديدا..ليتم بعضهم ببعضهم الاخر.. لتعود الى طبيعتها كما الخلية الواحدة (الاولى) التي تناشئوا منها. في عملية وراثية متكاملة..توارثتها خارطتهم الجينية.. وتطورت الكائنات لتكون الشكل الذي عليه لحد الان..

فمن المستحيل ان تجد كل العلماء وبما فيهم اصحاب الاديان ان يقرّوا بأن هيئة البشر الحالي هي نفسها من قبل مئات الاف السنين..
وهذا ما وجدناه في المستحاثات (الأحافير) في الأزمان القديمة ذات صفات بدائية بينما مع تقدم العصور وجد العلماء أن المستحاثات أكثر تطوراً ورقياً، وهذا يدل على أن تلك الحيوانات الراقية (التي عثر عليها في الأزمنة المتأخرة) قد جاءت نتيجة لتطور تلك ذات الصفات البدائية (التي عثر عليها في الأزمنة المتقدمة).
ومن ناحية أخرى فأن جميع الأجنة متشابهة في أدوارها الأولى وهذا دليل أستثنائي على أن أصل الكائنات الحية واحد...
ومن ثم اخيرا وليس اخرا..تلك الزائدة الدودية في الإنسان - التي لا دور لها في الانسان ابدا .. لكنها ذات دور فعال ومهم جدا في القرود في هضم النباتات.. بل لايمكن لحياة القرود من الاستمرار بدونها..
كما ان العلم الحديث أثبت بصورة قطعية بأن الجينات الوراثية للإنسان تشترك جينيا مع الشمبانزي بنسبة 99%، بل وبنسبة 100% مع القوارض.. الفئران..
اما الانسان فهو ليس الا لكائن الاكثر تطورا مما آلت اليه الحيوانات الاخرى بتميزه بالدماغ المتناهي تعقيد الخلايا فجعلت منه ذكيا يمكّنه من التحدث وتطوير احتياجاته بما يكون له سهلا وكميلا..
وهذه اللغة دليل اخر من دلائل التطور والارتقاء فهي دليل على انها حلبة أكتشاف واختراع متطور .. لذا نجد كل رقعة جغرافية تبتدع لغتها الخاصة..
حتى العلماء ممن يعتنقون الاديان والغيبيات يقولون على لسان رجل واحد ((أنا مؤمن، ولذلك لا بد لي من الإيمان بقصة التكوين الدينية المتوارثة ... ولكن كشخص عالم متعلم تمنيت لو اتبعت نظرية النشوء والتطور لما أجد فيها من علم ثابت لأسس الرصينة ..))...
وراهنية تأثير هذه النظرية العلمية الرصينة للتطور فيما قدمت للبشرية..
فمثلا..لا يمكن تصور اللقاح ضد الفيروسات والبكتيريا لولا ها... نفهم الآن أن مسببات الأمراض تقاوم الأدوية بسبب تطورها, وعلى هذا المعطى يجري العلماء أبحاثهم... لولاها لنفدت المضادات الحيوية ...

حواسب ‘التعليم الذاتي' - المغروسة في السيارات والأجهزة - تخزن معلوماتها في عقلها الإلكتروني وفق مبادئ التطور والارتقاء, فتعيد ترتيب معلوماتها حسب الأهمية وتعدم المعطيات الفائضة مع مرور الزمن...
وبفضل هذه النظرية نجرؤ على الحديث عن أن الرجل و المرأة حقا يختلفان. منذ السبعينات كان هذا من قبيل المحرم .كان الاعتقاد السائد أن سلوك الرجل أو المرأة مكتسب. غير أن الأبحاث التي تأسست على مبادئ هذه النظرية أثبتت أن هناك فعلا اختلافات بينهما على مستوى الجسم والدماغ
ولو لاحظنا الإكتشافات الجديدة التي أعلنها العلماء الأمريكان في جامعتي (كنت وكاليفورنيا بالولايات المتحدة)، بخصوص نظرية التطور(ولاحظ كيف اننا ننتبه بشكل كبير للاسم الرنان لكونها جامعة غربية ونؤمن بما يقولونه سلفا.. وطبعا هذه حقيقة يعلمها القاصي والداني فالكل يعلم بما يقدمونه من صدق وقوة البحوث.. دون الاستخفاف او النقد او التسفيه بها.. ولا حتى المحاولة .. وليس كما الحال فيما لو كانت من احدى الجامعات العربية المتلقيّة كما هو الحال دائما.. او من احدى العلماء او الاشخاص المتجذرين بهذه الارض دون نيل او زيارة لأولئك االقوم حينها سيكون كل ما يقول او يكتشف او يبحث هي اهازيج لخلاف متخلفي القوم..
المهم هذه الجامعات قالت بماذا؟؟ فلقد قالت احدى القنوات الفضائية المعروفة والمشهورة جدا بنقل الاخبار السياسية قبل غيرها لدى الانسان العربي بما تزعمه دائما من حرص متباكي على حال العرب..وتساءل البعض، هل أثبتت هذه الإكتشافات حقا فشل نظرية التطور كما قالت تلك القنوات.. وجاء فى وكالات الأنباء والصحف؟
القصة أن هذه الفضائية نقلت نبأ الإكتشافات العلمية الحديثة الخاصة بالأحفورة "آردي"، والتي أعلنتها جامعة كاليفورنيا ببيركلي بالولايات المتحدة بعد دراسات مستفيضة منذ عام 1994م. لكن القناة الفضائية لم تتوخ الدقة والأمانة الواجبة عليها , ولم تراعي في ذلك اعتبارا.. فتسالقت ألسنتها لتشويه معنى الإكتشافات العلمية الجديدة وبطريقة رخيصة.. فقالت كذبا إن العلماء الأمريكيين قد أثبتوا فشل وسقوط نظرية التطور . وهذا محض إفتراء وتزوير للحقائق...

وبسرعة قامت القناة بالإتصال باحدى الشيوخ لكي يدلي بدلوه، ولكي يقوم بعلمه الغزير وتخصصه (في بول الناقة وجناح الذبابة) بتوضيح معنى هذا الخبر الهام لملايين المشاهدين... وهم فاتحين افواههم يريدون منهم ما يثبت ماهم عليه ..ليفتينا بملئ شدقيه ويقول، أن الكشف الجديد قد وجه صفعة قوية للنظرية..!

هذا الشيخ لايفهم أصلا " تطور". ولم يقرأ في حياته سطرا واحدا فيها.. ولا يعرف الفرق بينها وبين (الدولمة) ويعتبرها نظرية لا تساوي الحبر المكتوبة به. الم يكن من الأجدر، أخذ رأي أحد المتخصصين في نظرية التطور ، لشرح معنى الكشف العلمي الجديد للمنتظرين بتلغف ملهف..

ثم تناقلت الأخبار بعد ذلك، المواقع التي لا تؤمن بالعقل أو بالعلم والتي تهيم وجداً وغراماً بمدعين العلم ((والموحى لهم)) فلايستخرجونه خشية ان يُصيبوا علماء الغرب بالعمى!!!!. تُلقِّفَتْ وسائل الاعلام هذه الأنباء كأنها طوق النجاة الأخير العاصم من الغرق في لجة الجهل.. وتناقلتها على أنها إنتصار الإيمان على الكفر، والعرب علي إسرائيل...

الدين يأمر بالصدق... وهم بُراء من هذا الهراء.. الإيمان لا يثبت في قلوب الناس بالكذب والدجل وطمس الحقائق...

ثم قاموا بنقل الأخبار إلى قرائها بشماته وغل بالغ، يدعوا إلى الشفقة وكلها تؤكد سقوط نظرية التطور، وثبوت فشلها الذريع, هكذا حكموا، ببساطة متناهية دون دراستها. ودون أن يكلف أيّا منهم نفسه مشقة قرآءة الورقة العلمية التي جاءت مرافقة للخبر، وفهم ماذا تقول..

وهكذا انهالت العناوين الجرارة من مئات المواقع

((علماء أمريكيون يثبتون خطأ نظرية دارون في النشوء والإرتقاء – بوابة الصيادلة المبدعين.

العلم يثبت خطأ نظرية دارون – سات 2010.

كشف جديد يهدم نظرية دارون – الوطن

علماء أمريكيون يكتشفون دليلا يبطل نظرية دارون – إلخ.))

وهذا الذي كان هو لسانهم جميعا : ((بعد 15 عاما من الأبحاث؛ قدم علماء أمريكيون دليلا جديدا على أن نظرية داروين في النشوء والارتقاء كانت خطأ، وذلك بكشف فريق عالمي من علماء أصول الجنس البشري من

جامعتي (كين ستيت وكاليفورنيا) كشفت النقاب عن أقدم أثر معروف للبشر على وجه الأرض وهو هيكل عظمي بشري إثيوبي يبلغ عمره حوالي أربعة ملايين وأربعمائة ألف سنة أطلق عليه اسم "أردي".
وكتب الباحثون في تقريرهم بمجلة ساينس أن "أردي" واحدة من أسلاف البشر وأن السلالات المنحدرة منها لم تكن قردة شمبانزي ولا أي نوع من القردة المعروفة حاليا..
ويؤكد العلماء أن (أردي) ربما تكون الآن أقدم أسلاف الإنسان المعروفين، لأنها أقدم بمليون سنة من "لوسي" التي كانت تعد من أهم الأصول البشرية المعروفة...))
وعلق الشيخ الذي تم استدعائه على قناة الجزيرة.. بأن الغربيين بدأوا يعودون إلى صوابهم بعد أن كانوا يتعاملون مع أصل الإنسان من منطلق مادي وإنكار للأديان...فقال إن هذا الكشف العلمي الذي وجه ضربة قوية لنظرية التطور..لكن إن حديث الباحثين عن أربعة ملايين سنة أمر مبالغ فيه، متوقعا أن يكون عمر الإنسان على الأرض لا يتعدى أربعمائة ألف سنة تقريبا." لان هذا لايتناسب وما يكون منطقيا لماهو معروف ان عمر الانسان عندهم, وضمن المعتقدات الدينية التي ترى ان عمر الانسان لايتجاوز الاربعون الفا عاما.. واذا كان ولا بد فلنفرضها بعشرة اضعاف هذا الرقم....غفلة..
لكن.. الحقيقة ..أن ما تناقلته وكالات الأنباء عن دراسة علماء كاليفورنيا بخصوص نظرية التطور كان شيئا مختلفا تماما. فمثلا وكالة الأسوشيتد برس قالت الآتي:
(((أعلن "تيم وايت" مدير مركز أبحاث تطور الإنسان بجامعة كاليفورنيا ببيركلي بالولايات المتحدة أنه:
الإكتشاف الجديد يدل ويثبت على أن قرود الشمبانزي والإنسان قد تطورت منذ زمن بعيد جدا من نفس الأصل. وكلاً من الإنسان والشمبانزي ..قد تطور بمفرده بعد ذلك...
وان العظام المتحجرة المكتشفة منذ عام 1994م للمخلوقة الأنثى التي تسمى "آردي"، تبين أنها ليست جدتنا. لكنها أقرب شئ لجدتنا أمكننا الوصول إليه حتى الآن.

في فروع شجرة التطور التي تؤدي إلى الإنسان الحديث والقرود، وتقود إلى أصل واحد كان يعيش منذ 6 أو 7 مليون سنة...بالنسبة للمخلوقة "آردي"، من الرأس إلى القدم، سوف تجد قطعا عظمية لاهي تشبه قطع الشمبانزي ولا تشبه الإنسان... ويستمر "وايت" قائلا: لقد وجدنا كائنا كان يعيش منذ 4.4 مليون سنة، هو قريب جدا لما نبحث عنه...)))

علم التشريح يقول لا فرق فسلجيا بين البشر والقرود. ومراحل تكوين الجنين تقول الفرق ضئيل جدا. والجينات تقول تقريبا لا فرق. ودرجة مقاومتنا للأمراض واحدة. وأسلوبنا فى تعدد الزوجات والسلوك الإجتماعى واحد. وشراهتنا فى حب السلطة وتكوين الثروة وتزوير الإنتخابات واحدة."

وكان العلماء يأملون أن تكون "آردي" هي الجد المشترك الذي نبحث عنه. لكن أثبتت الدراسة المتأنية أن "آردي" ليست هي جدنا المشترك. إنما هي قريبة جدا من الجد المشترك.

ولو كانت نظرية التطور على خطأ ؟ فلماذا كل جامعات العالم بدون إستثناء، بها أقسام تدرس نظرية التطور وتقوم بأبحاث الماجستير والدكتوراه في فروعها المختلفة ولمئات الاف؟؟ فنحن اليوم لايمكننا أن نقوم بالزراعة المتقدمة، أو بمكافحة الحشرات، أو باستخدام طب الخلايا الجذعية, أو محاربة الأوبئة وتصنيع المضادات الحيوية أو الأمصال، إلا إذا كنا على علم وفهم عميقين لنظرية التطور..

هي لا تنطبق علي العلوم البيولوجية فقط، لكن تفسر لنا أيضا حركة التاريخ، والإقتصاد، واللغات، ونشوء الأديان، والنظم السياسية، والقانونية وتطورها. أي أن نظرية التطور.. أصبحت تستخدم في معظم العلوم والتخصصات الحديثة.

..نظرية التطور لم تقل أبدا أن الإنسان أصله قرد. الذي قالته نظرية التطور أن الإنسان والقرد من أصل واحد. ..اما "الإنسان أصله قرد" هي إدعاء أعداء نظرية التطور...أو أنهم لم يفهموا أن نظرية التطور تقول أن الإنسان أصله قرد.

ليس هناك خطأ أو دليل مادي واحد عثرنا عليه منذ نشر نظرية التطور حتى الآن، تثبت عدم صحتها. مثل العثور على عظمة فيل أو حيوان من

الثدييات مثلا، في الطبقات السفلى للقشرة الأرضية، حيث لا يجب أن توجد.
ثم ..لا أعرف ما دخل مولانا الشيخ بمثل هذه الامور..وهو الذي يؤمن بمركزية الأرض، وبأن عمر الإنسان على سطح الأرض 400 ألف سنة، وأن الشياطين تنام وتسكن فى مناخيرنا كل مساء، وعلينا أول ما نستيقظ أن نتخلص منها بالإستنشاق بالماء البارد ثلاث مرات؟ فهل مثل هذا الرجال يؤتمنون على مصائر الناس وعقائدهم لتتصرف بمصيرهم تصرفا تصريفيا تاما..
ثم أرسل حامد تفكيره لتزوال كل التحليلات.. فقال في فكره محدثا نفسه (أن تطور الانسان ورقيّهِ كان قد أنشئ فيه تنازعا لانشاء مجتمعات تحضّرية مبنية على اسس أخلاقية تطورت (ومازالت) لتكون له قوانين ودستورا وقواعد لتتناسب ورقيّه..
وقد أحس هذا الانسان وشعر إن الحياة قصيرة له جدا وتنتهي بالموت القادم لامحالة.. فلم يجد ان عقله يتقبل فِراق الاحباء والاعزاء عليه من افراد عائلته بالموت والى الابد.. ولانه امتاز بهذا العقل المطوّر بشكل كبير فيسمح له بمساحات شاسعة جدا من الخيال تؤهله لقبول كل الخرافات او الاساطير لما يتمتع به من خصوبة وتحليق في افاق بعيدة.. فأدعى ان الحياة لاتنتهي بالموت .. وانما هناك حياةً أخرى بعد الموت.. وهذه الحياة أبدية,, فتمسك جدا بتلك الفكرة خصوصا عندما وجد لها صدرا متلقيا مرحبا ومؤاسيا وعزاءا لكل من فقد عزيزا عليه بالموت.. وتجلّتْ تلك الحوادث بما يؤيدها علماء التاريخ والاثار من منقوبات تؤكد ان الملوك وأمثليهم كانوا يدفنون معهم خدمهم أو ثمين حاجاتهم ليتمتعوا بها في حياتهم الابدية من بعد الموت .. التي جاءت عزاءا ومواساةً وتصبيرا بان ميتهم انتقل الى عالم الحياة الابدية...
فكانت تلك الحركة للذين هم أبعد تفكيرا وحضورا..كانت لهم ارضا خصبة.. ليبنوا عليها ببناءات كاملة على هياكل موجودة أصلا لا تحتاج حفر اساسا لها .. فأوسعوا بالقول انما هي حياة تباريات لتنتقي حصاد العمل في هذه الدنيا ..

وليملكوا خالصة حياة من يؤمنوا بهم ويقتنعوا..فيتمنوا الموت ليلاقوا تلك الحياة فيسعون لذلك تحت عدة مسميات.. مقدمين فداءا حالهم وحياتهم الموقوفة اصلا قبل الموت..))

هكذا أجزل حامد فكره مشفعا بذكائه الذي كان يتميز به عن أقرانه بشكل كان يُشاد به.. والذي أوقفته ظروفه من ان يكون عالما كبيرا عملاقا.. فصدمته بحائطها الواقعي الصلد ..

نظر حامد في شقته نظرة مودع وربما من غير عودة.. ورتب أموره للخروج منها باكرا وتغيير مكانها.. لا من باب الحيطة فالامر الذي أنتهى كان مُحبك التدبير...إلا إنه لا يريد ان يعكر صفوة نشوة انتصاره بذكرى رؤية جثة ابا سعيد مرميّة في كبدها ..

وفعلا حشّد أغراضه البسيطة واخذ المبلغ الكبير من المال واحس بأن عمله في هذا البلد انتهى وانه يجب أن يغادر لأوربا.. اوربا حلمه الذي يتمناه في قصص سريره المرمي بأهمال شديد فيما يسمى بيته مجازا..هناك في أوربا حيث سيبدء مرةً اخرى من هنالك ومن العيار الثقيل.. فلقد قرر أن ينتهي هذا الموسم وهو يرافق المليون دولارا... والمليون يوّلد ملايينا ..أو كما يعتقد جازما...

وطبعا دخوله لاوربا وهو صاحب رصيد جيد أصبح يسيرا وسهلا بعدما كان حلما له ان يغادر شارعه للشارع الاخر..

دفع مبلغ عشرة الاف دولارا اخرى لسعاد وطلب منها أن تكون على أهبة الاستعداد بأي وقت قد يحتاجه وأفهمها أضطراره للسفر لاوربا لمقابلة صديق له ألحّ عليه رؤيته.. وسعاد التي لاتعرف اي شئ مما جرى نصحها بالبقاء هنا.. فليس من اي اشكال عليه أوعليها ..فقد انتهى بالقضاء على كل من شهد .. أو ربما قد يشهد استيلائه على مبالغهم.. وهنا وضع سعاد الفرحة بأستعادة صحة والدتها واستعادتها شيئا من حياتها الضائعة ببعض المبلغ الذي توفّر لديها والذي تريد ان تفتح به مشروع لمطعم رائع شجعها عليه بأن أزاد لها المبلغ ..وأن هذا المطعم سيدرُّ عليها ربحا جيدا يعوضها عن عذريتها التي ربما قد تجد شخصا او أشخاصا من الذين يرضون كل الرضى بقصة الفتاة التي تعرضت في طفولتها لحادث أفقدها عذريتها وهو مقتنع ومتألم لحادثها الذي قدّرته له عدالة السماء منشرحا بكرامة العيش

الذي ستوفره لها بمشروعها القادم.. علما أنها من الممكن ان تتجاوز الامر بزيارة بسيطة لاقرب الاطباء قبل ليلة زفافها ولكنها لا تريد أن تخدع زوجها الموعود كما تقول في نفسها.. وهناك العشرات الذين يتمنون الارتباط بصاحبة المطعم الناجح الذي في وسط البلد المكتظ...
حجز حامد طائرته المتجهة لأوربا ودموع سعاد لاتفارق صورته.. صاحب الفضل الكبير للعزّ الذي تعيشه.. أو كما تتوهم ..
وطئت قدمُ حامد أرض مطار أوربا..أنصدم بما رأى أو قد كان من الممكن ان يتخيله عبر القنوات الفضائية..التي ماكانت الا مقلّةً مجحفة بحق هذه القارة الغنّاء بكل ما يمكن للعين ان تستلذ بصراً..أنه كمن نزلّ على سطح كوكبٍ آخر لا يمت بأي صلةٍ بكوكبه المنجرُّ بسلسلة المجموعة الشمسية..(أين ما نحن.. فيما هم فيه..؟؟) صرخ في صوت مسموع لا يفهم لغته الاخرون..وأستغرب ان احدا لم يلتفت اليه.. فلو صدر منه اي تصرف همسا في بلدته لشرأبت الاعناق فضولا لتملي جوعها المكبوت من اي حادثة لتعرف ماذا جرى..لكن هنا .. الوضوع مختلف.. ماهذه الشوارع النظيفة وهذه التسريحات الغريبة حدا يجب ان تلتفت اليها ولكن ليس من يبالي.. وهذه الملابس بين غريبة وعارية ومحتشمة وأخرى لم يجد لها تصنيفا.. اذهلته.. ولكنها لم تثير عند اي احد حتى ركن الالتفاتة للملاحظة..
دخل الى مسؤول تمرير دخول للدولة.. تفاجئ بأبتسامة عريضة وكأن حامد هو المتفضلٌ عليهم بزيارته لهم ..تذكر زمجرة الضابط المسؤل عن ارجاع القوافل رافضا دخولهم لبلدته..
خرج من المطار.. فتنفس هواءا نقيا بحريته التي يمنّي بها نفسه منذ الولادة المحبطة..انه لا يعرف ماذا يقول انبهارا وإندهاشا..
طلب من احدى سيارات الاجرة ايصاله لاحد الفنادق الجيدة.. وبالطريق سأل حامد السائق فضولا وبلغة ركيكة عن معتقد دينه.. فأستغرب السائق لسؤاله ورد عليه بأدب غاية في اللطف ان هذا الامر لايعني شيئا للسائل فأن تكون على اية مذهب او معتنق فلا احد يعنيه هذه الامر فهو خاص بما يريده المرء .. كانت اجابة هذا السائق البسيط عن أمر طالما أرق حامدا تدل على احترام كل الاراء وبحرية تسمح لك بالايمان بما تريد وتشاء بعقيدة صحيحة..لا تحت تسلط الجبرية فيصبح كل ممنوعا مرغوبا.. وعلى

مقولة صديقه الاعلامي الكبير ابو فيصل ((ان رأيك صائب يحتمل الخطأ..كما أن رأيك خاطئ يحتمل الصواب))..
نزل بأحدى الفنادق البهية بكل شئ كحال هذا الشارع المتورد من صلبه الشذي..ترك حقائبه في الفندق ونزل يتبضع أبتسامات تتوزع بشكل وفير في كل مكان لكل من يهب او يمر له.. وعليه..وجوه مرتاحة من كثرة ما تنتبض حرية وأشباعا لكل حاجة وبلا ذل..
سار الوقت سريعا فهو يمر بالاوقات الجميلة كفرسٍ اصيلةٍ مسرعة ..فتصفح هذه المدينة الليل .. او كما ظنه.. لكنه ما وجد الا انها تزداد بهاءا ورونقة اكثر من نهارا .. لا ان تختفي كل معالمها كما في بلدانه بعد الغروب بقليل ولايبقى الا حانات رجالات الخمور او كباريهاتها المبتذلة بانواع المجون..
هنا الكل يمتطي الوانا من الحرية دون ان يفكر بمن يقول له (لا.....) تذكر معاني جلده القشري الذي وعى بنفسه متمحورا فيه كما كل البسطاء.. فكل شئ عندهم (لا)..(لا تنظر.. لا تسمع .. لا تحس.. لا تشاهد .. لا تطرب.. لا تلبس.. لا ترسم .. لا تنتقي..لا تمشي.. لا تقعد.. لاتأكل.. لا تشرب الا كما يكون لك مقدرا .. مع الحيطة الشديدة بالتحوط من مغازلة ما انت لست من ملّتهم.. فتكون جريمتك سلب حياتك الممقوتة خلف مقود ال "لا" الغليظة)...
فوق الوصايا الدينية المستمرة..ووصايا الحكام والرؤساء..ووصايا المواعظ والخطب.. ووصايا المجتمع ووصايا الاهل ووصايا رب العمل ووصايا الوسائل الاعلامية,,كيف يتنفس الفرد؟؟..اين المساحة المسموحة له للاسترخاء واطلاق العنان لروحه؟ سؤال يستحق التفكير..والتأمل.. ولو إنه بعد التفكير نستنتج انه عليه ان يغلق فمه ويغلق عينه ويغلق اذنيه وان يسيطرعلى الافعال والافكار والرغبات وكتم المشاعر الحقيقية جامعة دون أن ينبس ببنت شفة..
كل هذا عليه ان يفعله إذا أراد الفرد أن يعيش...ويحافظ على سلامته الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية.. ولا ننسى سلامة اسرته ايضا...
ولكن ماذا ينتج عن الكتم هذا؟..فماذا تنتظر من هذا الفرد الذي عاش في الشرق ولم يفتح فمه ليقول مايشاء ولم يجرؤ على فعل مايشاء لسنين عديدة

وفجاة ياتي لمجتمع اوروبي غربي تتلاشى عنده هذه الوصايا ويسمح له ان يقول مايشاء ويفعل مايشاء..ضمن حرية التعبير اتي وهبته ايا طبيعته المرتقاة غريزة في كل كرامة البشر..
فكيف يحيا الانسان بلا اوكسجين حريته..
فما الفرق بينه وبين البهائم.....؟!
فالانسان يرتقي لمستوى البشر الحقيقي بحريته دون استعباد..
فأذا دخل مجتمعٍ راقٍ كالمجتمع الاوربي ماذا ستحدث لشخصيته ودواخله التي قمعها وإستبدها واستُعبدت لسنوات؟؟..سوف تتشتت شخصيته وافكاره ويخطأ في تحليله لكل مايشاهدوه في المجتمع الغربي الجديد لانه يقف على أرضية صلبة وليست رخوة كما رُبي عليها..
ومع ان الصعوبات كبيرة والمراهنة..و قد تصل بحياتهم.. لكن عددا هائلا من الناس نجوا ببعض بعضهم هاربين بحثا عن الامان والحرية في اوروبا وبسبب الاضطهاد الفكري والاجتماعي والتعذيب وسلب الحريات وانعدام الديمقراطية المزعومة دوما في الشعارات الاعلامية واستبداد الحكام والملوك في بلادهم..

الفصل الثاني

مرت ثلاث سنين..
مرت سريعة بتنقلات تطوراتها كبيرة بأحداثها.. عمل فيها حامد بكل انواع التجارة الشرعية منها وغير الشرعية.. كل شئ يدرّ مالا كان لحامد يدا طويلة فيه .. حتى صار علما مشهورا في تلك الاتجار الرابحة بشكل كبير ..حتى صار ممن يُهاب اسمه في تداول السوق..
وكان حامد ان أرتبط بآخر فترة تلك الثلاث سنين وأثناء تواصله بالفنادق الراقية والاماكن الرفيعة المستوى.. ارتبط بإحدى سيدات الاعمال

الراقيات.. كانت قد لاحقت سنها ثلاثة أعوام بعد الخمسين.. تزوجها وأرتع في نبال عزها ولم يكن لها من الاولاد فهي أرملة احد الاثرياء وقد أُعحبتْ بشهامته المصطنعة ..أو كما ظنّتْ هي..ولم يطل أمر تدبير حادث مقتلها المفاجئ الذي أوجع الاوساط الثرية .. فورث منها مبلغا خرافيا تجاوز الثلاثون مليون دولار ..

ما أعجب حامد في نفسه.. كما أعجب السيدة الايطالية..وكما وأبعد عنه كل شبهة في الشك بأمر حادث قتلها.. هو انه كان لم يفكر يوما في غريزته الجنسية فكانت أساس سر نجاح خططه..بل كل أعماله .. وصعوده سلّم الملايين..وبدون الشك (بمسيو حامد) كما يسميه الايطاليين الحنكة..وهم قد وجدوا فيه من الاخلاص والوفاء لزوجته مما أعجز الكثير من النساء والصبايا عن إمالته ربما بقصدٍ مقصودٍ منهن أو حتى بتدبير زوجته ربما.. أو أعجابا وتقديساً لها علانيةً..

أنتهت مراسيم عزاء زوجته المقتولة في حادث مبهم كما رويت الجرائد والمجلات والمقالات ذات الشأن المهتم بالاثرياء.. وأنتهى معه التحقيق الذي قيّد الحادثة لعطل فني أصاب سيارتها الحديثة المسرعة مع سائقها الذي ساعده صلب عود شبابه من البقاء حياً..وورث حامد مبلغ الثلاثون مليون دولاراً.. وأصبح لفترة حديث المجتمعات الراقية الأوربية التي حتى فقراءها يعيشون بهناء وسعادة على مستواهم البسيط..فهم يهنئون بالحرية التامة.. وهي غاية منى السعادة المطلقة..

في الصباح الاسبوعي لحادث زوجته المأساوية نظر حامد لحال أمره وتذكّر كيف كان الموضوع قبل ثلاث سنين من الان.. وهوغير مستغرب لحاله و يصدّق ماحلّ به.. فما حلّ لم يكن قدرا حلّ به بعد ماقدّرته له عدالة السماء.. فأصبح صابحاً يجد نفسه لمثل هذا النعيم البهي فلو كان الامر كذلك لما صدقّ حاله انه قد أغتدقت هبة السماء هذا الغدق.. وأنما يُنسب الفضل لنفسه وقدرته الكبيرة لحل لغزٍ أثبطَ أغلب الناس وجعلهم صرعى أحجيته.. تذكر حارته وباب فجوتهم المسمى منزلاً والذي لم ينساهم حامد وإنما كان يخطط ان يرسل مبلغا كبيرا من المال ليس لاهله فقط إنما لأغلب أهل حارته ليثبت لنفسه انه أكرم..وربما اعدل من الاقدار السماوية التي يعتقدون

بها ..أو كما يعتقد هو...ويتمنى ان يلاحظ تلك النظرة الفرحة في لمعان ادمع عيونهم التي لم ترى الفرح الا على صور بساطٍ صغير الأُطر.. فحامد الان يتسلح بأكبر سلاحٍ وهو ورثهُ للمرأة الثرية التي تُخرس كل فمٍ ممكن ان ينال من نزاهة وعصامية حامد الذي هو أصلا لايهمه من هذا الامر كثيرا.. وهو الان يحمل الجنسية الايطالية التي حصل عليها بزمن قياسي بسبب ثروته الشاسعة ..

أرسل بعض محاسبيه الكُثر ليجروا اتصالات مع دولته ليرتأوا موظفين رسميين نُسّبوا بأستلام المبالغ المُحاله لإهله الذين سيكون فيما بينه وبينهم اتصالات متعددة ليشرح لهم رغبته في توزييع المبالغ وكيف يرى ..

واول مايهمه هو شراء منزل فخم وكبير لهم في احد الاحياء الراقية في بلده ..وهو لايعلم مدى المفاجئة الخرافية الكبيرة التي ستزلزل البيت بل الحي باكمله.. وان المفاجئة ستكون حلما ساحراً حتى لايمكنهم الحلم فيه.. وليس كما يحدث في الافلام المصرية التي يقصد منها إعادة الغطاء للخطأ الذي يقع فيه المرء فيرفض ابواهُ الغنى وهم محرمون حتى من الماء الصالح للشرب فيرفضون (كما هي عادة أفلامهم) من مطارحة ابنهم الذي أُثري بطريقة افلامية غريبة ويظلّون في حارتهم ..وهم يتعاشرون بجرذانهم القذرة حتى ملّت هي منهم ..

ترك هذا الامر لموظفيه الذين جاوزوا عقودا من الاعداد..وإتجه هو ليعمل بتجارة البترول والاسلحة وعلى مستوى عالٍ ورفيع..ناهيك عن الكثير من المصارف والمعامل التي تدرُّ عليه اموالا بأيرادات كبيرة شهريا ورثها من راحلته..لكنه كان يريد طموحا أكبر مما يمكن.. ولديه الان الامكانية اللازمة لما ينبغي ..

أتصل به أهله يبكون فرحا وهم يكادون لا يصدقون الامر وهم لاتغمض أجفانهم للحظة من هول المفاجئة لحامد الذي أضحى في أعينهم قمرا وبدرا يتشرف بنطق حروف اسمه شيخ الحارة الحكيم وطفلها السقيم وعجائزها الهرمة وشبابها المتقد وصبايها اللواتي صار لهنّ فارسا بلا منازع لأحلامهم الفتية كفتية نهودهن الحديثة ..

أتصل به أهله وقالوا له قد وجودا (فيلا) رائعة البهاء والسماء والجمال وهي لأحد الاثرياء الذي يودّ بيعها ..ربما .. لضائقة مادية يمر بها... فقال

لهم ان كنتم ترونها مقنعة لكم ولاحلامكم فأشتروها وانا علي تسديد المبلغ دون مراجعة.. وسيكون لكل منكم سيارته الخاصة ومشروعه الذي سيدرّ عليه واردا جيدا جدا .. وحسبما يرى فيه مصلحته..

وفضولا.. جرى على حال لسان حامد ان يسأل عن عنوان هذه الفيلا ..

هناك... توقفت الازمان للحظة وصمتَ في عينيه صراخ الاعتصار بروح النصر الذي كان ينتظره.. فهذه الفيلا هي (لندى).. أعاد سؤاله ليتأكد من العنوان فكرروه عليه متيقنين سأل عن أسم صاحبها وأفرادهم فأكدوا له..

نعم.. إنه (لندى) التي عبرها زمن الزواج المنطقي في مجتمعهم.. والتي غالبا لايشفع له اي شئ. فغناء العمر للفتاة رأسمالها الذي ينضبْ..وبسرعة .. كل شئ في المرأة مُسامح (وربما اي شئ...فقرها..تخلفها الثقافي..حتى احيانا جمالها.. الا عمرها.. الا عمرها .. هذا العنقاء الذي لايشفعُ فيه ايُ مشفّع ..

وإن شفّع فقيرٌ لثريةٍ تهادر بها العمر فهو ناب المتصدّق عليها تمنناً.. فأما انه كان يوازيها عمرا.. أو يقاربه.. فيجب ان ترضى وبكل سعادة بان تكون الثانية أوالثالثة دون شروط بفارسها الذي من المؤكد ليس بجزء من شروط صباها)

تناهر الامر في أذن حامد المبهور وطلب معرفة سبب البيع..فقيل له إن حادثا مرّ به بيتهم ادى لإن يقترضوا مبلغا كبيرا وهم بحاجة لبيعه لتسديد (المصرف) الذي اقترضوا منه المبلغ بضمانته..

أصعقته الكلمات وكأنه يشاهد فلما مصرياً او هندياً ..نعم أصعقته الحادثة..

أما ان تجري الاقدار التي كان يتصورها منطقية حد لايمكن أن يتصور أن مثل هذا القصة الخرافية المنطق أن تحدث في يومٍ من الايام .. لكنها كانت واقعا.. وليس خيالا خصبا...

طلب شراء هذا العقار بصورة فورية .. وانه سيعود في القريب العاجل ليراهم بعد شوقٍ طويل وكبير.. ولأنه من اصحاب النفوذ المادي الكبير واصحاب الملايين التي كالارانب تتكاثر بأي صوره أينما وضعها هو أو من يقترحون عليه المشاريع الذين أنهالوا عليه من كل مكان في العالم متضرعين ان يقبل مشاريعهم التي كان من بعض كلها مايمثل الحكومات الاشتراكية لبعض البلدان وهو طبعا اصبح في مرحلة لاتسمح له بان

يصدّع رأسهُ الثري بأي شئ.. فهنالك الموظفون والمحاسبون والقيّمون على اعماله والسكرتارية الضخمة ويقدّمون له كل شئ موجزا وكاملا وماعليه الا التوقيع من بعد رؤيته المُستشارة بالاختصاصيين الكاملة ولأكبر الارباح التي تجتنهيا المشاربع المعروضة ..

قرر الرحيل لبلدته ..حُضّرت له طائرته الخاصة في منتصف الليل.. فهو لا ليلٌ أرضي أو نهاره يشكم أرادته التي يشاء.. فأي وقت هو ملك للسيد حامد (المالتي مليونير) والذي قد رآه سيكون على أبواب العقد القادم (مالتي ملياردير) ..

صعد الطائرة الخاصة متوجها لبلده ..وكانت دون سابق موعد طبعا .. وطار لبلده .. وتذكر.. هاهنا إيفاء الوعود التي قطعها على نفسه بأن يعود جوّا.. بل زاد في الوعد كيل بعير إنه يعود بطائرة خاصة ومعه من ارقى انواع ملذات الطعام والشراب واجمل الفتيات الموجودات للحرص على خدمته باي وقت.. وكيفما يحتاج.. وحيث انه قد قرر أنه قد آن الاوان لبدء المتعة الحقيقية...

أحس بهدوء كبير وراحة غريبة تسري بجسده كانت قد وضعتها في نفسه موسيقى هادئة تصدر من احدى زوايا المكان .. فتذكر شيخ حارتهم الذي كان دائما يتحدث بحرمية الاغاني والموسيقى تحريما لايُغتفر له.. طيب لماذا تجد نفسيتي تلك الراحة من تلك الموسيقى وكأنها تسحبني الى عالم الخلود بلا اية تصاراعات حياتية او مشاكل من اي نوع..

سافر نظره عبر جمال الاضاءة تحت طائرته الخاصة, للبلد الذي يحلق منه.. فمسح بصره تلك الاراضي تتلاشى تحته ليأتي بعدها بحرا عظيم شديد المنظر.. تذكر حامد حادث (نجوان) .. الصبي الصغير الذي كان معهم أثناء أحدى رحلات تهريبه بعض البضائع الممنوعة (وبالاصح الغير مشروعة) عن طريق سواحل ايطاليا .. فكان إن إشترك بشراء يخت من السواحل الليبية مع بعض الناس المدنين (والذي تبدو على ملامحهم الثقافة الدراسية)...وصل عددهم الى الثلاثة عشر بينهم أمراةً وطفلها (نجوان)..والذي لا يعرف عنهم الا انهم يريدون الهروب الى اوربا ليعثروا على حريتهم وذاتهم المطمورة في قبور سلاطين دولهم المُستعبدة وليجدوا

من يقدّر فيهم رقيهم البشري الذي تناثر في بلادهم..و كما أنهم لا يعرفون عنه شيئا..

فكيف يغامر اللمرء بحياته وعياة الاعز من حياته وهم أطفاله وزوجته ليهرب الى اوربا؟؟.. الا انه وجد انه اما ان يحيا حراً كبشراً حريراً وانسانا حقيقاً بلا استعباد.. او ليموت هو وعائلته... فالموت عند الانسان المرتقي اهون عليه من الاستعباد...

وبينما هم في صخب البحر وزبده ، حدث إن نفذ منهم الماء في ثالث يوم رحلتهم في قلب ما لا للإفقِ حدوداً له..فصاح الطفل في عباب البحر المخيف بتلاطم امواجه القاسية بلا رحمة ..(ماما .. عطشان.). طنّتْ الكلمة في أذن كل المركب الذي اتضح بعد ذلك انهم من مثقفي القوم والكفاءات التي قررت الهروب الى اوربا الانسانية ..

وكانت ام نجوان وأبيه طبيبين ايضا.. حار المركب بعطش نجوان.. أنذهلت أمه وأبوه بما يمكن ان يفعلوه وهو امامهم يتلوى بأصعب ما يمر على الانسان من أحساسٍ قاسٍ وهو العطش.. هذا الشعور الرهيب فلا يجاوره في تصنيف قمته أي إحساسٍ آخر..ظلت عيون والديه تتباسل الى ابنهم وهو يبكي عطشا ولا يملكون من أمر..حتى بحّ بكاءه عطشا شديدا بحيحاً.. مرّا.. فتشققت شفتا نجوان.. فقالت أمه سأبكي دموعا عسى ان أعصر له من دمعي مايسقط على شفتيه فتكون له قطرات ماء ..أو شُبُهاتها..ولكن .. ولكن لم تكن محاولاتها الا كهواء في شباك مهترئة بغية حصدها .. فقد مات حامد يلفظ انفاس صدره الصغير بين احضان أمه بحروف كلمة عطشان..

أنهارت امه أنهيارا صريعيا تاما.. كما أبوه ..فلقد ودع نجوان هذا الطفل البهي الجمال هذه الحياة بعطشٍ شريمِ الشفاه..

فجأة وبعد موت نجوان ببضع أعشار الدقائق ..صفع (يخت مركبهم) الذي يكاد لايُرى نسبة لعملاق هذا البحر المهيب.. صفع يختهم حوت يضاهي طول (يختهم) بأضعاف المرات .. أستغرب الجميع الحال.. وتصوروه ان هذا الحوت أصطدم صدفة بهم .. لكن ..ماهي الا دقائق حتى حامت حيتاناً أخرى واسماك القرش الفاتكة.. وأنواعا مفترسة لا يسعها في موسوعته الهزيلة عن وحوش البحر..أستعجب الجميع..من هذه الحال .. وأرتعب المركب بخوف شديد .. فهذه الوحوش كانت تمر طيلة الأربعة ايام بقربهم

لكنها لاتقترب منا.. لكنها الان تحوم بشدة .. وترتطم بالقارب الهزيل .. ولايعرفون لذلك سببا .. كل ماعرفوه ..هو أن حياتهم كلها أصبحت على المحك ..فالموت قد صار وشيكا منهم..
الكل فكر في الطفل نجوان قد يكون سبب تلك الوحوش.. فقالوا ربما لان موته قد أثار غريزة ما.. كما الكواسر تطير في الصحراء وتحوم على الجثث الميتة .. فأرتأوا رمي نجوان الى البحر ليتخلصوا من رعب هذا الموقف المهيب رعبا.. فما كان من امه الا ان ترمي بنفسها على نجوان الذي بدا وكأنه نائما كما هي عادته من بعد شقوة يجاريها مع الجميع تضيفها له بهجة طفولته التي شارفت على الست سنين..حاول الجميع إفهامها ان نجوان قد مات .. وأنهم برمي جثته الى تلك الحيوانات المفترسة قد يبعد عنهم الخطر عندما ينشغلوا بألتهامه .. أستماتت الام المفجوعة بموت ابنها على جثته الهامدة.. قالوا لها انك طبيبة وترين ان ابنك قد مات .. ولا معنى من الاحتفاظ بجثته..لكن الكلمات كانت لا آذان لها .. حتى أستل حامد نجوان ومعه احد الراكبين بالمركب..بقوة شديدة من تحت ذراعيها .. وأرجحوه في الهواء (كأرجوحة الهيلا هوب) ورموه ما أمكن بعيدا .. حتى تناطت اليه الاسماك الشديدة الافتراس تتقافز اليه وهي تنهش بشعره الحريري السارح ورأسه الناعم ويداه الدقيقتان.. وقدماه الطفولية.. فما كان من امه الا ان ترمي بنفسها فورا على أثره.. قفز خلفها حامد وأخرون.. وأمسك اربعة منهم بزوجها الذي أُغشي عليه مغميا.. لكنهم لم يجدوا لها أثرا.. ابدا..أبدا
وبعد يومين مرّتْ من قربهم سفينة رفضت انتشالهم.. بل وحتى تزويدهم بشئ من الماء رغم الرايات التي تقف عليها مشيرة الى دولتهم التي تعتنق الدين الاسلامي والتي تدعي الزهد والصلاح!!!..فأختفت تلك المعايير مع المحك في عرض البحر ولم يبقى منها الا القماش الذي ترتسم عليه!!..
حتى سهت بهم سفينة إيطالية فزودهم بالماء من اعالي بنيانها الشامخ وبما يمكن لهم ان يوصلهم الى الشاطئ بعد إعتذارهم المتكرر كثيرا من عدم تمنكهم من حملهم لان ذلك يتعارض وقوانين البحر الدولية التي ستؤكد أنهم قد شاركوهم التهريب الغير قانوني.. لكنهم أمدوّهم بكل ما يوصلهم للشاطئ التائهين عنه عسافا..

وصلوا الى بر السواحل الايطالية وبجعبتهم.. مأساة كبيرة.. وابو نجوان المفجوع الذي فقد عقله التام..وكسوة غلظة أخرى أضافها حامد الى قاموسه قلبه البالغ القسوة...
نظر حامد من شباك طائرته متأملا هذه السماء الكبيرة شسعاً كبيراً جدا.. ومحلقَ في ليلها الداكن الذي تنشره نجوما لاحصر لها ولاعد..
فقال في نفسه..
((ان اقرب نجم الينا يبعد ما مقدار خمسة الاف سنة ضوئية..انه لرقم خرافي البعد.. لان في (الثانية الضوئية الواحدة) يمكنك ان تلف الكرة الارضية ثماني مرات..
اي ان الدقيقة الضوئية الستين ثانية يمكنك لف الارض بما معدله 60 ضرب 8..ويعني 480 مرة تلف الارض في الدقيقة الضوئية الواحدة ..
والشمس تبعد عنا ثماني دقائق ضوئية .. فيمكنك ان تقدر سرعة الضوء .. وبالتالي يمكنك ان تقدر مسافة اقرب نجم لنا ..
هذه الارض ما هي الا عضوا في المجموعة الشمسية ..
وما المجموعة الشمسية الا احدى مليارات المجموعات الكواكب والنجوم المكونة لمجرتنا (درب التبانة).. هذه المجرة التي تحوي.. 300 مليار نجم وكوكب كأقل تقدير..
هذه المجرة (درب التبانة) هي واحدة من أكثر 250 مليار مجرة تسمى الكون..
وهذا الكون هو أحد أكوان كثيرة تعدت ارقامها خيالا..
هكذا يمكن ان نرى مدى صغر حجم الارض نسبة لهذا الكون الفسيح ... انها بمثابة نقطة في اكبر محيط..
الا نرى ان هذا هدر في المكان...؟؟
اليس هدرا في المكان بأن هذا الكون كله جاء لأجل هذا الكائن المسمى انسانا..كما أفهمونا.. ومن ثم نرى هذا الانسان يعيش أغلب بشره العموم في حالة من البؤس والذل والاذلال وشظف العيش والحرمان والفقر المتقع..
فلا يجد ما يسد رمقه في هذا الكون الفسيح..؟؟؟!!!
ان هذا لمناف للعقل والمنطق والحس العلمي .. بل لايمت للعقل بأي صفة!

ثم قال ((إن هدف الفيزياء اليوم هو إيجاد نظرية أو علاقة رياضية واحدة تصبح معها القوى الأربعة الأساسية في الطبيعة (قوة الجاذبية والقوة الكهرومغناطيسية والقوى النووية.. القوية والضعيفة) حالاتٍ خاصة من قوة وحيدة اصطُلِحَ على تسميتها بـ القوة الفائقة.. وتحت خيمة نظريتين كبيرتين تسودان الفيزياء، هما (نظرية أينشتاين في النسبية والنظرية الكمية)، وسعى العلماء إلى توحيد هاتين النظريتين في نظرية واحدة تسمى نظرية الأوتار...

تقوم الفيزياء الحديثة على ركيزتين أساسيتين، الأولى هي النظرية النسبية العامة لالبرت آينشتاين، والتي تمنحنا الإطار النظري لفهم العالم في أبعاده الكبرى: النجوم والمجرات وتجمعات المجرات، وحتى ما وراء المدى البعيد للكون نفسه,

أما الركيزة الثانية فهي ميكانيكا الكم، وهي التي تزودنا بالإطار النظري لفهم العالم في أصغر أبعاده: (الجزيئات والذرات) وحتى الدقائق تحت الذرة مثل الإلكترونات , وتفسر الثلاث قوى الأساسية في عالم الصغائر (القوة النووية الضعيفة، القوة الكهرمغنطيسية، القوة النووية القوية)

ورغم أن النظرية النسبية العامة لا يمكن تطبيقها في عالم ميكانيكا الكم (عالم الصغائر) كما أن نظرية الكم لا يمكن تطبيقها في عالم النسبية (عالم الكبائر) وهكذا فإن النظريتين اللتان تشكلان أساس التقدم الهائل في الفيزياء خلال المائة عام الماضية غير متوافقتين

ولقد كان غرض جمع النظريتين..كما يمكن أن نتتصور عيشنا في مدينة يسودها نظامين مختلفين من أنظمة السير و المرور فهذا يؤدي الى فوضى كارثية.. فالدمج بين النظريتين هي الطريقة الوحيدة لفهم منشأ الكون وما حصل عند الأنفجار العظيم, حيث أن الكواكب والمجرات مكونة من المادة نفسها المكونة منها الذرات , والكون بأكمله مبني من الجزيئات نفسها...

قوة الجاذبية كانت أول القوى الأساسية المكتشفة. تنتج الجاذبية من جميع الأجسام بسبب كتلتها ولكننا لا نشعر بها بين الأجسام من حولنا بسبب صغرها, وهي القوة المسؤولة عن تواجدنا على سطح الأرض.

ولكن هناك نواقص في نظام نيوتن لتفسير قوة الجاذبية ، أحدها أن النظام كان يقول بأن قوة الجاذبية لحظية،... أي كأن هنالك حبل يربط الأرض بالشمس فلا تحتاج قوة الجاذبية إلى مدة للانتقال، وأن الجاذبية تعمل فقط على المدى الضخم كالكواكب و النجوم و المجرات و تصبح هذه القوة معدومة في الجزيئات الصغيرة و داخل الذرات. و أنه على الرغم من أن الجاذبية تبدو هي القوة الأكثر وضوحا إلا أنها تعتبر ضعيفه جدا جدا

مقارنة بالقوى الأخرى، فنحن نتغلب عليها يوميا عند رفعنا للأجسام من على سطح الأرض.
وبعد أن أكتشف أينشتين أن سرعة الضوء هي السرعة القصوى في الكون, وجد نفسه في مواجهة مع نيوتن في عدم فهم ماهية الجاذبية.
أو بعبارة أخرى فإن نيوتن اعتقد أن الجاذبية هي قوة تأثيرها فوري مهما اختلفت المسافة، لكن أينشتين وجد مشكلة كبيرة في تلك النظرية ظهرت من فهمه للضوء، فهو يعرف أن الضوء لا ينتقل بشكل فوري بل يملك سرعة وهو بذلك يحتاج زمنا ليقطع مسافة معينة، في الواقع فإن الضوء يحتاج لثمان دقائق ليقطع الـ 93 مليون ميلا من الشمس ويصل إلينا، وبما أن لاشئ يسافر أسرع من الضوء، وهذا يعني أن فكرة نيوتن عن قوة الجاذبية كانت خطأ. وإن كان نيوتن مخطئاً فكيف تبقى الكواكب في مساراتها؟ كيف كانت حساباته صحيحة ودقيقة عن مسارات الكواكب؟ كان على أينشتين أن يحل تلك المشكلة، وبعد تقريبا عشر سنوات من جهده وجد الجواب في نوع جديد من التوحيد هي نظرية النسبية العامة.
قال أينشتاين أن الأبعاد الثلاثة المكانية (الطول والعرض والارتفاع) للكون والبعد الرابع (الزمن) مرتبطة ببعضها بنسيج كوني زماني-مكاني (أو يطلق عليه زمكان) وبفهمه للهندسة المكانية الزمانية للنسيج الكوني فقد استطاع أن يتحدث عن حركة الأشياء في ذلك النسيج. ومثل سطح (الترامبولين المطاطي..الذي يقفز عليه الأطفال) فإن هذا النسيج الكوني يمكن أن يتمدد أو يتقعر إذا وضعنا فيه أجساما ثقيلة.. كالكواكب والنجوم.. وهذا التغيير في النسيج الكوني وانحناءه يخلق ما نشعر بأنه جاذبية.
لشرح هذه الفكرة بشكل أكبر سنتخيل سطحا من المطاط كالذي يقفز عليه الأطفال. إن وضعنا كرة ثقيلة في وسطه فسوف يتقعر مشكلا إنحناءاً... وأي جسم سيسير قريبا من الكرة سيحني مساره وفقا لإنحناء ذلك السطح وكأنه يتدحرج (ينجذب) إلى تلك الكرة.
ومع هذا الفهم الجديد فإنها ستعطي نتائج مختلفة.. لأن الأرض لن تفلت من مسار الشمس...وقد قام أينشتين بحساب سرعة موجة النسيج الكوني ووجد أنها بسرعة الضوء تماما..
ثم ظهرت القوة الكهرومغناطيسية بعدما وحدّ (العالم ماكسويل) القوى الكهربائية والمغناطيسية وصياغة قانون واحد يصف كلا القوتين. والقوة الكهربائية ما هي إلا قوى التجاذب والتنافر بين الشحنات, أما القوة المغناطيسية فهي القوة التي يؤثر بها المجال المغناطيسي على شحنة بالقرب منه.

بعد تطور ميكانيكا الكم وكشف المزيد من أسرار الذرات..أكتشف العلماء أن الجاذبية والكهرومغناطيسية ليستا القوتان الوحيدتان اللتان تحكمان عالمنا الفيزيائي وأن هناك قوتان أخريان أطلق عليهما القوى النووية القوية والضعيفة.. (القوة النووية القوية) وهي مسؤولة عن ارتباط النيوترونات بالپروتونات داخل نواة الذرة.. فكما هو معروف,أن البروتونات مشحونة إيجابيا وهي لذلك تتدافع إن تُرِكت لشأنها بفعل القوة الكهربائية ممزقة عرى النواة وهنا تتدخل القوة الشديدة للتغلب على القوى المذكورة وتقريب البروتونات إلى بعضها محاولة لم شمل النواة ولتخلق نوع من التوازن الدقيق بينها وبين القوة الكهربائية التنافرية (repulsive) التي تسعى إلى تفجير النواة .فعندما يطلق العنان للقوة النووية الشديدة تنشأ نتائج كارثية، فمثلا عندما تشطر نواة اليورانيوم عن عمد في القنبلة الذرية تتحرر الكميات الهائلة من الطاقه الحبيسة داخل النواة في شكل انفجار نووي مروع. حيث تطلق القنبلة النووية مليون ضعف من الطاقة التي يعطيها الديناميت ويؤكد ذلك بشكل جلي حقيقة أن بإمكان القوة الشديدة توليد طاقة تتعدى طاقة المتفجرات الكيميائية التي تحكمها القوة الكهرمغنيطيسية .
تفسر القوة الشديدة أيضا سبب إضاءة النجوم بأن النجم ليس إلا فرن نووي ضخم تتحرر فيه القوة الشديدة سجينة النواة. ولو أن طاقة الشمس كانت ناجمه عن حرق الفحم بدلا من الوقود النووي لما أطلقت الشمس إلا جزءا ضئيلا من ضوئها ولخبت بسرعة متحولة إلى رماد. وبدون الشمس تبرد الأرض وتنقرض كل أشكال الحياة عليها وبدون القوة الشديدة لايمكن أن توجد الشمس و بالتالي لا يمكن أن تنشاء الحياة وترتقي .
أما (القوة النووية الضعيفة) وهي القوة التي تتحكم بتحلل الجسيمات الأولية داخل الذرة والمسؤولة عن نشاط الذرات الثقيلة غير مستقرة الإشعاع.
لبعض النوى كنواة اليورانيوم التي تضم 92 بروتون كتلا هائله تؤدي الى تحللها تلقائيا وإطلاق شظايا وبقايا صغيرة فيما ندعوه بالنشاط الاشعاعي.
النوى في هذه العناصر هي ببساطة نوى غير مستقرة وتجنح الى التحلل (disintegration) لذا لابد من تواجد قوة أخرى ضعيفة لتتحكم بالنشاط الاشعاعي وتكون مسؤولة عن تحلل النوى الثقيلة .
هذه هي القوة الضعيفة التي تتسم بسرعة الزوال والتلاشي إلى حد أننا لانتحسسها مباشرة في حياتنا لكننا نستشعر آثارها غير المباشرة. فعندما نضع عداد (جايجر) بالقرب من قطعة اليورانيوم تتناهى إلى مسامعنا الطقطقة التي تقيس النشاط الاشعاعي للنوى الناجم عن فعل القوة الضعيفة.
وبالمثل فإن الحرارة التي تنتج في نواة مفاعل نووي والتي تستطيع توليد

طاقة كهربائية تكفي لإنارة مدينة كاملة تعزى أيضا إلى أثر القوة الضعيفة.
في أواخر الثمانينات وبينما كان فيزيائي شاب إيطالي يدعى (غابرييل فينيتسيان) يبحث عن بعض المعادلات الرياضية التي تصف قوى النواة الكبيرة في الذرة... وفي كتب الرياضيات القديمة التي يملكها وجد معادلة رياضية قديمة عمرها مئتا عام كتبها عالم سويسري يدعى ليونار أويل. (فينيتسيان) ذهل باكتشافه أن تلك المعادلات التي اعتبرت لسنين عديدة مجرد فضول رياضي كانت تصف القوى الكبيرة في النواة فعلاً وقام باكتشافه الذي اشتهر به فيما بعد في وصف القوى الكبيرة التي تعمل في نواة الذرة. كان ذلك حدث ولادة نظرية الأوتار.
وبسبب شهرة هذا الاكتشاف فقد وقعت تلك المعادلات في يد فيزيائي أمريكي يدعى (ليونارد سسكيند) أكتشف أن وراء الرموز الرياضية وصف لشيء أكثر من مجرد جزيئات. فالمعادلة تقدم متحولات تصف اهتزازات ووصف لخيوط قام بدراستها أكثر ووجد أنها عمليا.. خيوطا مهتزة مثل الخيوط المطاطية الحرة الطرفين، هذه الخيوط بالإضافة لصفاتها في التمدد والتقلص فهي تهتز بشكل دوراني أيضا حسب تلك المعادلة.. هنا تبسم حامد.. عندما تذكر أن المضحك هو أن (سسكند) عندما قدم بحثه للنشر تم رفضه لعدم أهميتها, واعتقد أن اكتشافه سيموت..في تلك الأوقات فإن العلماء كانوا مشغولين في اكتشاف الجزيئات وأنواعها الدقيقة بالقيام بتعريضها لسرعات كبيرة و اصطدامها ببعضها لشطرها إلى جزيئات أصغر ودراسة نواتج تلك الإنشطارات. كانت الاكتشافات كبيرة جدا وأنواع الجزيئات المكتشفة كبير. أدى ذلك إلى استنتاجات كبيرة على مستوى الفيزياء أهمها أن قوى الطبيعة يمكن وصفها كجزيئات أيضاً. مثلاً القوة التي تنشأ بين جسمين هي عبارة عن جزيء (رسول) بينهما، وكلما انتقل بين الطرفين بمعدل أكثر كلما اقترب الجسمان من بعضهما أو بعبارة أخرى – زادت القوة بينهما. أي أن تبادل الجزيئات هو ما يخلق ما نشعر أنه طاقة. وتم فعلاً تأكيد تلك النظريات باكتشاف الجزيئات المسؤولة عن القوة الكهرومغناطيسية والقوى النووية القوية والضعيفة وقوة الجاذبية .
بمقتضى نظرية الأوتار فإن محتويات الكون ليست جُسيمات أولية Particles، بل خيوط دقيقة جداً، ذات بُعد واحد أشبه بأشرطة مطاطية متناهية الدقة، تتذبذب إلى الأمام والوراء. وتقول هذه النظرية أن الأوتار مقومات مجهرية فائقة الصغر تتكون منها الجسيمات الدقيقة التي منها تتكون الذرات وعليه فإن لبنات الطبيعة الأساسيه تتكون من أوتار دقيقه

مهتزه، فإن كان ذلك صحيحا فإن كل أشكال المادة بدءا من أجسادنا وانتهاءا بالنجوم البعيدة تتكون في الجوهر من أوتار.
ويبدو عالمنا وفقا لنظرية الاوتار الفائقة مصنوعا من جسميات نقطيه لأن أدوات قياسنا بدائية وبسيطة لدرجة لاتسطيع معها أن تتحسس تلك الأوتار الضئيلة. وطول الوتر، كما يصفه أصحاب هذه النظرية، أصغر بمقدار مئة بليون بليون مرة من نواة الذرة. تنص النظرية بأن الوتر (الوحدة البنائية الأساسية للدقائق العنصرية من إلكترونات و بروتونات و نيترونات و كواركات) من المحتمل أن يكون عبارة عن خيط دائري مغلق ومن المحتمل أيضا أن يكون خيط مفتوح بطرفين.
فبالنسبة للقوى الثلاثة الكهرومغناطيسية و القوة نووية قوية و القوة نووية ضعيفة يكون الوتر مفتوح و بطرفين "ملتصقين" بغشاء الكون, أما بالنسبة لقوة الجاذبية فالوتر عبارة عن خيط دائري ليس له طرف ليرتبط بهذا الكون بل له الحرية بالدخول و الخروج من هذا الكون,, فعندما يجذب المغناطيس المسمار من على سطح الأرض فالجزيئات التي تجذب المسمار إلى المغناطيس مثبته على غشاء الكون. أما القوة المضادة و هي قوة الجاذبية فجزيئاتها تدخل و تخرج من هذا الكون لعدم ارتباطها بالغشاء، من المفترض أن تقوم نظرية الأوتار الفائقة بفهم جميع الأحداث المبكرة عند نشوء الكون ووقوع الانفجار العظيم حيث يعتقد ستيفن هوكينغ أن الحرارة الهائلة للإنفجار العظيم تؤدي إلى انعدام الفوارق بين الزمن والفضاء، ويُصبح الزمن بُعداً فضائياً، أي أن الزمن "يتفضأ" على حد تعبير هوكنغ. وقد استند هوكنغ إلى الأعداد التخيلية، وطبقها على مفهوم الزمن، وعند ذلك سيفقد الزمن طابعه الأساسي في جريانه الدائم باتجاه واحد (المستقبل)، أو ما يُسمى سهم الزمن، وهذا الزمن الخيالي سيؤشر إلى الاتجاهين المتعاكسين (الماضي والمستقبل). وتصور هوكنغ أن الزمن يرتد إلى الوراء في ظروف خاصة: يحدث هذا كما قال، عندما يكفّ الكون المتحدد حالياً عن النمو ويبدأ بالتقلص .
اننا لانكاد نفكر اكثر من الابعاد المكانية الثلاثة (وهي الطول والعرض والسمك) في حين هذه العالم الغربي له الأبعاد إضافية.. فلم يكتف بالأربع مضافا لها الزمن .. فمثلا إنهم بنظرية الاوتار يقدرون لعشر أبعاد مكانية إضافة إلى البعد الزمني والنتيجة 11 بعدا.
أن نظرية أينشتين النسبية تقول أن الكون عبارة عن نسيج يمكن حنيه وثنيه.. فإذا تخيلنا أننا نسير على أرض مستوية لنقطع مسافة ما.. فإننا بثني تلك الأرض وجعلها مقعرة فأننا يمكننا الوصول إلى هدفنا بشكل أسرع,

لذلك ظهرت فكرة تعرف بـ wormholes أو الطرق دودية. وهي طرق مختصرة للوصول إلى أجزاء قصوى من الكون بسرعة فائقة وزمن قصير, مما يدعم إمكانية السفر عبر الزمن!
قال حامد مستذكرا بياناته((نظرية الأوتار تقول.. بما أننا نعيش في كون محمول على غشاء كبير شكلته الأوتار المتمددة في البعد الحادي عشر فهذا لا يمنع وجود غشاء آخر يحمل كونا أخر بالقرب منا، بل لا مانع إطلاقا من حدوث تماس بين تلك الأغشية من وقت لآخر يؤدي إلى تحرير طاقة كبيرة تولد انفجارا كبيرا لكون آخر.
بما أن الكون يحتوي على أبعاد مختلفة بهندستها العديدة والمتنوعة، وبماً بأن قوانين الطبيعة تعتمد على هندسة الطبيعة، فمن المتوقع أن تُشكِّل هذه الأبعاد العديدة أكواناً مختلفة في قوانينها وحقائقها .هكذا تؤدي نظرية الأوتار إلى إمكانية تواجد أكوان عديدة ومختلفة. بالإضافة إلى ذلك، وكل حلّ من هذه الحلول يصف كوناً متناسقاً رياضياً ومختلفاً عن الأكوان الأخرى التي تصفها الحلول الأخرى للنظرية. هكذا، تدل نظرية الأوتار على وجود أكوان عدة .
فجزيئات الطاقة التي نعرفها والجزيئات التي تشكل المادة التي يتكون منها كل ما هو موجود في الكون تحافظ على بقائها في البعد الذي نوجد به، والغشاء المكون من اهتزاز الأوتار في البعد الحادي عشر يحجبنا عن أكوان في أبعاد أخرى, لكن جزيء الجاذبية Graviton حسب نظرية الأوتار الفائقة مكون من وتر مغلق النهايات (كحلقة). وهذه الخاصية تجعله حرا طليقا غير مرتبط بالبعد الذي نوجد فيه مما يؤدي إلى تسربه من الغشاء الذي نعيش فيه على أبعاد أو أكوان أخرى، لذا لا نشعر بقوته بسبب اختفائه السريع من بعدنا...تلك الأفكار دفعت العلماء لفرضيات كنا نحسبها (خيالا علميا بحتاً)، يقول أحد علماء نظرية الأوتار الفائقة (لو وجدت حياة أخرى في بعد آخر فإن جزيئات الجاذبية قد تكون طريقة في اتصالنا مع ذلك البعد بتحرير جزيئات الجاذبية بشكل كبير لأنها تستطيع التملص من الغشاء الذي تسببه الأوتار في البعد الحادي عشر.
وفقاً للنظرية, فكوننا يشبه فقاعة بجانب أكوان موازية شبيهة. وعلى نقيض نظرية العوالم المتعددة, فنظرية الأوتار تفترض أن هذه الأكوان يمكنها أن تكون على اتصال مع بعضها البعض . نظرية الأوتار تقول أن الجاذبية يمكنها التدفق بين هذه الأكوان المتوازية. وحينما تتفاعل هذه الأكوان فإنه ينشأ إنفجار كبير مثل الذى خلق كوننا .إحدى الملاحظات المهمه التي لاحظها العلماء انه لا يوجد مكان محدد للالكترون فعند دراسة الذره هناك

شواهد على وجود الاجسام الذريه في اكثر من مكان واحد في نفس الوقت. وفسر ذلك بوجود عوالم متوازيه بالبلايين بحيث يظهر الجزيء الذري في مكان اخر وتظهر جزيئات ذريه من عوالم اخرى في كوننا بعلاقات غير مفهومه .

ويعتقد بعض العلماء أن نموذج تداخل الفوتون المفرد - الملاحظ فى تجربة الشق المزدوج - من الممكن تفسيره بتداخل الفوتونات عبر العوالم المتعددة .ثمة مثال آخر ألا وهو سر" المادة المظلمة" في الكوسمولوجيا (علم الكونيات)، والمادة المظلمة هي المادة غير المرئية والتي يبدو أنها تكوّن تسعين في المئة من كتلة الكون. ورغم أنها غير مرئية إلا أن العلماء تعرفوا على وجودها من تأثير جاذبيتها. فقد تكون المادة المظلمة موجودة في أكوان متوازية. وتؤثر مثل هذه المادة في الكون الذي نعيش فيه من خلال قوة الجاذبية التى حسب نظرية الأوتار تستطيع التدفق بين الأكوان المتوازية. وهذه المادة "خفية" بالضرورة لأن النوعية الخاصة بنا من الفوتونات تلتصق بغشائنا، وبالتالي يتعذر على الفوتونات أن تنتقل عبر الفراغ من المادة الموازية إلى أعيننا .

أن تطبيق ميكانيكا الكم على الكون تكون نتيجته العوالم المتعددة.

وتوصل العلماء أن الأكوان المختلفة تمر بمراحل مشابهة لتلك الخاصة بتطور الكائنات الحية ؛ ففي كل مرة يولد فيها كون من كون آخر، تتغير القوانين الفيزيائية قليلا ... هكذا، قد تنشأ أكوان بقوانين فيزيائية عدائية و تكون نهايتها هى الفناء: فإما أن تنهار فوراً على نفسها، أو أن يكون فيها عدد خاطئ من الأبعاد، أو لعدم تمكن تلك الأكوان من احتواء ثقوب سوداء و التي بواسطتها يتمكن كون معين من "حفظ نوعه "... لكن، بالطبع بعض الأكوان تولد بقوانين فيزيائية تسمح بتكون النجوم و بالتالي تسمح بوجود

الثقوب السوداء التي تؤدي بدورها الى ولادة أكوان "صغيرة ."

,علماء موجات الراديوالفلكي تمكنوا من العثور على منطقة فارغة، مساحتها تتجاوز كل المنطاق الفارغة التي عثرنا عليها في السابق. هذه المنطقة الفارغة تقع عنا على بعد حوالي 8 مليارات سنة ضوئية، ويصل قطرها الى مالايقل عن مليار سنة ضوئية .

ليست هذه هي المرة الاولى التي يلاحظ فيها العلماء منطقة فارغة. نحن نعلم بوجود حوالي 30 منطقة هائلة تمتد على مساحة بضعة ملايين السنوات الضوئية .المنطقة المكتشفة حديثا اكثر كبرا حتى بالمقارنة مع الكون المرئي.

اننا بتسريع ذرات الهيدروجين بعد فصلها عن الكتروناتها إلى سرعات تقارب سرعة الضوء، ثم تسييرها بإتجاهات معاكسة لتحقيق اصطدامها ومشاهدة الجزيئات التي تخرج منها. فإن استطاع العلماء مشاهدة جزئ الجاذبية وهو يختفي بعد الاصطدام مباشرة (أو بكلمات أخرى يخرج من الغشاء الذي نعيش فيه إلى كون آخر)...

نظر الى العلم الذي وصل مرابتا أقل ما توصف عميقة ..وكله منقول ممن يدعونهم بالكفار والملحدين..وهم قد فسروا الحياة نشوءا وحاضرا ومستقبلا..وبأساس علمي رصين..

فهذا نشوء الكون مبني على (نظرية الانفجار العظيم).التي تفسر أصل المجموعة الشمسية وتشرحها حسب (النظرية السديمية)، بل وتفسر حتى نشوء القمرحسب (نظرية التصادم).
فالانفجار العظيم حادث كوني وقع قبل (15 بليون) سنة عندما كان الكون كله مضغوطاً في جزيء ذري واحد بشكل نقطة واحدة أطلق عليها العلماء اسم (الذرة البدائية) أو (الحساء الكوني). وأن حجم هذه النقطة كان يساوي الصفر وكتلتها لا نهائية. أي أن الكون كان عبارة عن طاقة خالصة. وفي اللحظات الأولى من الانفجار الهائل ارتفعت درجة الحرارة إلى عدة تريليونات، حيث خلقت فيها أجزاء الذرات، ومن هذه الأجزاء خلقت الذرات، وهي ذرات الهيدروجين والهليوم، ومن هذه الذرات تألف الغبار الكوني الذي نشأت منه المجرات فيما بعد، ثم تكونت النجوم والكواكب ـ وما زالت تتكون ـ وفي غضون ذلك كان الكون وما زال في حالة تمدد وتوسع، وبذلك فان الانفجار العظيم أدى ليس فقط إلى ظهور جزيئات ذرية جديدة بل إلى وجود مفهومي الزمان والمكان اللذين كان يستحيل الحديث عنهما قبل المادة.
وأدلة هذا الانفجارالعظيم هو الاتساع المستمر للكون المتمثل بأنه في كل مكان من الكون هناك مجرات تتباعد إحداها عن الأخرى بسرعات هائلة جداً..
و الخلفية الإشعاعية المتجانسة عبر الكون كله
كمية غازيّ الهيدروجين والهليوم في الكون والمتوزعة توزيع كعناصر معروفة في الجزء المدرك من الكون, فغاز الهيدروجين يكون أكثر قليلاً من (74%) من مادة الكون، ويليه في النسبة غاز الهليوم الذي يكون حوالي (24%) من تلك المادة. ومعنى ذلك أن أخف عنصرين يكونان معاً أكثر من

(98%) من مادة الكون المنظور، أما بقية العناصر مجتمعة (عدد العناصر المكتشفة هو 105 عنصر) فتكون أقل من (2%) من مادة الكون
اما النظرية السديمية في نشوء المجموعة الشمسية فهي تتمثل في أن نظامنا الشمسي كان يتكون من غيمة من الغاز والغبار يطلق عليها اسم السديم, والتي تقع في أعماق الذراع الحلزوني لمجرة درب اللبانة التي هي واحدة من المجرات العديدة التي تكونت بسبب الانفجار العظيم. الغيمة الضخمة هذه كانت تتكون من عنصرين خفيفين هما الهيدروجين والهليوم مع قليل من الأوكسجين وحتى كميات صغيرة من العناصر النادرة مثل السليكون والحديد. السديم يدور ببطيء حول مركزه الذي يتكون من كتلة تحتوي على دوامات معقدة نشأت بسبب ما يعرف بالسقوط أو الانقلاب الجذبي, وتحت تأثير قوة الجاذبية اخذ السديم شكل القرص الدوار ومع زيادة في حرارة وكثافة الكتلة عند المركز والتي أدت بالنهاية إلى تكون الشمس.
الجزء الخارجي من الغيمة (السديم) كان بالطبع هو الأكبر والأكثر برودة، لذلك فأن مواده ـ مثل الماء والامونيا والميثان ـ تصلبت كالثلج واطئ الكثافة. المواد القريبة من الشمس بقيت بهيئة بخار ولكن السليكون والحديد والألمنيوم والمواد المشابهة استطاعت الاتحاد مع الأوكسجين وتبلورت عند درجات حرارة عالية إلى مواد صلبة مؤدية إلى تكوين مواد صخرية كثيفة..
كثير من مواد السديم تدور في داخله متوجه نحو مركز النظام الشمسي، نتيجة لهذا التجمع يتولد ضغط شديد يرفع من درجة حرارة مركز النظام الشمسي إلى الحد الذي يصبح فيه هذا المركز عبارة عن فرناً نوويا ضخماً ليكون نجمة جديدة هي الشمس..و في أثناء ذلك، كانت الكواكب الرئيسة وتوابعها تدور في مداراتها حول الشمس كانسةً اغلب القطع المتبقية بالقرب من مداراتها، هذه المرحلة النهائية من الشكل الكوكبي مسجلة بشكل واضح بواسطة مناطق الفوهات الموجودة على أسطح كل من القمر وعطارد والمريخ والعديد من الأجسام الكوكبية.
جميع الأجسام الكوكبية كانت ترتفع درجة حرارتها بسبب تصادم عدد من الكواكب البدائية التي تكونها مع بعضها، فإذا كان هذا الارتفاع في درجة الحرارة كافياً لإذابة الكوكب فان المواد المكونة له سوف تتفاضل.. حيث أن المواد الأكثر كثافة تنزل لتتجمع في مركز الكوكب مكونة اللب والمواد الأخف تتجمع بالقرب من السطح. هذه العملية تعرف بعملية التفاضل الكوكبي..التي تقود إلى تكوين طبقات في الكواكب المكونة للنظام الشمسي.

وبعد أن تكونت الأرض من السديم الغازي، شهدت العديد من التغيرات التي مهدت لوصولها إلى ما هي عليه الآن. أبرز هذه التغيرات تمثلت بتكون الأغلفة الداخلية للأرض (اللب والجبة والقشرة) والأغلفة الخارجية (الغلاف الغازي والغلاف المائي والغلاف الحياتي..

فعندما بدأت الأرض بالتكون نتيجة لتجمع المواد الصلبة الصخرية المختلفة الأحجام والكثافات بالتفاضل أو التباين بين هذه المواد التي كانت مواد سائلة أو مائعة في بدايتها، فالمواد الثقيلة نزلت إلى مركز الأرض مشكلة اللب بينما المواد الأخف ارتفعت إلى الأعلى مكونة القشرة, والمواد ذات الكثافة المتوسطة احتلت الجزء الوسطي من الأرض بين القشرة واللب لتكون ما يدعى بالجبة أو العباءة

و بعد أن تصلب الجزء الخارجي للأرض وتكوّن القشرة الصلبة، حدث نشاط إشعاعي في منطقة الجبة التي لم تتصلب، كانت نتيجة هذا النشاط الإشعاعي توليد حرارة عالية في منطقة الجبة التي أدت إلى تكوين تيارات حمل حراري..عملت هذه التيارات على تشقق القشرة الصلبة وخروج الصهير من منطقة الجبة بشكل نشاط بركاني عنيف جداً. هذا النشاط البركاني أدى بدوره إلى تحرير كميات كبيرة من الغازات المختلفة التي تجمعت حول الأرض وتفاعلت مع بعضها لتكون الغلاف الغازي للأرض والذي كان يختلف في مكوناته ونسبها بشكل كبير عما هو عليه اليوم، إذ كانت توجد كميات كبيرة من الهيدروجين في الغلاف الغازي الأولي للأرض وذلك لأن الهيدروجين من المكونات الرئيسة في الكون كما هو معروف. وتواجد الهيدروجين (أما كان حراً أو متحداً الأوكسجين) مكوناً بخار الماء (H_2O).

نتيجة تجمع بخار الماء في الغلاف الغازي بكميات كبيرة كانت تساقط الأمطار الغزيرة التي تجمعت في المنخفضات الواسعة المنتشرة على سطح الأرض، وبالتالي تكونت المحيطات والبحار والأنهار والمياه الجوفية والمعروفة بالغلاف المائي للأرض،في النخفضات الناتجة من تباعد أجزاء القشرة الأرضية المعروفة بالإطباق الأرضية عن بعضها بسبب حركة تيارات الحمل الحراري.

بعد أن تكون الغلافان الغازي والمائي، أصبحت الأرض مهيأة لاستقبال الحياة عليها وتكوين الغلاف الحياتي للأرض..

أما القمر..التابع الوحيد للأرض، والذي قطره يزيد قليلاً عن ربع قطر الأرض. وسكان الأرض يرون دائماً نفس وجه القمر ولا يرون الوجه الآخر له، والسبب في ذلك يعود إلى أن المدة التي يستغرقها ليقوم بدورة

كاملة حول نفسه تتساوى مع المدة التي يستغرقها للقيام بدورة فلكية كاملة حول الأرض والتي تبلغ مدتها (27.3 يوم نظرية التصادم، فالقمر تكون نتيجة تصادم جسم ضخم يوازي قطره (قطر المريخ) بالأرض، فتناثرت عدة قطع نتيجة لهذا التصادم، ثم تجمعت هذه القطع لتشكل القمر. اصطدم هذا الجسم بالأرض بصورة مائلة، وهذا ما أدى إلى تناثر الجزء الخارجي منه ومن الأرض أيضاً، أما نواته فقد اتحدت مع نواة الأرض وذلك بسبب كثافتها العالية، الأجزاء الخارجية من الجسم ومن الأرض تطايرت لتدور حول الأرض، ونتيجة لتصادمها مع بعضها البعض أثناء دورانها هذا، التحمت مع بعضها مكونة القمر، لهذا نرى التشابه الكبير في كثافة القمر مع كثافة الجزء الخارجي من الأرض، فكلاهما تكونا من نفس المادة، حدث هذا التصادم بعد تكون الأرض بـ (60) مليون سنة...

أجاد حامد في رأسه كل علميات العلم.. فتمثلت له حقيقةً سوية ..

وكيف لا وهو يتحدث بأرض علمية رصينة صحيحة لاغبار فيها ابدا..

فشعر بأرتياح ما رسمه لنفسه من طريق قوي, فوّلدت عنده نمواً ورسوخاً بأفكارهِ التي خطّها طريقا له.. وعبّدتّهُ منابر العلم والعقل ..

وأن ماقد وصل اليه بتحطيمه كل الحواجز والقيود والاكبال والاغلال التي يتمرغ فيها البؤساء من عموم قومه الذين ظلوا فرحين سعداء بتعاستهم المريرة فيها.. او هكذا ظن..

طارت طائرة حامد الخاصة لساعات وثيرة في جو شاعري بهي يملئ طائرته الخاصة ..

وصل للمطار.. قرب الفجر.. وبكل عبارات التقدير المنهالة عليه من كل صوب وصوب..نزل من سلم الطائرة فوجد حشدا من الناس بأنتظاره تفاجئ بالامر..فكيف علموا بوصوله وهو لم يخبر اي احد بل قرر فجأة السفر..طيب ومن هؤلاء الناس .. نعم انه يعرفهم لانهم اهله وأهل حارته واقاربه ومن يعرف ومن لايعرف وقد أحضروا بعض الورود الرسمية ترحيبا بشخص حامد المهم وعلى المستوى الدولي الذي قد يمثل حتى العلاقات بين البلدين واكثر..

نزل بينهم وهلاهل الزغاريد تعلو فوق رأسه ترحيبا وفرحا وسعادة بمقدمه وكأنه أحد اهم الرؤساء الذي تتبارى لهم الاعناق مفتدية لمنصبه لا لشخصه

والذي حال ترجلّه من منصبه حتى تنهال عليه الانتقادات وكيلَ التهم وربما الشتائم ..وتتركع للقادم الاتي للكرسي الجديد..
أقترب الشروق من الولوج من رهب صمت الفجر .. والناس فرحى وسُعادى.. ولم تعرف أجفانهم أي لحنٍ للنعاس, وهم يستقبلون التاجر حامد العائد بمجد يصعب للجميع تخيله..
أتجه حامد الرجل الثري الذي يعكس ساعات الزمن ليلها ونهارها كيفما يشتهي وليست كماهي تفرضه عليه.. فهو يعمل اي شئ متى شاء دون اهتمام لليل او نهار..فالليل والنهار طوع امر أرادته..لا كما يحدث العادة.. بان ساعات هذه الفريضة مرهونة بقدوم الليل وانتهاء نحل النهار..
لم يشأ الذهاب للكثير من العروض المهيبة لضيافته وعلى شرفه.. لكنه قدّر انه سيبيتُ في بيته الفاجر في مجون الذكرى والبؤس البليد.. وكان من ضمن المستقبلين وبحرارة هو مالك دار أهله الذي حاربهم سنينا طوال لاخلائهم منه .. وهو يتباهى الان بأن هذا الرجل هو ساكن في بيته سابقا وإن أهله مازالوا لبيته مستأجرين وانه لمتشرف وسعيد بل ويتمنى أن يشرفوه بالبقاء مدى الحياة ومجانا ,, هذا الكلام الذي جرى غير ذي قبل عندما كان حامد يلتمس رضاه الذي لم يكن يوما راضياً عنهم والناس جميعهم يلومون ظلمهم له وكأنهم قد تركوا أملاكهم الشاسعة وتمسكوا بهذا البيت ليظلموه ..
ذهب حامد والانظار تلاحقه إعجاباً وحسداً وتضرعاً لرضا هذا الشخص الجبار ..ذهب للبيت وعيونه تتبرق لذكرياته التي لم تمضي طويلا.. ولكنها كانت كعشرات السنين ولا يعرف لماذا أدمعت عيناه (القاسية كقلبه الذي تحجر) في هذه اللحظات المتذكرة لايام ولّت ..
طلب شراء المنزل وبأي سعر..فرح صاحب البيت الذي تمنى من حامد ان يقبله هدية مجانية وهو يعني كلامه وليست مجاملة.. الا ان حامدا دفع له قبل دخول المنزل أراكيل ضعف المبلغ المستحق له... وأشار لاحد موظفيه بتسليمه المبلغ وأجراء الاجراءات اللازمة عندما يحين الصباح..
مسك قبضة الباب المتوهجة شوقا اليه ولايعرف لماذا قلبه يعتصر..
وهواجسه كلها مهتاجة ؟.. دخل للمنزل الحالك في الظلمة رغم بعض مصابيح تناثرت هنا وهناك يبدو انهم أشتروها حديثا بمساعدات حامد

العاجلة التي وصلت اليهم مقدمةً قبل مجيئه .. دخل لغرفته وفي قلبه حزّةً تحزّ صدره كله..جلس على سريره الذي لم يتغير وفراشه الذي كاد ان يكلمه.. حتى أنه حاول الدخول للحمام أشتياقاً لا لحاجة..
تأمل جدرانه, وسقفه الذي سرح فيه ليال طوال,ألتهم كل ذرة فيه ألتهاماً..ثم نظر لنفسه.. كيف له ان يشتهي البكاء حد الغثيان وهو قد قرر ان تنتهي هذه الحياة وتلك المشاعر وجياشتها.. والماضي الذي لن يعود يوما أبدا تحت جبلّة الغيبيات كما أعتقد.. والى مالا رجعة.. فهو سعيد.. فلماذا يحس بهذا الشعور الغريب؟؟..
نام على فراشهِ نومةً أفتقدها منذ فارقه.. والجميع يُسكّنُ بعضهم بعضا..
عشرات الناس منتشرين خارج الغرفة في هدنة ليهنئ حامد في نومه الذي يجدونه قد أرهق فيه شعره في رحلة طائرته الخاصة.. وهو الذي لم يكن يحفل به أحدا (قبلاً) ولو كانت تنزل عليه سكرات الموت أحتضارا...
بعد حوالي الظهيرة بقيلولة .. أستيقظ حامد وهو يهم بالذهاب لشراء البيت من ندى وأهلها, وليُشبع رغبته بالانتقام الذي وجد اهتمامه به ليس الا عقابا بطعم الانتقام ...أخبره موظفيه بجدول بعض السادة المسؤولين لرؤيته والتي رفضها ووكّل من ينوب عنه لملاقاتهم وتمضية بعض المصالح معهم..
أستغرب أمرا عجيبا في نفسه ..فهو لا يجد في نفسه أية رغبة أبدا لمغادرة بيتهم القديم..بيت الماضي بدون آت.. ولا يدري ماهذا الذي يجعله ممسكا به كأنه يجره بإيديه وأقدامه إليه جرا..وبصعوبة رمجاء ..غادر البيت وهو يَعِدُ نفسه مصبّرا إياها بالعودة حال توفر الامكان ..
وصل لبيت ندى مع بعض اهله ومحاسبيه وموظفيه وقد علم ان اهل البيت بانتظاره.. وبكل أفراد طاقم قطيعه.. وكانت على راس القائمة ندى التي أرتعبتْ في هندام مظهرها لتستقبل هذه الشخصية المهمة.. وهي طبعا لاتعرفه..بل لايعرف الجميع أيّا كانوا ماهية العلاقة المعرفية بينهما ..

دخل الفيلا وأستقبله نفس الطاقم االخدمي الذي أستقبله أخر مرة, وهو يطمع بكل تملق أن يكون موجودا لخدمة العائلة المالكة الجديدة لهذه الفيلا..
أقتادوهم بأحترامٍ بالغ.. وعبر روائح الفيلا المرتجفة في غياشم أنوفهم لباحة المنزل, وأهله يتطلعون فرحين فيما سوف يكون لهم من هناء..
هناك.. تقرّب من ندى.. سلّمت عليه احتراما وتقديرا شديدا.. لم تعرفه شخصه طبعا .. انما لمحت ان الملامح مألوفة لديها وكأنها تعرفه ... تطلّع اليها حامد بنظراتٍ صامتة لم تلفت من الحاضرين انتباها الا منها,, فجالت نفسها تحدثها (هذه النظرات أكاد اتقن معانيها.. وأعلم سجاياها..)
وبينما تتم الاجراءات فيما بين الموظفين وأهل ندى.. وحامد لم تفارق عينيه عينا ندى التي بدءت تشك في الامر وهي تطاوع نفسها المسترسلة بالسؤال (أيمكن ان يكون هذا حامدا ؟؟..الرجل البسيط البائس الوضيع..
لا..لا..مستحيل..أنا اشعر أن النظرات غير غريبة والملامح لي مألوفة..
وأرتحتُ لها, ولا اعرف لماذا ..كلا .. بل انه هو حامد نفسه.. يا ألهي ايُ حامداً وهو لم يرى وجهه في مرآةٍ صحيحة يوماً؟؟!..) وبينما هي تعيش معركة الاسئلة التي تلاحقها بها نظرات حامد التامة..طُلب منها ان توقع لإكمال العقد ..وانتهى الامر بزغردة اهل حامد الفرحين جدا بما آلوا اليه وكما فرح اهل ندى انهم تمكنوا من بيعها بسعر يحلمون به تحت طرُّ الاضطرار الطارئ, فظروف البيع والشراء لمضطرٍ دائما تكون في زاوية حالكة تشبعه ضربا على صدغ قلبه فيضطر العادة للبيع بجزء السعر الذي يستحق..
لم يهتم حامد بفرح اهله .. ولم تبالي ندى المخمورة بالاستفهام بالحال.. رغم انه لهم نجاة..وقبل ان تطلب من حامد سؤاله بلحظة.. طلب منها حامد أن يستفرد بها على جنب لدقائق.. فكانت لها طلقة الرحمة.. وكانت له هي لحظة العقاب الانتقامي..والانتقام العقابي.. الذي ربما انتظرها.. وربما تمناها ان تكون.. وفي غفلة من الاهلين المنشغلين كلٌّ بفرح ماتمكن منه ذهاباً.. وبعيدا في غرفة المنزل التي أصرّ على ندى ان تريّهُ اياها وأصرّ على ان تدخله تلك الغرفة(ويعني غرفتها) والتي كانت قد أرجئت الفكرة التي تمزقُ شكوكها قبل قليل.. لكنها تريدها الان كثيرا وبأقصى الدرجات..

دخلت الغرفة وأدخلته معها .. ولكنها سارعت فورا لغلق الباب وركعت عند قدميه.....

_قالت (حامد .. اليس كذلك؟؟؟؟..)

_(حامد) : نعم الرجل الوضيع الحثل الذي لايمكن أن يرتفع لمستواك .. تركعين عند قدومه..

_ندى وهي تحتضن قدميه بحرارة (ارجوك..ارجوك ... ياحامد .. انا لم اكن اقصد أبدا.. ولقد وبّختُ نفسي كثيرا..وحاولت التكفير عن ذنبي وسألت عنك في كل مكان حتى في مصرف الدم.. وقيل لي انك سافرت ولم اسامح نفسي يومها ..لاني تذكرتُ فيك رجولةً لا تتقبل الاهانة أوألاطاحة بكرامته..فأنت مكرّمٌ برجولتك الحقيقية).. وأردفتْ تقبل يديه وتتوسل.. ولكنه كان..غير مبالي

_(حامد) : الان يابنت الاكابر ..الان ..وقد قتلت فيّ كل مايمكن للورد به ان ينمو ذات يوم ..

ندى وهي تقبّل اليدين وتضمهما الى خدها وحامد ليس يبالي..يريد ان يعيش لحظة العقاب الانتقامي ليرضي في نفسه كل شئ.. فهو الثري الذي لايمكن لنفسه ان يظل بها حاجة لاي شئ..

لقد زرعتكِ حلما..
في مخابئ أحداقي..
فأثمرتِ سُمّاً ..
مزقَ خُضر أوراقي..
ونبضّتِ بي ذلاً..
أراقَ كل أشواقي...
فتبحرّتِ صخراً...
أمات نور أشواقي..
وتناثرت عصراً..
أزمنتِ.. للا تلاقي..
وأنديتِ بي بللاً
فَبَعدُ..لا لإحراقي..
فمثلك صار جداً

جداً بأرخص الاسواق

_(ندى) : أرجوك ياحامد سامحني ..إقبل مسامحتي..واغفر لي ذنبي الذي لن ارتاحه الا بغفرانك لي..ارجوك سيدي وأميري ومليكي.. ومولاي حامد فانت رجل احلامي منذ كنت صبية مراهقة ..
لم تحرك الكلمات في قلب حامد شيئا ..فقلبه الذي تكسى بقشور القسوة الغليظة لم يعد يعرف للمشاعر مجالا في مكان..بل انه وجد تبريرا يغطي كل توسلاتها ((محللاً للموقف كعادته المستمرة في التحليل والتي كانت تصيب دائما..أو هكذا كان يرى ..)) حلل توسلاتها بأنها بسبب الحال الذي آل اليه من ثراء..لكنه كان يريد منها ان تُكلئ أذنيه بانغام التوسل كما الاهانة العمياء التي تذوّقها بمرارة من قبل .. والتي.. التي ربما يشكرها هو لها في داخله لانها كانت السبب لما هو فيه..او هكذا يظن ..وكيف لا.. وهو الان حلم كل فتاة وغاية طموح كل شاب ورجل وطفل أن يصل لجزء من أجزاء موظفيه..
ظلّت دموع ندى تمطر برعدِ نشيجِ بكاءها.. وبرقُ عينيها المتضرعة لحامد الذي لم يعرها اي اهتمام.. وكيف يغفر لمن رمته طريّاً لذئاب الزمن...
وتريده ضعيفا وقد أسرى كل الذئاب بيديه المجردتين ؟أ. فأي غلاظة قلب مَحتْ ايَ أثرٍ لضعفٍ او رحمةٍ او لحظةِ لين..

دمّري في الحواس... فانا قد صرتُ صعب المراس..
تعالي أسألي رهقي...تعالي أسالي عني الناس
فما عاد يعنيني.. كبر قصرك.. بحراس
سميع بصري منكِ.. تلاشى.... وأوراد الاس
فما كنتِ ابدا إلا .... زجاجاً ظننتهُ ماس
فرَقَهُ شفهك.. تراها احلامُ ماقبل النعاس
فمدينتك الكذباء مداها...ذهبٌ.. صدّقهُ نحاس

رفس ندى برجله وهي تصهّل بشهقات البكاء وقد دارت بها الايام وأعترى منها كل نضارة الصبابة التي كانت تجلّت كثيرا في الاشهر الاخيرة بعدما

هزّ بيتهم مشكلةً شرخته..فلم تجدي ابدا توسلاتها به مرة أخرى وهي تتوسم فيه ما عهدته منه من شهامة وشيمة (كانت له سابقا عنوانا) ان يرحم مرضها النفسي فهي لاتنام الا بحبوبٍ وعلاجات مهدئة كثيرة... ظلّت تناهج البكاء الذي ربما اعتادت عليها منهج ليلها الطويل بأرق وحدتها الرهيبة...
خرج حامد من الغرفة وهو يكتسب مُلكاً كل ذرة في هذا البيت قد ضحكت عليه بأستهزاء وهي الان تقف له إجلالا كبّارا..
ترك الفيلا بعدما سلمها نجيةً لأهله صرعى البؤس..وأعطى لكل اهل الحي أموالا لم يكونوا ليتصوروها غداة نومهم العميق إثر انهاك الاعمال لإعضائهم المتمسكة بهم فماهو حالهم الا ليخدموا بهذه الاعضاء أغنيائهم المتعبين بعدِّ الاموال بلغات عدة..أو كما يرى حامد بمنظاره الذي وجد فيه حلا لبرازق لغزه...
مشى في الطرقات وهو محمي برجالات رسميين وأخرين متخصصين بحماية المهمّين كلهم موجودون ليهتابوا عليه من نسمة الهواء العابرة أذا هبّتْ..
أطال النظر الى الشوارع المكتسية في بؤبؤ عينيه والتي كان مشيه فيها قديما موجعاً لصدره الحالم بأماني لم تكن لتجروء على القدوم في احلامه..
حامد الذي كان كل جسده هباءا منثورا وعطية شهية لأفاعي الزمن دون اي اعتبار من اي كان .. صار يمشي بخطوات يحسب لها الناس الف حساب وحساب..هنا حيث كان يحكم مصيره (هو وعموم ناسه) يحكم مصيرهم رجالات أقروا مصيرهم بخط ايديهم فجعلوهم عبيدا لهم طوعا وكرها...
ولكلهم جميعا ..ماضيا متوارثا متشعبا في أدق تفاصيلهم الحالية والحاضرية للمستقبل.. ومن منظور (ميديا لوجي) ..كما وصفها عالِم الاتصالات (صامويل بيكر) الذي يرى أن المجتمع يفسر نفسه لنفسه من خلال وسائل الاعلام..
حيث يمكن فهم مجتمع ما بدراسة أنواع التأثير فيه كالاساطير والقصص والروايات وكما هو حال وسائل الاعلام والتي تعبر عن الوعي المجتمعي والشعبي، وتعكس في الوقت ذاته قيم المجتمع ومعتقداته.
ولأن الاتصال هو عملية تبادل المعاني واحيانا تتم من خلال الاتكاء على وسيط لغوي، حيث أن كلاً من المرسل والمستقبل يشتركان في إطار دلالي

واحد، بحيث ينظر إلى الاتصال على أنه عملية تفاعل رمزي، ومن خلال التفاعل بالرموز اللفظية, او من من خلالها تحقيق معاني مشتركة (متطابقة) بين الشخص الذي يقوم بالمبادرة بإصدار الرسالة من جانب، والشخص الذي يستقبلها من جانب آخر.

وكما ان للإعلام خمس وظائف رئيسية هي (الوظيفة الإخبارية..والتوجيه بتكوين المواقف والاتجاهات..وزيادة الثقافة والمعلومات...وتنمية العلاقات الإنسانية لأيضاح مدى نزاهة المبدئية ...والترفيه وتوفير سبل التسلية في قضاء أوقات الفراغ...والإعلان والدعاية...

كذلك أيضا نرى التحرك التوجهي للاديان المنحدر من تلك الصيغة... وبحسب مايجده المنزلقين منه تاريخا ..فهم يحاولون ايصال اخبار الماورائيات.. وإثراء المعلومات بِنية إنهم يملكون من العلم ما يجهله الاخرين..

وبالشعارات الرنانة التي تدعو الى توثيق العلاقات الانسانية كمبدئ ومبادئ..ومن ثم الوعود بالتسلية التامة لتجزية الايمان بهم في الخلود التام لتمضية الوقت الغير منتهي..

وللدعاية والاعلان رجالاته المندفهعة بحزم وسحق كل من يقول غير ما جاءوا به.....

ومثلما نرى العلاقة بين نظريات الإعلام وفلسفته في بحث العلاقة الجدلية بين الإعلام وتطبيقاته في المجتمع ، أي تحليل التفاعل بين أسس الإعلام كعلم وبين ممارساته الفعلية في الواقع الاجتماعي، ولأن نظريات الإعلام جزء من فلسفة الإعلام، لأن فلسفة الإعلام أعم واشمل من النظريات ، وكثيرا ما شاع استخدام نظريات الإعلام الفلسفية كمذاهب الإعلام، ولكن في واقع الأمر أن استخدام تعبير نظريات الإعلام كان في مجمله انعكاسا للحديث عن أيديولوجيات ومعتقدات اجتماعية واقتصادية أو الحديث عن أصول ومنابع العملية الإعلامية (مرسل، ومستقبل، ووسيلة ...الخ)

وكما ترتبط النظريات بالسياسات الإعلامية في المجتمع، من حيث مدى التحكم في الوسيلة من الناحية السياسية للجهة الحاكمة المتسلطة والتي فرضت سلطتها عنوةً ، وبفرض الرقابة عليها وعلى المضمون الذي ينشر أو يذاع من خلالها، فتسيطر عليها تماما.. وكلاً في عصره.. وتحت عنوان نظرية السلطة على الاعلام .. وبالتالي على التاريخ المكتوب والذي أصطنعه اعلام تلك الحقبة .. او التي تليها...

فنظرية السلطة التي اعتمدت في كثير منها على اساسيات أفلاطون وميكافيللي، والتي ترى أن الشعب غير جدير بأن يتحمل المسؤولية أو السلطة فهي ملك للحاكم أو السلطة ... او الجهة الفارضة أمرها بالقوة..التي يشكلها.

وتعمل هذه النظرية على الدفاع عن السلطة، واحتكار تصاريح وسائل الإعلام،ومصادرة الاراء قسريا حيث تقوم الحكومة او الجهلة المتسلطة بمراقبة شديدة لما يتم نشره للمجتمع، وتحضر حضرا شديدا وسائل الإعلام من نقد السلطة الحاكمة؛وكما يحدث الان في دولنا بمسخ الحرية, وإذ يتم السماح للقطاع الخاص على إصدار العديد من المجلات إلا انها وسائل إعلام خاضعة تماما للسلطة الحاكمة.

وكما عبر (هتلر) و(فرانكو) في ظل التجربة الأوروبية المعاصرة، برؤيته الأساسية للصحافة بقوله:

"انه ليس من عمل حرية الاعلام أن تنشر على الناس اختلاف الآراء بين أعضاء الحكومة، لقد تخلصنا من مفهوم الحرية السياسية الذي يذهب إلى القول بأن لكل فرد الحق في أن يقول ما يشاء".

ومن الأفكار الهامة في هذه النظرية أن الشخص الذي يعمل في الصحافة أو وسائل الإعلام الجماهيرية ، يعمل بها كامتياز منحه إياه الزعيم الوطني ويتعين أن يكون ملتزما أمام الحكومة والزعامة الوطنية...!!

جاءت نظرية حرية الاعلام..إذ ذُبحت في عقالات بلادنا قبل ان تولد..

حيث رأت الحكومات أن وسائل الإعلام أصبحت تحت شعار الحرية تعرض الأخلاق العامة للخطر، وتقحم نفسها في حياة الأفراد المتنفذين دون مبرر، وتبالغ في الأمور التافهة من أجل الإثارة مما قد يسبب لهم احراجا وكشفا لعيوبهم والفساد.. ورأوا انها لاجل تسويق المادة الإعلامية فقط..

فالحرية تعني لأصحاب السلطة (او كما يرونها) هي الفوضى الذي يسيء إلى المجتمع ويمزقه بقصد تحقيق الربح الاكبر لان المجتمع يجد فيها الطرح الذي يريد ان يقوله .. ويخاف..

وبحجة نظرية المسؤولية الاجتماعية التي يدعيها السادة اصحاب السلطة...

وبنظرية الاستنتاج في التقمص الوجداني بأن يلاحظ الانسان سلوكه المادي المباشر , ويربط سلوكه رمزيا بحالته السايكولوجية الداخلية.. اي بمشاعره وعواطفه..

وفي صناعة الأسطورة" و "الأنمذجة".. لوسائل الإعلام دوراً هاماً في توسيع مدى تأثير الأسطورة في الثقافة الإنسانية على مدار الزمن ، انطلاقاً من الراوي البدائي .. والرواية ، مروراً بالأجهزة الحديثة ووسائل الإعلام السمعبصرية (المرئية والمسموعة والمقروءة) وصولاً إلى الوسائط المتعددة (الملتي ميديا)..

ومن تلك الوظائف هي الإعلام المدرك ":خلط النمط الإجتماعي"(أسطرة الشخصيات) لجعلها قدوة تحتذى.. وهناك علم حديث يبحث في (بناء الشخصية)، والذي يستفيد منه الان القادة ومرشحو الرئاسة الدول في أنمذجة أنفسهم (أو أسطرتها) للدخول في معترك الانتخابات. ويلجأ إلى ذلك رجال الدعاية في حملاتهم الدعائية. وكما تلعب اليوم وسائل الإعلام في صنع أسطورة النمط الإجتماعي، ولو شاء يلعب الإعلام دوراً في تحطيم الشخصية لفعل فكل شئ بيد السادة المتحكمون ومتنفذي السلطة.. فالإعلام له قوة هائلة في صياغة المواقف ، كما أن الدراية بقضايا الإنسان وسيكولوجيته تكسبه قدرة إضافية على توجيه الإنسان (أو برمجته)، لتخلق منه مادة طيّعة استهلاكية أو خدماتية...

كما في الوقت الحالي .. فلقد وجّه الباحث الأنثروبولوجي (مارسيا الياد) إصابع الاتهام لوسائل الإعلام والنخبة ورجال الفكر عموما، في تعميق الأسطورة وتعميمها، حين كتب في كتابه "مظاهر الأسطورة: "

"كل بدعة صارت يحكم عليها سلفاً بأنها عمل من أعمال العبقرية ومساوية لإبداعات فان غوخ أو بيكاسو، سواء أكانت مزقاً أو علبة سردين موقعة من فنان."

حيث خدمت الأسطورة اهدافها في التوجه للمستقبِل (بكسر الباء) والسيطرة (أو التأثير) عليه. وكان للنخبة الحديثة دورها في هذه العملية . إذ أنها تتحمس للتجريد واللامعقول في الأعمال الإبداعية..

وذلك لأنها - أي الأعمال الإبداعية - تمثل عوالم مغلقة ، كثيمة، لا يمكن النفاذ إليها(أو فيها) بسهولة .. فالنخبة تستهوي الغموض وما يوازي الاستسرارية (من الأسرار) لدى المجتمعات التقليدية. فـ (الأسرار تصل الكبار ويحتفظون بها وبالتالي بيدهم المعرفة والسلطة

كما النخبة الحديثة يستهويها المباهاة أمام الجمهور (الآخرين) بالانتماء إلى أقلية سرّية (وفي الأغلب يسارية لا أرستقراطية) أقلية تصهر هذه النخبة في كنفها.
كما الان..ففي النخبة الحديثة (ليست كلها طبعا) ترى في العلوم المعاصرة هرطقات بائسة تدعو للإحباط لانها لاتتناسب مع مدعياتهم التي اعتمدوها لاستعباد الشعوب..
ونرى النخبة تقدس الأصالة الشاذة والصعوبة وعدم قابلية الفهم..وهي(أي النخب الحديثة) بذلك ترسم خط انفصالها عن العالم العادي. وبذلك فان النخبة تعبر عن شهوتها في الكشف عن معنى للعالم والوجود البشري، معنى سري وجديد ، غير معروف..
كما بأستخدام نظرية " التأثير النائم "... إلى ما ورائيات الصور المرئية، بحيث يجعل تأثيرها يتسلل إلى ذاتك وقلبك وعقلك في حالة استرخاء وعلى حين غفوة... فالصورة في بعدها تفاعلية رمزية ـ غير واقعية..
فبنظرية الاتصال يتم بمقتضاها تفاعل بين مرسل ومستقبل ورسالة في مضامين اجتماعية معينة، في هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات ومنبهات بين الأفراد عن قضية، أو معني مجرد أو واقع معين)
فالاتصال عملية مشاركة بين المرسل والمستقبل، وليس عملية نقل ..إذ أن النقل يعني الانتهاء عند المنبع،أما المشاركة فتعني الازدواج أو التوحد في الوجود، وهذا هو الأقرب إلى العملية الاتصالية، ولذا فأنه يمكن الاتفاق على أن الاتصال هو عملية مشاركة في الأفكار والمعلومات، عن طريق عمليات إرسال وبث للمعنى، وتوجيه وتسيير له، ثم استقبال بكفاءة معينة، لخلق استجابة معينة في وسط اجتماعي معين... بإشارته ورموزه...
وبقاريء الموضوع والخبرة الثقافية والاجتماعية التي كونته، والإشارات والرموز التي يستخدمها...الوعي بوجود واقع خارجي يرجع إليه الموضوع. ويكون من الضروري اعتباره تطبيقا لثلاثة عناصر:العملية-الوسيلة-الهدف.
ولتأتي نظرية الاتصال المبنية على عناصر مهمة وهي المصدر..
والرسالة.. والوسيلة.. والمتلقي (المستقبل) ..و (رجع الصدى) أو رد الفعل.. والتأثير..
ونظرية الاتصال بالتواصل الإنساني في نموذج البنائية..والتي لا يمكن فصلها عن السياق الاجتماعي والتاريخي الذي نشأت منها..فالجوهر أن ننظر في نظرية الاتصال كما أسلوب (لانهام ريتشارد) والأداء الذاتي حيث الانضباط المتشكل من الدراسات الثلاث الرئيسية الأخرى : علم النفس ،

علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا.. فقانون الاتصالات الذي يقول "جميع الذين يعيشون هم في تواصل الكيانات والكائنات والمخلوقات." فمن خلال الحركات والأصوات ، وردود الفعل ، والتغيرات الجسدية والإيماءات ، واللغات ، والتنفس ، إلخ.. فالاتصال هو وسيلة للبقاء على قيد الحياة. -- مثال (صرخة طفل الاتصالات أنه جائع ، أو الأذى ، الباردة ، وما إلى ذلك ليتصل الذين يعيشون في سعيها من أجل البقاء. " وكما ان الاتصالات تتجزء الى (الالية) لتعبر عن عملية كمال رسالة من المرسل إلى المتلقي..و(النفسية) : لتعبر عن الفعل من إرسال رسالة إلى المتلقي ، ومشاعر وأفكار المتلقي على تفسير الرسالة.. و(الاجتماعية البنائية): وهي وجهة النظرالتي تعتبر الاتصالات ليكون نتاج تقاسم وخلق المعنى..و(الانطولوجيا) في البناء الاجتماعي على جانبي الجدار بين الواقع الموضوعي والذاتي.. فالحقيقة هي ما نخلق بافكارنا .. و(نظرية المعرفة) وهي ان الموضوعية تكون نتيجة لنظرة منهجية في العلاقات السببية للظواهر..وبنظرية الذاتية التي تستند على المعرفة التي تقع عادة باستخدام منهجية التفسيرية مثل الاثنوغرافيا ، وكذلك المقابلات.
وكما النظريات الذاتية لتفسير أو فهم الظواهر الاجتماعية في العالم..
وكذلك بعلم القيم... ووضع الاحتمال النموذجي ،و نظرية التلقيح..والخطاب والتفاعل وتطوير العلاقات ونظرية الاختراق الاجتماعي ،, ونظرية الأنظمة ذات العلاقة الجدلية كما نظرية حارس البوابة المعروفة.. كلها تناسلت لتنتج من واقع اعلامي مُستغل لكل معانيه في توصيل وحربكة وحياكة وحكرة وحككحة وتحبيك الفكرة التي تُصاغ ولتصل الى اهدافها سلطات الاقوام والحكام في كل زمان ليكون لمن بعدهم قانونا وشرعة ومنهاجا وأكبالا لمدى العصور .. تكون لمن يحيد عنه عواقب لاتقدر ولاحتى بقطع الرأس.. او هكذا رأى حامدا..

قرر العودة في اليوم نفسه لان قد حان له الان ان يرفع رجليه عن دواسة مكابح لذته المفرطة في تحقيق كل لذة يمكن ان تكون في هذا العصر الذي هو من رجالاته المهيمنين...
قال لموظفيه (اريد برنامجا شاسعا لمتعتي وبأعلى مايمكن وكيف كان ان يمكن وفي كل العالم صعودا ونزولا).. وياليته كان يطلب حامد من

موظفيه الذين قد توسلوه دائما وكان يقول لهم ليس الوقت قد حان..
وبلحظات كان البرنامج الراقي وبإعلى أرقى المستويات قد أُعدَ له مع احلى واجمل المتع والترف والصبايا والسيدات ومن كل الاشكال والالوان والاقطار والجنسيات ومالم تخطر على بال..
وبطائرة خاصة .. تناثر فيها كل ماطاب من مشارب ومآكل وترف مرغي..طار حول العالم ماأستطاع, وركب الامواج في يخوت فخمة ومعه كل مايشتهي, وبات لاسابيع مع أجمل الشهيرات من كل حدب, وتناثر في أجنحة افخم الفنادق مع روائع عارضات الازياء والمغريات, ورتّع في أحلى السواحل المغطاة بذهب الرمال في احلى الجزر الطبيعية سحرا..ولم يبقى شيئا من بعيد أو قريب الا وقد اشبع منه رغبته..

أنا الذي هشمّتُ صخر الحجاب..
فتهشمت معه انغام الشباب
وجبالي عتيقة عتق الزمانِ..
ورموشي تجحفلت لون التراب
وسرايا أضلعي مني تعاني
وطموحي قد ضحى عشق السراب
وقيودي عانقت بُعدَ العنان
وشروخي فارقت كل الصحاب
وسمائي زاولت كل مكان
وأحلامي هاجرت.. مر السحاب...

لم تبقى خيمة متعة في واحة الارض التي وجدها صغيرة بإحساسه..الا أطال الاقامة فيها.. راويّا لكل جارحة فيه..
لكنه...لكنه..لكنه في اصل عمقه لم غير سعيد !... لم يكن يرى نفسه انه قد وصل ذروة السعادة التي يبتغي ... هناك في عمق محيط قلبه نقطة بعيدة جدا سوداء ...لم تتمكن كل انواع الوان الثراء من حط الاصبع عليها... لم

تتمكن كل انواع السعادة الغدِقة ان تصل اليها.. لتعرفها.. وتفهمها .. وتضيئها ...
تشاقر أنواع المتع من جديدٍ وأخرى يهيهم بها سرا وعلنا ..بمجون مبتذل وبرقي عالي الكياسة.. لعله يدرك هذه النقطة التي عكرت عليه محيطا من السعادة...هذه النقطة التي تحيل جنة احلامه السعيدة كجحيم لايعرف ماهو.. مضت الاشهر تحوك بعضها نسيجا من العمر.. وهو يعاني السعادة المعتصرةُ ألما خلف هذه النقطة التي أخفت محيطا وسع الارض..أحس بالقطرة المنغرزة في عمق المحيط سراً.. قد نمتْ.. وبدءت تكبر في صدره علناً.. نظرَ الى نفسه فوجد الزمن قد خطّ خطوطه الاكيدة في وجهه.. وطبعا هذا غير مهم له ولأعتبارين أولهما ان كل الكل مالهم في شكله وعمره شئ ذا معنى وهو الثري الذي تتمناه اجمل الجميلات.. وثانيا ان خبراء التجميل المختصين في كل الدنيا رهن اشارته .. لكن ليس هذا مايزعج حامد ويربكه حد ارباك مضاجع سعادته الغير منتهية .. انه يشعر بان كل يوم يمر يُنقص من عمره المرتحل لمجهول لايعرفه..علل تلك النقطة السوداء كثيرا وكان أخرها هو ربما بسبب أزمة أرتحال العمر .. والتي تمرّ بالبشر عموما..لكنه وجده عذرا وتبريرا باليا لم يطمث فيه ولا حتى اقترب من تلك النقطة السوداء..فهو ليس من الرجال الذين تطيح بهم أزمة مابعد منتصف العمر التي تصيب الناس ان لم يحققوا مايصبون اليه طموحا فيرون ان العمر قد سرى بركبه بعيدا عنهم.. أو: لانهم يعيشون حالة من الغياب الجنسي الذي يرتع في خيالاتهم النضرة فلايجدون تمامه في سلال فراشهم الزوجي من شدة الوصايا التي يتناولوها صباح مساء تحذيرا من الوقوع فيما هو قد يكون محرما وبالتالي تمنعهم من الانطلاق بارض جنسهم الزوجي وكيفما تشتهي تخيلاتهم الرغدة, التي رغم ارتوائهم الجسدي لكنها ابدا لاتروي ضمأ روح أنفسهم العطشى بشكل غريب لتأتي بما في خيالها..أو كما تشتهي.. فليتجئون الى الرذيلة كما يصورون لانفسهم ذلك .. فتكون الخيانة الزوجية لهم أزمةً لما بعد منتصف العمر.. وغالبا ماتكون زوجاتهم هم

السبب الاوفر بهذه الازمة.. لانهن لا يقدّرنّ تلك الحالة الشديدة الحدة والصعوبة جدا بداخلهم..
هذا كله لم يكن من حامد بشئ..لكن لم تسكت كل الابهة الفارهة صرخات تلك النقطة السوداء الغامقة التي كسفت شمس سعادته..
بدء الامر يكبر معه تدريجيا.. وبدءت تفقأ أعتباراته تباعا... انه ليس بقلق على تجارته المتفتقة دائما ومن غير متابعتها حتى..وهل يهاتئ خوفا من له من الثراء مايجعله يستحق كل لحظة فيه سعادة؟؟!..
ابدا.. ابداً فلقد ملّ السعادة ملاّ.. وملّ كل اساليبها التي وجدها تافهة بعد الوصول لقمتها وكانت السعادة هي كيف تصل اليها وتحلم فيها وما يصادفك في الطريق ببساطة هو اجمل بكثير من الوصول لقمتها المحترقة مللّا ..
ملّ كل شئ .. فكل شئ ملك يمينه .. وهناك مايطرق جمجمته حد التصدع .. لا يعرفه هو ..
ايمكن ان يكون مللّا لانه دون هدف يسعى له فكل شئ في مرماه؟ ..
ايمكن ان يكون تأنيبا لضميره الذي قرر قتله في قرار حل لغزه الذي تصوره في بداية مشواره الذي اختار؟ ..
أيمكن ان يكون حنينا لماضي ارقام شبابه البائس؟؟؟..
ايمكن ان يكون خوفا من المجهول؟؟..
ايمكن ان يكون شعورا نشويا يصيب الانسان بعد تحقيق كل شئ؟؟..
ايمكن ان يكون كلام شيخ الحارة ان السعادة لاتكتمل بثراء الدنيا المادي؟؟؟.
ايمكن ان يكون معيشته الحمراء هي معيشة فردية فيشعر ان اهله المصطلين فيما مضى لايعيشونها فيحسُ ان سعادته غير كاملة .. لكن اهله

من اثرياء بلدته وهم دائمي الاتصال المستمر به ولاتخفى على احدهم خافية من مصلاب سوح سعادته..
قرر العودة الى بلدته..عسى ان يجد ظالته ويعرف سر هذه النقطة القطرة السوداء في محيط سعادته والتي تشقُّ عليه أنفاس ليلاه وصبحاه..
في خلال ساعة كان يركب السماء جواً عائدا من أحدى جزر مجموعة سعادته التي أنقطع دابرها عند هذه النقطة السوداء..
قريبا...و قبل الشروق بدقائق تطلع.. الى السماء عبر شباك طائرته.. لكن هذه المرة بغير عين كل مرة .. تأمل فيها وفي الارض التي تحطّ رحالها بصلادة هادئة تحت طائرته الخاصة.. بزغ الشروق بحلة برتقالية هدباء.. امعن النظر فيه وكانه يراه لأول مرة .. هذا الشروق الذي شرق على الارض بنفس بهاءه المنتظم وقبل حتى بدء الخليقة على الارض..أنه نفس الشروق الذي رآه أجداد أسلافنا ومنذ القدم الاول ولاندري من سيظل يراه

بنفس الشراهة السامية كسحرٍ لامثيل له.. تعبيرا عن سير الزمان والارض والشمس والمجرة والكون كله..
صرخ حامد :
(ايها الكون الجليل.. قلي الى اين تتجه مسيراً ؟..
الى اين تأخذني وتجرني معك ؟..
اخبرني شيئا عن مجاهلك التي إجاباتها أستفهام ؟..
أخبرني ماهو سبب وجودك كله..بل ماهو سر وجودنا جميعا..
لقد بلغتُ الذرى في هذه الدنيا ولم أشعر بأني أُتيت جوامع السعادة ولا اجزائها الكاملة...
ولم أشعر باي سبب لوجودي...
فليس السر ان اتمتع ..
وأقف عند حدّك المبهم ..
سأُجن وانا لا اجد ذاتي في كل هذا الكم الكبير من السخاء..)
صرخ حامد.. متوسلا ..
سمع موظفيه القابعين في خانة الطائرة الخلفية متوسدين الخدمة لاي امر يشاء..
صرخ عبر شباك الطائرة الحالق (اجبني ايها الكون .. اجبني ولاتتركني صريع الطرق المجهولة الغامضة الحلكة السوداء والإبهام المُستفهم...
شعر برغبة كبيرة بالبكاء لولا انهيال الموظفين عليه يسئلونه عما يريد ومالذي يزعجه ويؤلمه؟..صمتَ وعيناه تجاوبهم.. بعضهم ببعض (أن ليس فيكم من يجيب أجابتي..إن ليس فيكم وربما ليس في كل الارض من يجيب اجابتي..)
وصلت الطائرة في أرض بلاده.. لم يشعر بأي تعب جسدي.. فتعبه كان فكري..عقلي..نفسي.. أحس بالنقطة السوداء في محيطه قد صارت بقعة واسعة المساحة...لم تنفع معها كثرة الادوية الطبية المهدئة والمسكنة ولالوانها السابحة في غمام فقدان الذات والوجدان..فلقد وصل حامد بعد كل ماجرى وتصور الى طريق مسدود..ومسدود جدا ..
لم ينزل في فندق ولا عند اخوته الذين أصبحوا من اثرياء القوم .. ولاعند أصدقائه من كبار القوم وانما اراد ان يمشي في الطريق بعد ان اتفق مع

ثلاثة من رجال حمايته ان يتسلل بسرية وبتنكر كامل لكي لايعرفه احد.. كي يرى حريته التي يريد عسى ان يجد ضالةً من ضالاته..وبعد إصرارهِ الغاضب عندما حاول حمايته الشخصية منعهُ خوفاً على شخصه.. فوجدوا إنه لابد من الاستجابة له.. وإلا فسيكون مصيرهم الطرد..واشترط عليهم ان لايلاحقوه خلسةً اينما ذهب وهرب.. واذا شعر بإحدهم فسوف يلاقي مصيرا أسودا..

انطلق خفيةً وهو لايشعر بأهمية كشف أمره أو.. لا.. كان هائما كالطفل الصغير التائه في سوقٍ كبيرٍ مكتظ بيوم يسبق العيد.. مشى.. ومشى..

ومشى.. وعيناه لاتغفل عن تأملات ماضيه الذي لايعرف سر تحسّره عليه كل التحسر..
هناك.. وفي وسط الطريق وجد إمرأةً مسنةً كبيرةً.. ضريرةً,عمياء.. تجلس جانبا من الطريق.. جلوس المتسول..أو هكذا يبدو.. أخذته رجلاه اليها ..
حاول الجلوس بقربها وقد تنكر بلباس بائس لايدع شكا فيه لإحد..
حيّاها بتحيةٍ..فردّتْ عليه بأبتسامةٍ عريضةٍ ملؤها
الراحة..والسعادة..والامان..!!
_حامد : كيف حالك ايتها الخالة..؟؟
_المسنّة: الحمد لله.. بخير خير حال..
_حامد : (بخيرٍ حال؟؟؟!!..) إستنطقت هذه الكلمتين كل براكين وزلازل حامد..لا إراديا.. فشعر بالدم يكاد ينفجر من ماسورة رأسه المستفهم..
فقال في نفسهِ (إن هي ألا كلمات تواردناها.. وطبعا لا نعني فحواها)..
فأستطرد قائلا:(الا تجدين نفسك تبالغين بعض الشئ في جملة المجاملة؟..
ثم لماذا انت جالسة هنا؟..) قالها مستفزاً
_المسنة : لا ابدا.. أنا لا أبالغ.. أنا بأحسن أحسن حال.. والحمد لله..وأنا جالسة هنا ..فانا ضريرة ولاأرى من نور الدنيا بهاءها شئ.. وربما إنك لم تلاحظ عربتي الخاصة للمعاقين .. فأنا بلا قدمين ..
صّعق حامد لكلامها الذي نزل كالصاروخ الذري والقنبلة النووية.. تُذري كل شئ في قلبه.. وعقله.. وفكره.. ومعادلاته.. وماقدّره سابقاً..
_حامد : أبلا أرجلٍ انتِ؟؟.. وضريرة؟؟.. وسعيدة؟؟؟
___المسنة : الحمد لله .. بل وبكل سعادة تتصور... فالحمد لله الذي أبتلاني ليجزيني في آخرتي.. القادمة.. القريبة الدنو مني.. ومن كل مخلوق.. خير الجزاء على صبري.. وسعيدةً أيما سعادة.. لرضاه علي.. لرضايّ على ابتلاءه وشكره..
تمارت الكلمات في أذنه..يستنبط عزيمتها الغوغاء..
فهاتف نفسه: (أها..آلآخرة أيضا.. ومن جديد.. تلك الكلمات التي تُصبّر حتى من مثلك على بلاءاً يقلّ مثيلهُ بين أجناب جنسنا البشري..سيدتي المعذّبة بحليف عسر عيشها..وعوَّق أعضائها..تتبنى كلمات العزاء من مصابٍ لا مفر منه..هنيئاً لكم ياسادنة تلك الكلمات.. فقد أتت أُكلها بكل ما خططتم له..

حتى لمثل هذه المعاقةُ بكل شئ.. وتمرغوا أنتم كما أتمرغُ أنا في بحار حرير سعادة ما تجره أنفاسنا على بساط هذه الارض القديمة المخمّرة بنا)..قال كلماته مستسخرا..
لكنه يشعر بشعورٍ غريب إنه ليس بمقتنعٍ بكلماته مثل ايام ماضيه الخوال..أيام الحرمان والفاقة والفجوة التي كان يريد أن يملئها بصديد معادلاته الذكية كما ظنّ, ويظنُّ, تبريراً لإعتلاء منصة إشباع غرائزه..أو كما كان يقول.. ردَّ أعتبار كرامته المُهانة تحت وابل الفقر المرير..لكنه الان يجد حسرة لايعرفها في تلك السعادة..
الان وهو يمثل واحدا من إولاء الاثرياء الكبار.. لكنه لم يجد ما يملئ صدره الصغير جدا نسبةً الى هذه الدنيا الكبيرة.. رغم أن كل شئ ملك يمينه.. وشماله..
سأل حامد المسنة : الآخرة..؟؟!!.. أنا لا أؤمن بتلك الخزعبلات.. المقصودة التهريج للبذخ فوق رؤس البسطاء بها (بالماورائيات) بما سوف يكون من بعد موتٍ وانتهاءٍ وفناء..
فأنا وجدت ان الهندوس البالغين حوالي المليار شخص وحدهم لديهم مليون الهة.. فانا ارى ان هي الا ابتذالات صنّفها الانسان من قديم ازلهِ ليفسر ظواهر طبيعية او كونية عجز عن تحليل تفسيرها قديماً فأعزاها الى الغيبيات والارواح.. وأنتهت بالالهة التي تعددت على مر العصور فصارت بإسماء واساطير عدة يشهد لها التاريخ والعالم كله..
ولكي تسير قافلة هذا الانسان ضمن مجتمعات تطوّرتْ اراد ان يسنّ قواعد الاخلاق وتحت مسميات الذنوب والعذاب بما سيكون من بعد انتهائه.. او الاعمال الحسنة من بعد صبر على فقر وابتلاء وذلة اوطريق قويم ارتضاه الانسان لنفسه ضمن قالب الطريق المستقيم فيظل مشكوما بوعد: (إنّ مالم يحصل عليه الان سيحصل عليه بعد موته..أو في قبره..) تلك الحفرة التي يراها بمنظار عينٍ دنيوي فيتخيلها بخيالاته الخصبة بالوانٍ من الرعب الرهيب الذي يتصوره.. او لنقل يصورونها له..فهم يصورونها مرةٍ حفرة من حفر النار ومرةً روضةٍ من رياض الجنة..!!
وما القبر الاحفرة طُمرَ فيها الانسان ليُحال الى رميما بعد حين وربما الى باترولٍ بعد مئات السنين..

فمن هذا الذي يذكر قبر جده السابع او السادس وأين تم دفنه؟؟
فهل هذه الجنة للميت على قدر عصر ملازمينه ثم تُفنى بفناء قبره واندثاره؟؟
كم انتم سُذج ايها البسطاء بتقديرات تفاهات غيبياتكم؟؟
فكل شئ يجري تحت سلطتنا نحن الاغنياء..
فانا مثلا.. يمكنني بما لدي من ملكية مالية أن أصل حتى الى حكم البلاد بما لدي من ثراء.. فبنقودي اتمكن من شراء اراء واصوات وذمم وضمائر وجهاء الدين والذين يتحكمون بقلوب الكثيرين , وكثيرا من وجهاء البلد الذين استلبوا الوجاهة اما إرثا عشائرياً, أو ربما بسبب أحتكار الدين الذي جاء غالبا بسبب الانحدار النسبي فصار لهم جمهورا من الناس, و كلٌ من سعته .. وانا بشراء ذممهم اكون بذلك حظيت بقاعدة جماهرية بما اقدمه لهؤلاء المؤثرين بالناس كلٌ حسب اتجاهه الذي يرى .. فالمؤثرون في الناس سيجدون مني ما يحقق لهم طلباتهم حالا وبعد حين ..
ودليل ذلك اننا لم نرى حكاما او متنفذين لسلطة او ممثلين للحكومات وقد وصلوا الى مناصبهم وهم معدومي الحالة المادية او فقراءها او بسطاءها الاعم, وبدون اي دعم...وبوصولي للسلطة او احد رجالاتها,, فسأكون للناس انا الوطن والمثل القومي..فأتحكم بمصير جمهور الناس , فأسنُّ وأشرّع القوانين التي اريد, لتكون لشعبي الطائع لقوانيني بلا جدال.. أمرا نافذاً.. ويمتثل اليه كل الشعب..هذه السلطة هي سلطة المال التي خلقها عقل الانسان الذي خلق كل شئ...
ياسيدتي الكريمة.. انتي تعيشين حياة المخدوعين من السذج.. هيا اتركي هذه الخزعبلات..وتعالي اعوضك شيئا من تعاستك التي يبدو انها طالت كثيرا..
لعلي بأسعاد عاجزة مثلك أسعد نفسي التي ملّت كل انواع الترف الممل..
_المسنة وبكل هدوء.. وإبتسامة غريرةٍ غريبةٍ سامرة.. تهز كل معاني حامد..
قالت له : اريد ان اسألك سؤالا ايها الرجل الكريم معي .. على الاقل بتحدثك.. ومن ثم في نيتك مساعدتي.. راجيا أجابتي على قدر عقلي وافتراضاتي البسيطة..

_(حامد) : نعم .. نعم .. بالتأكيد . تفضلي.. اسألي ماشئتِ..وكيف شئتِ..
لعلك تسعدين بالتحدث معي بعد ان طال كما يبدو زمن من تحدثت اليهم اخيرا..
_المسنة : اذا توفاك الاجل..(بعد عمر طويل إن شاء الله).. ولنفرض جدلا.. وكما اعتقد أنا.. بأنك أنتقلت الى عالم آخر.. ووجدت ان كل تلك المنطقيات التي تقول انت انها هراء.. وجدتَ إنها حق.. وان الحياة بعد الموت حق حسيٌّ خالد.. فماذا سيكون مصيرك؟؟..
أهتزت الكلمات بحامد هزّاً وارتعشت بكل شراييه فأرتعدت لكلماتها كل جسمه إرتجافا ورهبة وخوفا لا ارادياً..بل لقد نزلت الكلمات في لبِّ قلب حامد ورأسه المتعند الصلد..نزلت كالرماح الفولاذية فشققت كل أجزائه الى أشلاء تناثرت امامه كل شئ..
لقد أتى كلامها منطقيا كما هو يؤمن بهذا القالب حدا سار به حياته..بل لانه من الذين اصاب بهم عالم المنطق والتجارة كل مصب.. فجعله أن يَصبَّ دائما كل الاحتمالات لتنصهر اخيرا في حَبك المنطق..
لقد تصور نفسه للحظة انه (وهذا من باب ذكائه المختمر) ان يفرض كل الاحتمالات.. فلو فرض تلك الاحتمالية جدلا .. ووجد ان بعد موته حياةً وحسابا وعيشا ابدياً؟ وكل هذا من باب الاحتمالية المنطقية.. فعندها أذن..إذن..إذن يخسرَ..بل ويخسر كل شئ.. والى الابد..
للحظة تصور ان قلبه توقفت دقاته من شدة إرتفاع نبضاته حداً ربما يسمعه كل المارين..
((كيف لم يخطر لي هذا في بال ..؟؟؟!!
كيف يمكن لهذه المرأة .. او اشباه ما بقي منها أن تتمكن مني بكلمتان..
فتحيلني هباءا منثورا..
بجملةٍ واحدة ..أسقطت كل نظريات الكون ومعادلاته ومنطقه وسراميده المفرطة...))
أحس بزمن عقله توقف عند هذه اللحظة.. فلازمنِ بشريته الان يحكمه ولامكان محسوس ..
سأل يريد جوابا قبل أكمال سؤاله : (طيب.. وكل أولئك العلماء..
والمفكرين الكبار.. وفيض العلم الهائل الذي أداروا به لبّ قلوب العالم بابعاد

الغيبيات المنطقية و برموها داخل قارورة العالم المادي المحسوس..كل ذلك الجهد الجبار..أين هو..؟؟؟ وكل عباقرة العصور قد انتهو بان لا حياة بعد الموت ولا حساب ؟؟؟ بل سعو في اثبات ذلك للاجيال التي كانت ترى فيهم من العبقرية والذكاء مايجعلهم قدوة للبشرية)

_المسنة : أنا أستغرب وأنا الانسانة البسيطة بكل شئ بذلك التفكير..مالذي يخسره اولئك كلهم إذا آمنوا بوجود الحساب والحياة بعد الموت !!؟؟..

بل إنهم ليبذلون كل الجهد الهائل وكل التعب والتفكير الجبار ليبرهنوا هذا؟؟ ولماذا ؟؟!..

ومالذي يجنوه؟؟..

يأخي مالذي يخسروه إذا آمنوا..؟؟

او على الاقل اذا تركوا الموضوع دون الاجهاد المضني الجهيد في انكاره..؟

مالذي تخسره اذا أنت آمنت بالحياة مابعد الموت؟؟..

إن كنت ترى الايمان يمنعك (على الاقل) من سئ الخلق والتصرف بعين الرحمة والانسانية .. فلنعم الأيمان هو..

فبأقل تقدير ترى الايمان يجرنا من منكرٍ وسئ ودميم التصرف الى مكارم الأخلاق وفضيلتها وأن ترتقي كبشراً اعلى المراتب في كل الكون وتعتلي سلم اعلى الكائنات ..

انا كسيدة مسنة حيرتني الاجابة !!..

وإن كنت ترى في الايمان عجزا من تأدية واجباته..هذا إن كانت به واجبات تفوق الطاقة وهذا مالم أعرفه..فترمي بالكرة دائما لملعب انكار الايمان او ربما ان لديك من الاهداف التي تتنافى ومبادئ الايمان فتبررها لنفسك بحجة العقل والمنطق ولسان حال من يبرر: (من هذا الذي عاد من بعد قبر الموت ليسرد لنا ما رأى.. ان هي الا اساطير المخرفين!!) وهذا لسان حال من يريد تبرير شنعة فعلته

يا سيدي ان تموت مؤمنا بالله وبالحياة بعد الموت والحساب في قلبك وعقيدتك..لكنك عاصيا مؤتياً منكراته.. لأهون عند الله وعند نفسك بكل المقايس من نفي الامر ونسفه جملةً وتفصيلا..

أما يغني الامر ان الانسان الذي يؤمن بالماورائيات يكون انسانيا ومتذوقا لفنون الرحمة (ولو لابسط مقاييس الرحمة) من الذي لايؤمن ابدا فتنعدم في قلبه تلك الصفة مطلقا..؟

وأني لاستغرب لم يتكبرون على الايمان الذي لايُخسرهِم شيئا ..

فما الأيمان الا انه ياتى بفضائل الاخلاق كلها.. ويوعدك بأمانٍ وهناءةِ بال في الدنيا, وإصلاح بال وجنة في الاخرة اليقين..

اثارت تلك الكلمات زوبعة داخل قلب حامد وهو ينعي عقله بأستغراب وكأنّ هناك من شق الغشاء عن عينيه فكأنه صار يبصر بقلبه..

حقا انه لامر غريب جدا وعجيب.. فبرغم ان الذي ينفون وجود الحساب بعد الموت هم فعلا لا يخسرون اي شيئ أذا آمنوا..

بل وأن لم يؤمنوا فهو لايؤثر عليهم شيئا مطلقا ..

لكنهم يجهزون لأجل أثبات وجهة نظرهم كل طاقاتهم .. وجيوشهم .. وفلسفتهم و علمهم ..بل وكل عمرهم.. ليثبتوا ذلك.. حقا ان من وراء هذا الامر قوى كبيرة تُسيّر للأمر نفسه, فيسير غائبا مغيبا بكل وعيه التام لارادة نفسه التي أخذت منه كل لبٍ دون أن يشعر..

ولو فكروا بسيطا الى الامام .. لقال مايضرني إن آمنت؟؟ ..

وإن لم أؤمن فأنه لايؤثر علي بشئ..

ثم اذا لم أؤمن مثلا؟ فلمَ أحاربه بكل قواي..غريب جدا !!..

ربما مثلما قالت هذه المسنة ان الامر كان ليبرروا فعلةً شنعاء تتنافى ومبادئ الايمان ليحرروا لتفكيرهم لكل فعلٍ مسئ ويبيحوه اباحة صماء..

هكذا تناسلت الافكار في لبِّ حامد

ولكن.. ماذا يعتصر في عقل حامد

انه عصير افكار المنطق العلمي والتبرير لكل ماتتناثر هباءا في ثنايات السنين الثقيلة التي سرت على بؤس فقره المقيت

فتنافر متناحرا عقله مع قلبه الذي اطاع مبدئ الروحانيات والغيبيات التي يراها دائما بلامنطق محكوم

هو لايجد في الامر ميلاً لهاتف قلبه الذي يرى فيه اذاعناً لكلمات المسنة..

بل لأنه يجد ان الامر منطيقا.. فالانسان لايخسر شيئا اذا امن بتلك الغيبيات

ولكن عقله يجد فيه جحودا يختفي ورائه تحقيق امنيات سعادته في بئر الامنيات التائه خلف عالم الغيبيات...
هو يجد في كلمات هذه المسنة قد تخلخلت في مسامات جلده.. رغم ان عقله يطيح له بأن تلك الافكار جاءت لتصبّر نفسها عن حالها الذي لامفر مه
فمالذي يمكنه ان تفعله ان امنت او لم تؤمن
سوى ضياع حالها
بل ان لامفر لها الا الايمان بوعود بما وراء الفناء الابدي...
لكن لا.. فقلبه ينادي صحوة من غمام اسود ويدلّه بواقعية المنطق الذي اعتاد عليه
لنفرض انه مات ووجد ان كل ذلك صحيحا فحينها لا ينفع الندم
صراع شديد هزّ كيانه المهتز حتى شعر بانه سيفقد من العقل أكبره..
حتى جاءه صوت المسنة خمريا يحزُّ رقبة أذنه
المسنة : يابني ان الأيمان هو حالة تفيض في الروح وبالقلب بلا منطق اهوج
فهو يسهد القلوب ولايُبنى بالابصار والملموس الاجوف
فكلنا يشعر بالحب او البغض او الكره او اية مشاعر .. لكن من منا يراها؟؟
وماتراه من تفوق العلماء وتفتق ذكاءاً انار الدنيا بمنجزاتهم ولكنك سترى ان معتقداتهم بعيدة كل البعد عن المنطق الذي يملؤهم.. فمنهم من يعبد حجرا او حيوانا او الها واحدا او عدة الهة أو كما أملى عليه قلبه لا عقله...ولكن لننظر الى منجزاتهم الكبيرة ونشكرهم عليها لا ان نكفّر اشخاصهم.. ولنترك علاقتهم بربهم لهم وحدهم ولخاصتهم..
فمن نحن لنحكم على أي شخص اي كان؟؟..عالمٌ او بشرُ بسيط.. بتزكيته او غير ذلك.. فما يزكي الانفس الا الله..لا نحن..
لأول مرة..نزلت الدمعة تغرغر عينيه القاسيتين كقساوة قلبه الغليظ.. نزلت كلهيب حامض التيزاب الحارق.. وأغترفت بها عيناه.. بلا أولٍ لها ولا آخر.. فشهقَ زئير صدره...
_المسنة : مالك بني.. أتمنى ان لا أكون قد قلّبت عندك المواجع..؟
_حامد : ابدا .. ابدا..ولكن أيعقل انّ بصري المنير لم يرى النور الصريح السعيد الذي رأته عيناك الضريرتين؟؟؟... وانا اتمتع بكل أعضائي صحة

وكمالا.. فتذمرتُ على نفسي وزيّنتْ لي نفسي ما رأت وأشتهت.. فوصلتُ أبهى البهاء دون طعم للسعادة..!!
أيعقل انك ايتها العجوز المسكينة الضريرة المعاقة تنعمين بسعادة رضاء.. وانا لا اجدها بكل قواي؟؟؟!!
_المسنة: على رسلك يابني..انا لم اكن ملاكا منذ ولدت.. فكلّ منا له ذنوبه الكبيرة.. والكبيرة جدا ... ولكن لذنوبنا ربٍ كبير غفور رحيم..
دوى الكلام في كلِّ حامد رعداً مدويا شديدا..
_المسنة : انا اذكر حياتي التي كانت عبارة عن ذنب كبير أسود وكأنه بالامس واليوم بلغت الثمانين وفقدت بصري منذ عشرة أعوام وساقاي منذ خمس أعوام.. بسبب السكري فما وجدت من هذه الدنيا الا طريقا واحد هو اننا نتجه للموت الذي يحصد بآلآفنا يوميا بلا كلّ..
فنتجه لمصيرنا المحتوم ..صغيرنا وكبيرنا.. ولابد من بعد الموت من لقاء ربٍ كريم .. غفار للذنب رحيم ..فرفضتُ دنيا السعادة ببهاءها منذ اربعين عاما وشكرتُ الله فأنا متوجهة اليه لأحيا هناك في سعادة حقيقية دائمة غير منتهية لاتزول.. فوالله ان عمري الطويل أشعره وكانه بالأمس..
وانا لست بمستعرٍّة من ذل تسولي مادمت فقد تركت العزة لله الواحد القهار..
سأل حامد المسنة هل يمكن ان يكون موقفك هو لشدة المصاب الذي انت فيه فاخترت طريقا هو اختارك عنوة فلم تجدي غيره بُداً..؟
فقلتِ ما من خيار آخرغير تصبير نفسي بما سيكون بعد الموت القادم لامحالة
المسنة: وهل هناك من لايحتسي كأس الموت في كل هذا الكون الفسيح مهما طال عمره؟؟
فالموت نهاية كل شئ
ولكن ماذا يكون بعده؟؟
وصاغ حامد عقله صاغيا الذي يسوقه فسأل :
ولكني كنت دائما اسمع ان القدر هو ماكُتب علينا ونتلقاه من كل الجوانب ..بأرزاق.. او مادخل جوفك من ابسط ماء الشرب.. وقد لمست في حياتي هو انني انا القدر... وانني اذا ما لم أسعى لأمر فسوف لن يكون ..!!!

ثم ..ثم كيف يجد الانسان نفسه محاسباً لعملٍ وهو مقدّر له سلفا..
_ المسنة: الاقدار هي ماتسعى اليه وقد قدّرها الله أنك ستسعى اليه وأعلم (ان ليس للانسان الا ماسعى)..فلارزق يأتيك ولاطموح يتحقق الا بسعيك انت اليه ويقدر الله لك أمرا فيه..لا ان تنتظر قدومها إنتظار الاتكال لا المتوكل.. فالتوكل هو الذي يتوكل على الله وهو يتولى ماينويه المرء بعمل ما.. والمتكل هو الذي يتكئ حائط العجز وكسل خوفه ..وأظطراباته النفسية الحسودة لغيره ممن فضل الله تعالى .. فيقع فريسة الشيطان الذي سيبرر له افعال سوءه ليجد له منفذا صحيحا في نفسه الميالة مع قرينها ..
_حامد بإلم : وكأنك تتكلمين عني .. وكأنك تعرفينني وربما سيكون العتب في هذا الامر على كثيرين من المتمكنين ماديا الذين كنت اجد فيهم مايمكن من مساعدة الناس وهم لا يساعدون الا رئائا..وتجدهم من أهم الرواد لدور العبادة.. واكثرهم لو سئلته مساعدةً مادية لردك شر مَرَد.. وأسبل عليك ذلة شديدة..مما يربك الفكر الذي يجد فيهم صورة الدين السامح فيرتد على اطرافه ملتجئا افكار الشيطان المتربص بالفرصة تربصا..
_المسنة.. اعلم يابني ان كل امرئ انما يمثل نفسه.. ولا يمثل ابدا الا نفسه ..ولايُسئل اي احد عن اي أحد كما أسلفت الا عن نفسه وعمله الذي أكتسب شرا.. او نوى عليه خيرا.. .. فلا أي شخص مهما كان سيمُثل بأي صورةٍ ما دينه... ولا باي شكل من الاشكال معتقده..فكل أمرئ أنما يمثل نفسه فقط وإعلم ان كل ذرة من عمل هي مكتوبةً.. ويعلم الله مايوسوس بسر سريرة نفس الانسان.. الله سبحانه وتعالى يحول بين المرء ونفسه
_حامد : لكنهم يتكلمون بأسم الدين ويتحدثون بصفته.. حتى ان الانسان البسيط المعرفة والايمان ليظنهم هم الدين بعينه..
_ المسنة : سأخبرك عن واحدة من اسباب سعادتي ..ما لم أحدث به اي أحد ابدا.. لكني لا اعرف لماذا انشرح قلبي لك جدا.. انا كنت فيما سبق أمراة ذات وضع وظيفي جيد ومنزل كريم .. ولدي ابن أُنهكتُ بكل مالدي من عمر وشباب وجهد لإصل به مستوى طموحه الذي يريد..فشاء الله ان يتعرض ابني لحادث ما, والحوادث على جنسنا البشري كثيرة في كل يوم .. بل بكل ساعة .. بل بكل دقيقة.. فكان ان حدث ما لم أتوقعه حتى في الافلام الهندية الغريبة التوقعات .. فلقد قالوا لي في المشفى وبينما كان ابني داخل

صالة العمليات إن ابنك سيفقد بصره بسبب الحادث .. وسيعيش ضريرا ماتبقى من حياته..الا .. الا في حالة ان نجد له من يتبرع بعصب البصر المتضرر عنده جدا .. وهذا طبعا لن تجديه.. فلو وضعت كنوز الارض لاي احد لن يتنازل عن نعمة عصب بصره..وطبعا بدون ادنى تردد.. كنت انا المتبرعة بكل أمتنان ورحب ببصري لفلذة كبدي .. فشاء الله ان يبصر هو ببصيرتي .. وأفقدها انا بكل سعادة مرضية..

بعد سنين جرت.. ولد طفل لأبني المتزوج من طبيبة زميلة له..

كبر هذا الطفل وبلغ السنتان وكان له طفل اخر يتبعه .. بدء الطفلان يخافان من منظري كضريرة مسنة.. أستعر مني ابني أمام أطفاله وزوجته..وبدءت تصدر من زوجته كلمات نابية شعرت بها أحد من كل سيف يقطع أحشائي..فأبني يستعرُّ مني أمام أطفاله الذين يجدني أنسانا مخيفا .. بل مقيتا لهم...

وفي نهار احد الاصباح انزلقتُ بكرسيّ الخاص وتركت البيت لهم ليتمتعوا ويسعدوا.. وجرجرت نفسي الى مناطق بعيدة عن منطقتي الاصلية كي لا تقع عينيه علي..

نعم انا اشعر بالسعادة .. وبأوجها .. لانني أشعر بان ابني سعيد الان وفرح بحياته .. لكن .. هل هذا الابن يمثل كل الابناء..كلا .. انما يمثل نفسه فقط .. ادعوا الله له كل لحظة ان لا يؤاخذه ابدا بما فعل بي.. وأجهشُ بالدعاء خاشعة متضرعة أخاف ان يصيبه من غضب الله الذي يجيب دعوة المظلوم

ويغضب له.. وانا امدّ يدي لله راضية عنه..يمكنك ان تستشف..ان الانسان انما يمثل نفسه فقط
_حامد : آلمتني جدا قصتك الدامية للقلب.. ولروعة بهاء الام الحقيقة لا التي تفضل بعض ابنائها على بعض.. هذه الام الحقيقة نغفل عنها بأطفالنا .. أو زوجاتنا .. وهي لاتتردد بمنحنا كل حياتها من اجل لحظة سعادة ننعم بها ..
المسنة : حقا ليست كل ام هي ام حقيقة تتنابض في قلبها الحان نبض الدم..
هنا.. سأل حامد بمكر يريد ان يثبت اخر جنوده في معركته التي وجدها خاسرة رابحة..
(حامد) : لو علمتي انني انسان غني وأريد ان أهبك جزءا كبيرا مما املك فما تقولين؟؟
_المسنة: بني لوكنت انت (مثلا) احد الاثرياء وطلبت مني ان أرثَ ثروتك ومالك واعيش بخدم يخدمون.. وحشاة يتلفظون بأسمى رايات مراعاتي.. وسألتني مثلا أن أقبل ثروتك.. فهل ياترى مني قبولا ؟؟.. بالتأكيد ساقبل.. فلا أكذب عليك وابالغ كما تسمع من روايات الافلام التي ملئت رؤس الناس كذبا لغايات الربح المادي..
ولكن لو قلت لي ان هذه الثروة مقابل مبادئي وما أنا فيه من قناعة في اتجاهي السائرة اليه.. فستجد مني الرفض أبدا والف أبدا وأبدا.. ولوملكّتني من الدنيا كل معانيها.. ولو عشتُ في رمق اللاكلام واللاسمع واللا بصر .. والشل الحركي التام وفي رأسي خلية تفكر.. فِسأكون في قمة سعادتي وانا اعيش تلك اللذة مع ايماني الذي ارتضيت ..
وهنا انا لا اقصد ديني بل ايماني ...
والايمان هو ان تؤمن الله وبالحياة بعد الموت والحساب.. وليس المهم اسم ونوع الدين الذي تختار فكل الاديان تدعو للفضيلة وترفض السئ من العمل في كل الاكوان
صحيح انا مفتخرة بكوني مسلمة ولكن هذا لايعني اني لا اؤمن ولا احترم كل الاديان على مختلف تسمياتها.. ومن قال غير ذلك فانه يسعى لمصالح

شخصية تنوء بما يضغن من حقد دفين وهذا هو البصيرة التي ارانياها الله تعالى
يقول الله (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن بصر فلنفسه ومن عمي فعليها) ويقول الله (انها لاتعمي العيون ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) ..
فالامر يابني هو ايجادك للسعادة التي لايمكنك الوصول اليها ابدا في عنق التناحرات..
واما عزة نفسك فلاتكون الا برضا ضميرك وراحتك التي لاراحة فوقها وهي ملاقاة الله ..وتعلقك به عشقا .. وشوقا.. وحبا .. ورضا.. وتمنيا لغفرانه..
هنا تفجر داخل (حامد) حس الثوران المكبوت تحت بركانٍ هائج كانت فوقه صخرة شديدة الصلادة قوية الصلب.. أذابتها كلمات هذه المسنة الضرير المعاقة ...
أجهش حامد ببكاءٍ مرير.. وذو مرةٍ مريرةٍ مراء..أحترقت بها حنجرته وتوّرم به صدره الناهِق...
وهو لا يعلم سراً لهذا الدموع التي جرت ... ربما حاجة عينيه لدموع جفت في مقلتيه منذ امد بعيد
وحاول ان يرد على كلامها ويكمل حديثه الا ان حسرةَ الندم وربما الضالة التي قد يكون وجدها هي التي تمنعه من الاستمرار عن الحرف الاول من الجملة التي يريد..
سكتت المسنة المتسولة ولم تفارق ابتسامتها العريضة المرتاحة السعيدة شفاهها أبدا وهي تعلم ان لحامد في نفسه الف سؤال وسؤال ويريد به أن يصل لغايته من أمراة ضريرة وبدون أرجل..
_حامد : هل يمكن يارب ان ترى هذه الضريرة مالم اكن لأراه مبصرا.. وأن تصل دون سيقان الى روضة سعادة رضا مالم اعرف ان اصل اليه باعضاءٍ كاملة صحيحة .. وهي تفترش الارض ذلاً.. وتسوّلاً.. وتشعر بالعز العزيز لأرضائك بشكر بَلواها ولاترى بها ذلةً لأن العزة لك وحدك سبحانك.. وانا اراني أذلّ في حياة بائسة فانية ذليلة؟؟..أجهش يحتضن المرأة المسنة غارقا في بكاء سحيق..

ربتت على كتفيه المنهارين.. وقالت له : إعلم ان الله يغفر الذنوب جميعا..
كل حرف تنطقه يزلزل قلب حامد زلزالا ..
(أيغفر رب العالمين خطاياي الكبيرة كبر السموات .. ايغفر لي وقاحتي على اعتراضي لحكمه وتقديره ؟؟..
أيغفر لي أستباحتي لدماء بشرٍ أكرمَ جنسهم؟؟ وتيتيمي لأولادهم وتمتعي باموالهم؟؟..
أيغفر ربي ذنوباً لو جرّت لها الجبال لخرّت خامدة؟؟..
ايغفر ربي ؟؟ ايغفر ربي ؟؟..
وانهال ببكاء سليل يحرق صدره كمن أصابه السلّ وعويله يشتد..
فقد علم ان تلك النقطة السوداء في محيط سعادته ليست الا نقطة بيضاء في محيط ظلمة ذنوبه..
_حامد : نعم .. لقد عرفت الان ما هو الايمان .. انه شعور لانراه .. لكن نهتدي اليه فيكون حساً ملموسا واقعا صريحا قويا ..
وأن الهداية منوطة بالقلب فقط.. لا بالعقل..
انما هو القلب يقود العقل لما يشعر
وليس العقل يميل القلب لما يتربط به تمنطقا ..
أدركتُ الان أننا كلنا سائرون مهما كنا قد عظمنا أو حقّرنا ..أو كبرنا او صغرنا أو أبتُلينا أونعمنا سائرين للموت الذي لامفر منه..
هناك سنجني ثمار أعمالنا..
هناك سيكون الحساب..هناك سيكون الحساب..
والذي اربك الدين والايمان هم الذين يجدون انفسهم يحتكرونه باسم الدين فيكفَرون ما لا يتناسب وصيغة مصالحهم الشخصية.. بأسم الدين
ويقتلّون مالا يجاري مذهبهم... بأسم الدين
جاعلين من انفسهم الهة في الارض
فيحكمون باسم الدين ماتشتهي انفسهم الدنيئة البشرية
متألهين على الله
فوجدوا لهم عقولا خصبة استخفوا بها وجعلوهم لهم جنودا يحكمون الدين الذي يريدون بالسيف غصباً وقسرا
فأي دين هذا الذي لا يرى منه القلب شيئا ويأتي بقوة القتل والسيف

الا تبت يداكم....
كم اجهظتم فينا راغبة الحرية... فصرنا صرعاكم وصرعى افكاركم الملوثة التي تفجرت بدماء بريئة زكية..
وكيف لك أنت ايتها الضريرة تلك البصيرة التي لايُبصر نورها الذي لايرى الا كل الوان العوز بعين واضحة..
(غفران؟؟..ايُ غفران؟؟.. وقد وسعت ذنوبي بحارا..بل أجتازت كل المحيطات..)
_المسنة : (أن الله يغفر الذنوب جميعا)
_حامد : لماذا كلامك يدخل القلب دون اي حاجز ..
_المسنة : لأنه اصلا قد فُطر عليه القلب.. ولكن النفس وشياطين الانس ممن يحتكرون الدين هم الذين يغضون النظر ويشوهون الفكر.. لذا يجب أن تبحث عنها بنفسك..
فأزدادت..
_المسنة : أن جرُّ الانسان لحضيض الشك والكفر هم وليدة الفكر الشاغل للشباب في البلدان العربية المتخلفة علميا.. ويزيد الطين بلّة رجالات دينه يخنقون فيه كل ابداع وحرية.. فيقوقعونه في هالة التخلف القديم فيضيع في الفجوة الكبيرة جدا بين بلدانه وبين الدول الغربية من حريةٍ يهنئ بها الروح ساكنة في روض الامان ..
_ حامد : صدقتي والله كما انك كنت صادقة في كل حرف ..فان اكثر ما يجر الناس للشك في الايمان هو رجالات الدين الذن يكبتون كل حرية كبتاً .. فيرون تناسك تقدم الغرب بحريتهم التي بلا حدود والتي تقودهم للابداع والتقدم العلمي بحرية التي تولّد مثابرتهم وجديتهم فرسخو بتقنياتهم علوماً ملئت كل العالم فأعميت نور شمس..
كما وان لأنظمة حكوماتهم التي تقدّر فيهم كل ذلك وتمنحهم المساحات الكافية للابداع والحرية الحقيقية فيجتهدون أكثر ويسعون بجدٍ أكبر..
لذا ترى أي من العلماء العرب او كفائاتهم يحاول السعي جاهدا للوصول اليهم بأي صورة ليجدوا تقديرهم الكبير الذي لم يجدوه في بلدانهم..مما أدى الى هذا التفارق العلمي .. في حين يرى في بلده الامتهان لعلمه وكرامة حريته وتهديده بأسم الدين..

بل ان من يحتكرون الدين من رجالاته الاغبياء يكفرّون تفكيره العلمي وتجده في لحظة او اخرى اما جثة هامدة تفترش الطريق او قابعا في اقسى السجون الحالكة

ولكن يا سيدتي ... هل ان الدين يوافق على العلوم ويرفع من شأنها ..أم أنه يُكفر من يسعى فيها ؟؟..

_المسنة : سأخبرك بالتقدير العلمي في الكتب السماوية..

قال تعالى في القرآن الكريم:

: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة/11

وقال: {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا} [آل عمران/7]

وقال: {لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك} [النساء/162]

وقال: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط} [آل عمران/18]

وقال تبارك وتعالى: {وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير {]القصص/80]

وقال} :بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم] {العنكبوت/49]

وقال: {وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث} [الروم/56]

وقال: {ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق} [سبأ/6]

وكما في الكتاب المقدس:

"علم الرب كل عِلم، واطلع على علامة الدهر؛ مُخبِرًا بالماضي والمستقبل، وكاشِفا عن آثار الخفايا، لا يفوته فِكرٌ ولا يخفى عليه كلام" (سفر يشوع بن سيراخ 42: 19، 20)

"هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ، وَاعْمَلُوا إِحْسَانًا وَرَحْمَةً، كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ، وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرًّا عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِكُمْ" (سفر زكريا 7: 9، 10)

"علم الرب كل عِلم، واطلع على علامة الدهر؛ مُخبِرًا بالماضي والمستقبل، وكاشِفا عن آثار الخفايا، لا يفوته فِكرٌ ولا يخفى عليه كلام" (سفر يشوع بن سيراخ 42: 19، 20)

(فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله) (1كورنثوس 10: 3)...

_حامد : كلامك رائع..اذن لا تفارق بين العلم والدين بل انه يوافقه تماما.. وأين كان كل هذا غائبا عني؟؟ .. يالغبائي..؟!

كما هو غائب عن كثير وكثير...

نعم.. فالعلم والدين في بلادنا هو السيف..والقل

متباعدين عن كل الحقيقة التي اشار بها الدين حقيقةً..
واسترسل في كلامه

_حامد : حسنا وماتقولين في علمية نظرية التطور.. ومن منظورها العلمي الحقيقي..لا من منظار التسفيه لمجرد انها لا تتلائم وما نريد..فلقد أخذت هذه النظرية لبّ الكثير من العارفين الفاهمين لتفاصيلها العلمية

_المسنة : لو جئنا بأي كائن حي, ولنفرض انه فأرة وقطعنا ذيلها, ولعشرين جيل ..أو مائتين جيل , أو الفين أو اكثر جيل متعاقب من الفئران التي يتم قطع ذيلها واستيلادها لجيل اخر.. فهل سيأتي الجيل الاخير بلا ذيل....؟؟؟؟

_ حامد: احسنت أيتها العملاقة .. بهذا المقال البسيط جدا .. فسرتي كل نظرية التطور...

_وأضاف حامد : إذن ماذا نقول لمن يظنون إن المخلوقات كلها جاءت (صدفة) من خلية واحدة خلقتها الطبيعة..

_المسنة : أرد عليك وأقول لك (ومن ضمن تخصصي كمدرسة سابقة لمادة الاحياء والعلوم لاحدى الثانويات)...حسنا لنعتبر ان الطبيعة هي من خلقت الخلية الأولى التي صرنا عليها ...
إذا كانت الطبيعة خلقت الخلية الأولى فهي أولى بأن تُعبدْ.. فهي التي خلقتنا..هذا من ناحية...

من ناحية أخرى هي الخلية تكونت بالصدفة... أثبت العلم أنه بقوانين الإحتمالات والذي هو علم مادي ولا تستطيع أن تنكره أن إحتمال حدوث هذه الصدفة يساوي صفر.
و في هذا الموضوع سَنُحَكِمُ الرياضيات – لغة الأرقام التي لا تكذب – حتى تفصل بين الفريقين ، و نعرف الرأي الصحيح من الرأي المزيف ، يقول Frank Allen عالم البيلوجيا الأمريكي " لقد تقدمت دراسةُ نظرية المصادفة و الاحتمال من الواجهةِ الرياضيةِ تقدماً كبيراً . . . . . و قد صرنا بفضلِ هذهِ الدراسات قادرينَ على التمييز بين ما يمكن أنّ يحدثَ بطريقِ المصادفة، و ما يستحيل حدوثهُ بهذهِ الطريقة"
يفسرُ الملاحدة نشأة الحياة و ظهور الإنسان عن طريق المصادفة ، حيثُ تكونت الخلية الحية و تجمعت كل مكوناتها عن طريق الصدفة !
و سوف نعرف الآن هل هذا الكلام صحيح من الناحيةِ العلمية ؟
و كم نسبة حدوثه؟
علما إن :
الخلية الحية = و حدة بناء الكائن الحي
البروتين = وحدة البناء للخلية
و يتكون البروتين من 100 حمض أميني
والحمض الأميني = لبنات البناء الرئيسية لبناء البروتينات
مركبات الأحماض الأمينية تتكون من خطوط يمينية و خطوط يسارية
البروتين الموجود في الخلية الحية يتكون من أحماض أمينية ذات جهه يسارية فقط
يوجد في الطبيعة 80 نوع من الأحماض الأمينية
20 نوع فقط هي الموجودة داخل الحلية الحية
الـ60 الباقية غير نافعة لتكوين خلية حية
والقاعدة في علم الرياضيات تعتبر فرصة تحقيق احتمال أقل من 1 من 150 مساوية للصفر من الناحية الاحصائية.. يمكننا أن نوضح هذه القاعدة بتمرين رياضي بسيط ^_^
في جيبك ورقة مكتوب عليها رقم {1}
و أخرى مكتوبٌ عليها رقم {2}

لو أردنا حسبة احتمال أنّ تخرج الأعداد بالترتيب عن طريق الصدفة فإنها ستكون 1 من 4، لأنّ لديك أربعة احتمالات:

- تخرج 1 ثم تخرج 2
- تخرج 2 ثم تخرج 1
- تخرج 1 ثم تخرج 1
- تخرج 2 ثم تخرج 2

و إذا زدنا ورقة مكتوب عليها رقم {3} فإن احتمال الصدفة سيضعف و سيكون 1 من 27، لأنّ لديكَ سبع و عشرين احتمال – لكنهُ سيبقى ممكناً :

1-1-1
2-1-1
3-1-1
1-1-2
2-1-2
3-1-2
3-3-3
2-1-3
3-1-2
..... الخ

و إذا صار عدد الأرقام { 150 } فإن احتمال الصدفة سيقل و سيكون 1 من 2 للإس 150 – رقم يقدر بمليارات المليارات – ، إذاً احتمال الصدفة هنا شبه مستحيل ..

فكلما زاد العدد قلت الصدفة حتى تصل إلى مرحلةٍ تكون مستحيلة ..حساب احتمالية تكوين بروتين واحد عن طريق الصدفة

توجد ثلاثة شروط لتكوين بروتين مفيد:

الشرط الأول: أن تكون جميع الأحماض الأمينية في سلسلة البروتين من النوع الصحيحو بالتتابع الصحيح

توضيح الشرط " الأحماض الأمينية يمكن تشبيهها بالحروف والبروتين هو الكلمة التي تكونها هذه الحروف.. بالتالي لابد من ترتيب معين وعدد حروف معين حتى ينتج لنا البروتين"

الشرط الثاني: أن تكون جميع الأحماض الأمينية في السلسة عسراء .

الشرط الثالث: أنّ تكون جميع الأحماض الأمينية متحدة فيما بينها من خلال تكوين ترابط كيميائي يسمى ترابط الباتيد .
و لكي يتم تكوين البرويتين بمحض الصدفة ، يجبُ أنّ تتواجد هذه الشروط الثلاثة الأساسية في وقتٍ واحد . و الاحتمالية لتكوين بروتين بمحض الصدفة تساوي حاصل ضرب الاحتماليات المتصلة بتحقيق كل واحد من هذه الشروط .
فعلى سبيل المثال، بالنسبة لجزيء متوسط يحوي 500 حمض أميني:

1) احتمالية أنّ تَكونَ الأحماض الأمينية موجودةٌ بالتتابع الصحيح:
يوجد عشرون نوعاً من أنواع الأحماض الأمينية تُستخدمُ في تركيب البروتينات، و بناءً على ذلك فإنّ:
احتمالية أنّ يتم اختيار كل حمض أميني بالشكل الصحيح ضمن العشرين نوعاً هذه = واحداً من 20 .
و احتمالية أنّ يتم اختيار كل الأحماض الـ500 بالشكل الصحيح =1 من 20 أس 500
= 1 من 10 أس 650 (أي يساوي فرصة واحدة من عدد الفرص قدرة عشرة مرفوعة للأس 650)

2) احتمالية أنّ تكون الأحماض الأمينية عسراء:
احتمالية أنّ يكون الحمض الأميني الواحد أعسر = 1 من 2 .
احتمالية أن تكون جميع الأحماض الأمينية عسراء في نفس الوقت = 1 من 2 أس 500
= 1 من 10 أس 150 (أي يساوي فرصة واحدة من عدد الفرص قدره عشرة مرفوعة للأس 150)

3) احتمالية اتحاد الأحماض الأمينية بترابط البيتايد:
تستطيع الأحماض الأمينية أن تتحد معاً بأنواع مختلفة من الترابطات الكيميائية . و لكي يتكون بروتين مفيد، فلا بد أن تكون كل الأحماض الأمينية في السلسلة قد اتحدت بترابط كيميائي خاص يسمى " ترابط البيتايد" و يتضح من حساب الاحتماليات أن احتمالية اتحاد الأحماض الأمينية بترابط كيميائي آخر غير الترابط البيتيدي هي خمسون بالمائة .
وفيما يتعلق بذلك:
احتمالية اتحاد حمضين أمينين بترابطات بيتايدية = 1 من 2

احتمالية اتحاد جميع الأحماض الأمينية بترابطات بيتيدية = 1 من2 أس 499 = 1 من 10 أس 150

الاحتمال الاجمالي:
10 أس 650 ضرب 10 أس 150 = 10 أس 950

أي أن احتمالية تكوين جزء بروتين عادي مكون من 500 حمض أميني بالكمية و التتابع الصحيحين إضافة إلى احتمالية أن تكون جميع الأحماض الأمينية التي يحويها عسراء و متحدة بترابط بيتايدي فقط هي 1 مقسوم على العدد 10 مرفوعاً للأس 950 و يمكننا كتابة هذا الرقم ، بكتابة الواحد و بجانبه 950 صفر !!

النتيجة النهائية: احتمالية تكون الخلية الحية عن طريق الصدفة = 1 من
10000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000
00000000000000000000000000000000000000000000000000
0000

أي أن احتمالية (الصدفة) في تكون الخلية الحية = صفر ، و بمعنى آخر مستحيل .
إذن فلابد أن الله الخالق هو من خلق الخلية الحية..

إنّ كان يستحيل – علميا و رياضيا – أن توجد خليةٌ واحدةٌ صالحةٌ للحياة عن طريق الصدفة، فهل يعقل أنّ يوجد هذا الكون العظيم المخلوق بدقةٍ عالية عن طريق الصدفة !!؟

العقلُ و العلمُ و المنطق يقولون بصوتٍ واحد : لا

فالتطور ليس تفسيراً للصدفة.. بل إحدى القوانين التي خلقها الله سبحانه وتعالى... وليست جاءت من الصدفة والعدم

_حامد : يا الله..والله انني لأشعر بحلاوة الكلمات طعما حسيا كامل الشعور ليس بلساني فقط بل بكل البدن.. حقا ان الايمان شعور نحسه بكل الحواس لا ان نراه ماديا بحاسة البصر الواحدة..فهل يمكن لاي منا ان يرى الالم .. لكن الاحساس به يجس كل الحواس..

حسنا ..وهل يمكن للانسان ان يتقلد المنطق ليصل الى الايمان

_المسنة : قوله تعالى: (فاعتبروا يا أولي الأبصار) وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي والشرعي معاً...

كلها تدعونا الى الفكر والحكمة والمنطق والفلسفة فهي بكل الحق تدلنا على الله

فإن النظر العقلي فريضة إلهية، والإصابة العقلية التي يثمرها هذا النظر ضرورة دعت إليها كل الاديان، ليتزامن الكتاب والحكمة في هداية الإنسان .فالحكمة عند ابن رشد، هي النظر في الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان ، والبرهان هو "النظر بالعقل في الموجودات" ، وإن هذا النظر في الموجودات بالعقل هو السبيل الإسلامي لمعرفة الصانع الواحد لهذه الموجودات-وفي ذلك جوهر الدين وأولى فرائضه – لأن ذلك هو سبيل "الاعتبار في الموجودات، ودلالة الصنعة فيها، فإن من لا يعرف الصنعة لا يعرف الصانع".

الموجودات بالبرهان أوجبها الشرع، لأنها هي طريق الوصول إلى جوهر الدين والتدين– معرفة الذات الإلهية. ومن هنا تأتي علاقة المؤاخاة بين هذه الحكمة والشريعة ، الذي صاغوه العلماء كأبن رشد وابن سينا وغيرهم كثير، ويأتي ضبطه الذي يميز إسلامية الحكمة، إذا هي التزمت العدالة الإسلامية في النظر، والفضيلة والخلق في صناعة البرهان. "فمن كان أهلا للنظر جمع"، حسب ابن رشد، بين أمرين:

أحدهما :ذكاء الفطرة.

والثاني: العدالة الشرعية ، والفضيلة العلمية والخلقية...
اتفاق "الفرق على الدرجات الخمس في التأويل: الوجود الذاتي، والوجود الحسي، والوجود الخيالي، والوجود العقلي، والوجود الشبهي"واتفاقهم" أيضاً على أن جواز ذلك التأويل موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر"

_حامد : هل تعلمين مدى ضئالة حجمنا امام هذا الكون .. ولكن مع كل ذلك ترانا معشر البشر نعاند , ونقف بوجه الحق, ونكابر في الباطل, وتأخذنا العزة بالاثم !..

_المسنة : يابني إنّ المتأمل لهذا الكون الذي نعيش فيه يرى كوناً فسيحاً قوامه مئات مليارات المجرات ، وكل مجرة تحوي مئات مليارات النجوم والكواكب.. ومجرتنا درب التبابنة مجرة متواضعة صغيرة جداً ، والأرض والمجموعة الشمسية نقطة في هذه المجرة ، وفي كل جزء من أجزاء الكون هذا الكون والاكوان الاخرى تصميم وتنظيم وبتوازن مذهل, وكوكبنا الأرض الصغير في فساحة الكون..يملك رموزاً معقدة ، وتوازنات حساسة تماماً لو أختلَّ أي منها لأصبح جرماً سماويا مجردا من كل حياة أبدا...بل لم يكن ليعدو شهبا فارا أو نيزكا عابراً.. لأبسط خلل في توازنه المحكوم بقوة متينة
فكل شئ فيه موزون.. المياه التي تغطي معظم أجزاء كوكبنا التي هي من أهم شروط الحياة ، وحرارته ومساره وسطحه ليكون آهلاً بالحياة ،وحجمه، وسرعته ، وجاذبيته وكثافته ، ونسبة الغازات الموجودة في كل أغلفته, والمعادن والجبال أنواعه الغنية من الأحياء من النباتات والحيوانات.. وكلها تعيش بتلاؤم تام.. فكل شئ كان بأعلى مراتب التعقيد التام من الدقة والتنظيم الذي يقف عنده العقل مسبحا لله تعالى ولأجل أن يكون كوكبنا بهذه المؤهلة للحياة.

_حامد : ايمكن ان تجيبيني اذن لماذا يتقاتل كل دين لأهله .. أذا كان المصدر واحد..؟ وكأن كل دين يدعوا لدعوة تختلف عن الاخرى.. أو هكذا نفهم من جريان الاحداث التي نرى..؟

_المسنة : ومن قال ان كل دين يدعوا لاله غير.. فالدعوة والمصدر واحد..لكن الانسان هو الذي يسفك الدماء تحت اي مسمى كان.. وتحت اي

لافتات يستسيغها له الشيطان ونفس الانسان المتعطشة لسفك الدماء.. فاما ان يعتلي مناصب تفوق الملائكة مقامات .. او ينحدر الى الحضيض من شياطين الانس..

_حامد : لذا نرى ان الانسان الذي يريد ان يُقدِم على خطأ.. سوف يجد له مبررات تملئها عقله الذي يجده متفتقا يبحث عن مبررات له .. فيقع صريع شباك ابليس نفسه المستنبع من عقله .. ليغطي إنحرافه بما يجده لها طريقا

المسنة : أعرف شخصا يبيع مواد غذائية للناس ، حضر درس علم ، فسمع حديثاً لرسول الله ، ويحتاج إلى تفسير طويل ، لكنه فهمه على مزاج هوى نفسه التي تبحث عن الثغرة لتواري سوءتها.. فنص الحديث الشريف: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))...فبدأ يغش الناس، معتمداً على هذا الحديث, وما سأل عن تفسيره ،، لكن أعجبه.. إفعل الكبائر, والنبي يشفع لك.. لماذا هذا البائع قبِل هذا الحديث ؟ لأنه يغطي انحرافه ، يغطي غشه ، يغطي كل أخطائه في البيع والشراء...

_حامد : صدقت ياأمي .. وهذه الفضائيات المنتشرة وطريقة طرح الدين بشكل او بآخر فيظهرون رجالات الدين الذين يجعلون انفسهم متسيّدين على افواه الناس والتحكم مصائرهم... وماهم الا شياطين الانس فينسفون كل القيم بما ترتوي انفسهم وماتمليه عليه سياسيهم ,

وهذا التاريخ الذي تسيَس كيفما أشتهت الانظمة التي اعقبت حكمهم في الازمان .. وأحيانا أخرى يصورون في الافلام ما يعتقدها بسطاء الناس كأنها تاريخا مصوراً بلاجدال ..

وجلّ سعي (ممن يعتبرون انفسهم رجالات الدين) هو قتلهم للحرية بكل ماجاءتهم من قوة وبكل انواع الذبح اللئيم للحرية..

فهم يندثرون تحت المسميات لكبت الحرية بكل انواع الكتم والكبت ومحاربة الحرية..

فاي تعبير او رأي في الحرية يعتبروه اهانة للمقدسات.. (فيجيشون لاجل تعبيرٍ ما) عامة العقول البسيطة لتناغم ما يخفون في صدورهم من مغرض..

وابسط مثال هو الرسام الدانيماركي الذي رسم الرسوم الكاركاتيرية والتي لم تكن الا تعبيرا عن حرية تفكير.. ورأيٍ حر.. ليس الا
فما كان من شياطين الانس الا اقاموا الدنيا ولم يقعدوها وهم يتحججون بنصرة الرسول!!!
وهل النصرة تأتي بأثارة الفتن وتدمير الممتلكات العامة والاعتداء على الاخرين؟؟؟ وتهشيم صروح حرية التعبير..؟!
فما جريرة الرسام سوى تصويراً لحرية التعبير ليس الا..
فكان تصرف (رجال الدين.. او كما يصنفون انفسهم) قد اثبتوا ان لاصلة لهم باي فقه او شرع في الدين لا من بعيد ولا من قريب.. فكيف أذن يحكمون مصائر عامة الناس كما ترتضي اهوائهم؟؟!!..
بل انهم اثبتوا ان الدين جاء بالفكر القسري لا بالهداية التي تاتي من منجم الحرية الكاملة فتنير القلوب لا الابصار..
واثبتوا بفعلتهم انهم اناس يدعون للهوج من الغوغاء التكفير التفكيري..
وكان الاجدر برجالات الدين ان يدعوا للحرية ليكون الايمان نعمة تثبت في القلب لا ان يكون رهبة من الاخرين ...وقتل.. غيلة..
_ المسنة: ان كل شئ يجري بمشيئة الله التي اطلق لعباده التصرف كيفما شاء لهم...وليفتن بعضهم ..ويختبر اخر.. ويمتحن الاخر من الاخر.. فهذه فتن هذه الدنيا المنتهية لامحالة ابدا..فمنهم من تفتنه الاموال الكثيرة ومنهم السلطة والنفوذ, ومنهم ومنهم, وسيلقى كل منهم أمامه عمله الذي ينتظره..
أنشدهَ حامد شدها اعجوبيا كبيرا بكلام هذه السيدة المسنة وكيف جاءت بتلك القيم والمبادئ والمعادلات التي لم تشمر لها اي ساعد ذ كاءاته التي تصورها واهما انها بلغت عنان القمة المتبخترة ولم يصل الى ابراج السعادة العالية جدا والتي وصلتها هذه العجوز وهي جالسة قاعدة في مكان تسولها المُعز..
حامد المُذل المُهان أمام شموخ هذه السيدة الرائعة الابتسامة, ويكادُ يُغشى عليه مغميا ندماً وتوبةً الى الله العزيز القدير الرؤف الرحيم الغفور التواب الكريم..
حامد وهو يشعر لاول مرة في طول حياته الطويلة المتناثرة بين بؤس الحياة وحرمانها ونعيمها وثراءها وثرواتها العملاقة التي لم تعرف ان

تجلب له لحظة بما يشعر به الان من ثورة في السعادة تغور في مجاهل غابات جنات اللامنتهية

_ حامد : وكيف تشعرين بهذه السعادة مع الله..

_المسنة : ان الكثير من الخلق يتجاهل ربه عزوجل فيزهد في معرفته ويكتفي بمعلومات عامة ..بل أحيانا مضطربا عن خالقه ورازقه ومليكه سبحانه .. وهو الذي يعلم كل صغيرة وكبيرة في كل الخلق..واعلم يابني أن اصل العلوم بشكل عام وابهرها سعادة هو العلم بالله الذي يجب خشيته ومحبته والتقرب منه والتآنس به ..

_حامد : اكملي جزاك الله خير الجزاء.. وانت تدكين معاقل الحكم تيقنا ..لا أكاديميا وبدراسات ملؤها حشو السطور

_المسنة : من الناس من يعرف الله ببعض الصفات كالجود والكرم والاحسان .. ومنهم من يعرفه بالعفو والعزة والكبرياء...فهو رب العالمين له صفات الكمال فعال لما يريد .. فوق كل شئ .. ومع كل شئ. قادر على كل شئ..مقيم لكل شئ..واكبر من كل شئ..واجمل من كل شئ.. ارحم الراحمين وأقدر القادرين.. واحكم الحاكمين..إذا اسشتعرت محبته أستحيتَ منه وتشوقت للقائه فتشعر بسعادة رضاه وتعيش تمارس عبادة التفكّر التي غفلنا عنها نحن اليوم وشغلنا الشاغل الدنيا السائرة اليه..وسترتع في رياض التفكير باحلى جزرها وبناي منتجعاتها ..

_حامد : صدقت والله..وانا خير دليل لذلك.. الامر الذي سأشرحه لك بعد حين

_المسنة : فاذا ارتفع الحجاب عنك بالموت القادم اليك مهما طالت بك هدهدة السنين ..فيدخل اهل الجنة الجنة ويتجلّى لهم الله الحق سبحانه وتعالى على قدر معرفتهم بالدنيا فكل من لايعرف الله في الدنيا لايراه في الاخرة..فلايحصد الانسان الا مازرع في دنياه ..وكل الرسل عرفوا الله سبحانه باسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلا حتى وكأن العباد يشاهدونه سبحانه وينظرون اليه من فوق سبع سموات وعلى عرشه.. وان جهل المرء بربه تجره الى المعاصي..

_حامد : وكيف ترين الله سبحانه وتعالى انت ايتها الضريرة البصيرة وايتها الذليلة العزيزة والمعاقة الصحيحة؟؟..

_المسنة بأبتسامتها المعتادة السعيدة وكأنها كمال خلقي منحوتٌ في وجهها الشاخص وكانها تنظر الى السماء : (الله جل جلاله يدير أمر اعمالك.. يأمر وينهي.. يخلق ويرزق..يحي ويميت.. يقضي وينفذ.. يُعز ويذل.. يقلّب الليل والنهار,يدوال الايام بين الناس,يقلّب الدول,والرسل والملائكة عليهم السلام بين صاعدٍ اليه بالامر ونازل من عنده به..وله تعاقب الاوقات نافذة بارادته.. ماشاء كان.. كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء.. من غير زيادة ولانقصان ولاتقدم ولاتأخر ..أمره نافذ في السموات والارض وفي البحاروالجو..مقلّبها ويصرفها ويحدث فيها مايشاء.. أحاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا ووسع كل شئ رحمة وحكمة..وسع سمعه الاصوات فلا تختلف عليه ولاتشتبه عليه يسمعها صحيحة على اختلاف لغاتها وكثرة حاجاتها وسرها وعلانيتها ولايعلمه كل مخلوق هو في ذات سر نفسه.... أحاط بصره بجميع المرئيات ..الغيب عنده شهادة والسر عنده علانية.. له الخلق والامر. وله الملك والحمد..وله الدنيا والاخرة.. له النعمة والفضل والثناء الحسن.. له الملك كله..وله الحمد كله..وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله.. شملت قدرته كل شئ ووسعت رحمته كل شئ.. يغفر الذنوب.. ويفرج الهموم.. ويكشف الكروب... ويجبرُ كسيراً ويغني فقيراً.. ويعلّم جاهلا ويهدي ضالّا ..ويرشد حيراناً .. ويغيث لهفاناً..ويشبع جائعا ويكسو عاريا .. ويشفي مريضا ..ويعافي مبتليا.. ويتقبل تائبا ويجزي محسنا .. وينصر مظلوما ..ويقصم جبارا ..ويقبل عثرةً ويستر عورةً ويؤمن روعه..ويرفع اقواما ويضع اخرين..لاينام ولاينبغي له لن ينام .. يرتفع اليه كل عمل .. حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه..يمينه ملآى لاتغيظها سماء الليل والنهار .. أرأيت ماأنفق منذ خلق الخلق فانه لم يغض ما في يمينه..قلوب العباد ونواصيهم بيده..

هام حامد في كلام المسنة وهي مسترسلة وكأن رحيق شهدها يغذي كلامها المعسول صدقا وحقا وعيونه مغرقّة بدموع الخشوع..يتمنى من هذه التي ربما لم تذق طعاما من يومين الا طعام الايمان والعبادة الذي فاق كل طعام أن لاتتوقف..

_المسنة : ولو أن اهل السموات والارض وكل ماخلق من انس وجن كانوا على أتقى قلب رجل منهم مازاد ذلك في ملكه شيئا .. ولو إنهم جميعا كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص من ملكه شئ..ولو ان أهل سماواته وأرضه إنسهم وجنهم حيهم وميتهم رطبهم ويابسهم قاموا على صعيد واحد فسألوه فأعطى كل منهم ماسأل, مانقص ذلك من عنده مثقال ذرة.. هو الاول الذي ليس قبله شئ.. وهو الاخر الذي ليس بعده شئ.. والظاهر الذي ليس فوقه شئ.. والباطن الذي ليس دونه شئ..تبارك وتعالى أحقُّ من ذُكر..واحق من عُبد .. وأحق من حُمد ..وأولى من شُكر... أعدل من انتقم.. هو الملك لاشريك له .. والفرد فلا ند له..الصمد فلا ولد له .. فلا شبيه له ولاسمي له..كل شئ هالك الا وجهه.. وكل ملك زائل الا ملكه.. يُطاع فيشكر.. ويُعصى فيتجاوز ويغفر .. كل نقمة منه عدل وكل نعمة منه فضل .. أقرب شهيد .. وأدنى حفيظ ..منتقم جبار من كل ظالم تشخص له الابصار يوم القايمة.. فمنهم اعمى ويقول لمَ حشرتني اعمى فيقول كذلك اتتك اياتي فعميت عنها .. ووجوه يومئذ ناضرة..

حامد وهو يستذكر ما مر به.. من دخوله نفقا مظلما حالك السواد ليس فيه الا من شمعات بسيطة أطفأها بفعل ذنوبه ظانّا انه سيضئ نفقه بضوء ثروة الدنيا التي جمع.. فوجد ان الضوء الذي أتكئ عليه لم يبكن الا سرابا أرشده لضلالة الطريق المغلق والهلاك لامحالة..فأذا أشرقت على القلوب أنوار كلمات هذه التي هداها الله لنوره لأضمحلت كل الظلمات..

_حامد : ايتها السخية الكريمة بعطاء ربيع كلامك الحق .. كثير من الناس نراهم في بهرج هذه الدنيا يرتعون بأنعم لذاتها ولهم فيها ماتشتهي أنفسهم

من معاصي الكبائر والصغائر والناس تعتقد ان الله سبحانه وتعالى راض عنهم والملائكة تحفّ قصورهم وتحفظهم او هكذا يصوّر اليهم الشيطان..
_المسنة : اسمع بني الذي لم اعرف لحد الان اسمه ..كيف تلجُ معرفة الله عزوجل ومحبته وحلاوة ذكره في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها؟؟
_(حامد) يرد : حامد .. حامد .. هو اسمي ايتها الروعة البهية .. فانا ياأمي لففت البحار السبع وأراضيها.. وسكنتُ احلام الاماني ومعانيها .. وترفعتُ بكل نحرٍ ونشوةٍ مغانيها..ولقد بُححتُ من النساء وملاهيها.. ومللت من كل التروف ومراعيها ..فلم أجدُ لحيظات من السعادة التي أروعتيني بهدائلها.. ما وجدتِه أنتِ في رمضاء جوعكِ البربري الذي تعانيه..
_المسنة : ابني حامد.. إنما هذه الدنيا متاع الغرور ..فما من حزن يبقى ولا فرح ولاسرور..
فانت لا تذكرالا لحظك ومواقف تعتريك وتنسى كما غرار هذه الدنيا الغريرة كل ما أشعركَ من فرح وحزن.. والفرح الحقيقي الدائم هو الزحزحة عن النار.. اما الدنيا فمتاع بسيط قليل زائل لامحالة ..
_حامد : أو يغفر لي رب الغفران الغفور الرحيم ؟؟؟!!
_المسنة : رحمته وسعت كل شئ,, أخلص له التوبة فسيطمئن قلبك بالغفران والرضا..

_حامد : ياالله...اكل مايفعل العاصي والمذنب والمخطئ ويجد ربا غفورا رحيما؟؟.. بل ويبدل سئاته حسنات ؟؟!..يالعطاء الرب الكريم...يالعطاء الرب الكريم..توجهت صيّاصيَّ لبَّ فؤاد قلبه الى الله..تدعوا :

إلهي ذنوبي قد كَبُرَتْ عظيمةً ...ولقد أدركتُ غُفرانَكَ أكبرُ

يارحمنُ إن لاتَغفِر إلا لِمُتقٍ... فمن هو لي ياألهي يَغفرُ

يارحيمُ إني لك تائباً مُتوسلاً ... وكلّي يقينٌ.. إنَّ لأعماليَّ دفترُ

إن كنتَ لاتغفرُ إلا للذي ... قضّى دُجاهُ ساجداً يَتَسهَّرُ

أو صامَ رمضانَاً مؤمناً محتسباً .. فمن للذي قصدَ أنْ يكونَ المُفطرُ

أو صلّى فرائضاً سنينَ عُمرهِ.. فمنْ لمنْ جاءكَ بعدَ أنْ يُعمَرُ

وتغفرُ للزاهدِ في دُنياهِ عابراً.. فمنْ لمنْ قد تابَ جداً مُتأخرُ

وتتوبَ لِمحسنٍ بتوبتهِ مُبكراً .. فمنْ لمن قد كادَ أن يَحتضرُ

وكان يذوقُ مُرَّ الحياةِ صابراً ..فمن لمن إرتوى عسلاً...فَيَبطِرُ

فأنتَ الألهُ الغفورُ الأكرمُ .. وأنتَ العظيمُ الكبيرُ الأكبرُ

تلَّونتْ ذنوبي بألوانٍ عدةٍ.. حتى تغاشتْ بأسوَدِها الأحمرُ

تجبّرت بيَ ذنوبَ جبالَ عِلّتي.. فمن لذنوبَ عَوراتيَ يَستِرُ

فانتَ تعلمُ عَلَني كلّهُ .. وتعلمُ ماأُخفي..في عقرَ قلبي أضمِرُ

أيكون لمن تابَ آخرَ عمرهِ .. ناراً تلظّى فهو فيها يُسعرُ

الى منْ التجئ أرجو رحمةً..فإن أنتَ غضبتَ.. فإلى أينَ المَفررُ

أخذتني ذنوباً طِوالاً جريرةً ..وغرّني متاعٌ فلمْ أكن أشعرُ

وكنت أراني اتّبع الهوى.. وكنتُ للشهواتِ أسعى.. وأنتصرُ

وكنتُ إذا قيلَ آخرةً..قلتُ مازالَ الوقتُ طويلاً مبكرُ

فقد سَرَتْ للذنوبِ كلَّ خليةٌ ..وتنابض بها.. شريانيَ الأبهرُ

وهاذِ تَوبَتي تَئنُ ندماً .. لكَ أيّها التوابُ الرؤوفُ المُغفِرُ

ودموعي تُذرَفُ.. لاتفارقَ مُقلةً ..كانت بالحرامِ كحليةً تفخرُ

ويداي تدعو الكريمَ تذللاً.. وهي التي بظلمٍ أتتْ كلَّ مُنهَرُ

وجوفي إليك يبتغي عافوّاً .. وقد جالَ فيهِ لذةُ كلِّ مُنكرُ

ولساني يتضرعُ اليكَ توسلاً .. وقد جرى بهِ كلَّ لفظٍ.. يَفجِرُ

أَلا هل ياتُرى يَجدُ مَنْ مثلي.. عندك توبةً مروؤفةً إذ يُقبَرُ

فوزٌ.. وربحُ رباحٍ منعمٍ.. وجنةٌ فيها ذواتُ عَينٍ أحورُ

فيالعطاءِ ربٌ كريمٌ يغفرُ,,, أيالعطاءِ ربٌ كريمٌ يغفرُ

دار سكون هزّ المكان المضطرب بأشكال الحياة البهية ... وعندما حاول حامد ان يستدرك سبب سكوت تلك المرأة التي قرر ان يكتب لها نصف ثروته التي قرر التصرف بها جميعا..

_حامد : اماه .. ايتها المرأة التي أينعت قلبي المهلّب بالسواد والهَرِمُ بالمعاصي..فأخضرَّ شديد لون الخضار تحفّه جبال بألوان متلونة وواحات من مياه وعسل وعصافير تزقزق وطيور ترفرف وتصدح بكل مكان وخرير شلالات المياه الملون اسمعه باذني . ويطعُ حوريات يرتعن عند كل واحة بلباس زاهي بهي وخدم كاللؤلؤ ينتظرون أقبالي لقصري الزاهي ببهاء..فأصعد لقصر من ذهب ولؤلؤ مجوّف على سلم زجاجي يجري من تحته الماء بكل انواع الالوان واقواس قوس قزح وصوت غناء عذب ما طربت لمثله اذني قط..وانا في حقيقية غير خيال..

تنبه ماقطع عليه سعادته الباهرة التي تمّت بكشفه الحقيقة تامةً من غير نقصان وكأنه استشعر لقطة من الجنة عندما حضر قلبه تائبا خاشعا بندم سحيق لرب غفور

((لمَ لاتردي علي ياأمي ؟؟.فانا .. فانا.. وجدت حقيقتي بعد عناء عمرا طويلا كاملا ,, وسأترك دنيا السراب..))

هنا انتبه للمراة المسنة والضحكة تعلو وجهها الباسم دائما والرضا يعلو معانيه..و التي لم تحرك ساكنا .. حرك يديها وبصرها الضرير وصدرها النحيل فلم تجب له رداً..خرّ حامد في حضنها يعلوه عويلا ونحيبا.. وضلّ يشمشم رائحتها الزكية العطرة..عطر الوالدة الجليلة الحنون..وبعبق سعادتها التي نالتها..

ولم ينفك يقبّل بها والدموع تجري جريان شلالات سعادتها التي راحت اليها عند ربٍ كريم... لابد لنا جميعا ان نرجع اليه..

حملها حامد كأمٍ عاشت تربّي ولدها بدموع سنين ...وشمّ عبق رائحتها التي طالت في بؤس عمر الدنيا الطويل وهي راضية سعيدة بهدايتها التي حولّت هذا العطر الى أطيب من اطيب عطر في الكون كله..وكأن الملائكة تنتظر

قدومها لربها الذي احبته حد الطاعة في السراء والضراء وتمنت ان تلقاه راضيا عنها محبا لها صابرة على لاختباره ..
بقي اسبوعا كاملا لاتنفك عينيه بكاءا عليها... وعرف إن لا عنوان لها يعرفه الناس.. غير هذا الكرسي القديم جدا في هذا الرصيف السحيق تلتحف

فيه بردها باعاصير الشتاء, وحرّ ألسنة الصيف اللهيبة وهي سعيدة هنيئة..
فهي تعيش مع الله..
في نهاية الاسبوع سافر حامد للبلد الذي ترك فيه سعادا وسأل عنها فوجدها صاحبة مطعم ناجح وكبير وقد فرحت برؤيته جدا وهي تسمع اخبار نجاحه التي عمّت كل الفضائيات
سعاد :حامد يالفرحي وسعادتي التي لاتوصف..
_حامد : ليس ياسعاد السعادة والفرحة كما توهمنا وأوغل في رأسنا الشيطان..حتى زينها لنا ؟؟..
هيا اخبريني.. هل تزوجت وكم طفل لديك..
_سعاد : لا انا لم اتزوج .. وكيف اخدع من اعيش له شريكة عمره؟؟؟
_حامد : سعاد .. هل تتزوجينني ؟؟.. على ان تتركي هذا المطعم البهي الناجح .. وأترك كل ماأملك..
_سعاد وبطاعتها التي تعود عليها : حامد أنا كنت رهن أمرك بالحرام أفلا أطيعك في الحلال.. ويالها من سعادة عامرة أن اعيش لك زوجة أرعى أطفالي من رجل غيور تائب مثلك.. ولكن ما حكاية أن تترك كل مالديك؟؟؟
_حامد : هذا موضوع يطول شرحه سأشرحه لك لاحقا ..إن شاء الله
وزّع حامد نصف ثروته العملاقة بين ورثة ابا واصف بعد أن أستحصل على عنوانهم بشدة بالغة.. وورثة أبا سعيد.. وصفها الاخر للجمعيات اخيرية اتي تستحق وليس لرجال الدين الكذبة..
وأخذ سعاد وتزوجها في بلد آخر.. وترك كل أبهة عزه الدنيوية وفتح (محل بسيط وصغير جدا يتقوَت منه لعياله) في أحدى شوارع تلك المدينة ..
ولااحد يعرف عنوانه الى الان ابدا ..
فقد أختفى فجأة .. وسط تساؤلات البحث عنه من كل الناس..
وكان قد سكن بيتا ريفيا صغيرا تعمّه كل السعادة البالغة اللاحدود وهو يهنئ بحب الله وتوبته اليه ورضاه وحب زوجته المخلصة المطيعة سعاد وأولاده
وبقيَّ يحيا لتلك السعادة التي لايعرفها الا من وجدها..
فكانت سروراً سرمديا يملئ كل مساحات روحه وجسده...

رباح محمد

24/10/2014